بسم الله الرحمن الرحيم

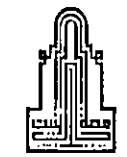

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم
قسم اللغة العربية

أدب التوقيعات في العصر العباسي

(١٣٢هـ/٧٥٢م - ٤٠٠هـ/١٠٢٠م)

The Art of Schoila in Abbasid Period

132/752-400/1020

إعداد:

أميرة عبدالمولى حمد الحراحشة

إشراف

الدكتور محمّد محمود الدروبي

١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م

أ

أدب التوقيعات في العصر العباسي
(١٣٢هـ/٧٥٢م - ٤٠٠هـ/١٠٢٠م)

The Art of Schoila in Abbasid Period
132/752-400/1020

إعداد:

أميرة عبدالمولى حمد الحراحشة

(الرقم الجامعي ٠٠٢٠٣٠١٠٠٤)

إشراف:

الدكتور محمّد محمود الدروبي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. محمد محمود الدروبي	(مشرفاً ورئيساً)	
أ.د. صلاح محمد جرار	(الجامعة الأردنية/ عضواً)	
د. عبد الرحمن محمد الهويدي	عضواً	
د. أمين يوسف عودة	عضواً	

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصي بإجازتها / تعديلها/ رفضها / بتاريخ: / /

الإهـــــــداء

- إلى من كانت خير زادٍ لطريق طويل.... إلى من كانت حرة دوماً....

- إلى من كان العهد الذي بيني وبينها .... الصدق.... وحسن الأدب.... واحترام الآخرين.

- إلى من أحنّ دوماً .... إلى خبزها .... وقهوتها .... وحضنها .....

إلى أمي الغالية أمدّ الله في عمرها.

أميرة الحراحشة

شكر وتقدير

الشـــكر لله علـــى عظيم فضله وجزيل منّهِ أن أتمَّ عليّ نعمته، ووفقني إلى إنجاز هذا العمل خدمة للعربية الشريفة وأدبها العذب.

وأتقـــدم بأوفـــر الـــتقدير وخالص الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور محمّد محمـــود الدروبـــي، رئـــيس قسم اللغة العربية، الذي تعهدني بالإشراف على هذه الرســـالة ورعاهـــا بكـــل صدق وإخلاص وأمانة، ولم يبخل بجهده ووقته، فجهده موصول في كل مرحلة من مراحل إعداد هذا العمل وإنجازه، فجزاه الله عني خير جزاء، ومتعه بموفور الصحة والعافية.

كمـــا أتقـــدم بالشـــكر الجزيل لأساتذتي الفضلاء، أعضاء لجنة المناقشة، لتفضـــلهم بمناقشـــة هذه الرسالة، وإبداء ملحوظاتهم القيمة، وهم الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرّار والدكتور عبد الرحمن محمد الهويدي، والدكتور أمين يوسف عودة.

ويســـعدني أن أشـــكر لعائلتي دعمها المعنوي الموصول، وكذلك صديقاتي العزيزات، فلهم جميعا عظيم الشكر والعرفان.

الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	**ب**
شكر وتقدير	**ج**
المحتوى	**د**
الملخص بالعربية	**و**
المقدمة	**١ـ٣**
الفصل الأول : التوقيعات العربية: مفهومها ونشأتها وتطورها والعناية بها قديماً وحديثاً	**٤ـ٥٥**
أولا: مفهومها	٤-٦
ثانيا: نشأتها	٦-٩
ثالثا: مسيرتها حتى العصر العباسي	٩-١٢
رابعا: بواعث ازدهارها في العصر العباسي	١٢-١٧
خامسا: طبقات الموقعين	١٧-٢٥
سادسا: مصادرها	٢٥-٤١
سابعا: عناية المعاصرين بها	٤٢-٥٥
الفصل الثاني: مضامين التوقيعات في العصر العباسي	**٥٦ـ١٠٤**
أولا: الرد على الأعداء	٥٦-٥٨
ثانيا: الرد على العصاة والمتمردين	٥٨-٦١
ثالثا: الرد على المستأمنين	٦١-٦٢

رابعا: الرد على المستعطفين	٦٢-٦٥
خامسا: الرد على المتشفعين	٦٥-٦٧
سادسا: الرد على المعتذرين	٦٨-٦٩
سابعا: الرد على المتظلمين	٦٩-٧٢
ثامنا: الرد على المستعطين	٧٢-٧٦
تاسعا: الرد على السجناء	٧٦-٧٩
عاشرا: الرد على طلاب الأعمال	٧٩-٨١
حادي عشر: الرد على السعاة والوشاة	٨١-٨٥
ثاني عشر: الرد على الولاة والقادة	٨٥-٨٨
ثالث عشر: التوجيهات السياسية والإدارية	٨٩-٩٣
رابع عشر: إقامة الحدود	٩٣-٩٥
خامس عشر: تصويب الخطأ واللحن	٩٥-٩٦
سادس عشر: الإخوانيات	٩٦-١٠١
سابع عشر: الملاطفات والمفاكهات	١٠١-١٠٤
الفصل الثالث: الدراسة الفنية والأسلوبية	**١٠٥_١٣٣**
أولا: الإيجاز	١٠٥-١١٣
ثانيا: الصنعة	١١٣-١١٩
ثالثا: التصوير	١١٩-١٢٢
رابعا: البنية	١٢٣-١٢٦
خامسا: الاقتباس والتضمين	١٢٦-١٣٣
- الخاتمة	**١٣٤_١٣٥**
- المصادر والمراجع	**١٣٦_١٤٥**

الملخص بالعربية

يُعنى هذا البحث بدراسة أدب التوقيعات في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دراسة موضوعية وفنية، فالتوقيع لون مهمّ من ألوان التعبير الإنساني، عرفته شعوب العالم منذ القديم، وعرفه العرب بالمثل، ويعدّ العصر العباسي العصر الذهبي لازدهار هذا اللون فقد بلغت عناية العباسيين به أن أنشأوا ديوانا إداريا خاصا هو ديوان التوقيع، وغدا هذا اللون من ثمّ فنا مستقلاً، له سماته وموضوعاته وأصوله وأعلامه.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول، أما المقدمة فتضمنت أسباب اختيار الموضوع والهدف من الدراسة، والدراسات السابقة، والمنهج الذي قامت عليه الدراسة، ووقفت الباحثة في الفصل الأول عند مفهوم التوقيعات العربية ونشأتها وتطورها حتى العصر العباسي، كما تضمن هذا الفصل حديثا عن أسباب تطور أدب التوقيعات وأصحابها ومصادرها وعناية المعاصرين بها.

أما الفصل الثاني، فكان دراسة موضوعية لأدب التوقيعات، وقد انحصرت المضامين في الردود والإخوانيات والتوجيهات.

وعقدت الباحثة في الفصل الثالث دراسة فنية لأدب التوقيعات، فتناولت الإيجاز والصنعة والتصوير والبنية والشكل والاقتباس والتضمين.

وتوصلت الباحثة إلى أن أدب التوقيعات شهد تطورا كبيرا في العصر العباسي بسبب عوامل وبواعث حضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية، مما جعل منه لونا تعبيريا مهما من ألوان النثر العباسي، كما شهدت التوقيعات في هذا العصر غنىً وثراءً في المادة، وتنوعا وتلونا في الأساليب، أحلت هذا الفن منزلة عالية، وجعلت له مضامينه الخاصة، وفنياته المميزة له عن غيره.

المقدمة

الحمـــد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، من يهده الله فهـــو المُهـــتدِ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد،

فالتوقيع لون مهم من ألوان التعبير الإنساني، عرفته شعوب العالم القديم كالفرس والهنود والصـــينيين واليونان وغيرهم، كما عرفه العرب بالمثل، بعد أن عرفوا النظم والتراتيب الإدارية فـــي العهـــد الراشـــدي، وقـــبل أن تـــبدأ حركة النقل والاقتباس عن الفارسية، مما يشير إلى أن التوقـــيعات نشـــأت عند العرب استجابة لضرورة حضارية وإدارية، تمثلت بما كان يعلقه الخلفاء الراشدون في ذلك الطور من عبارات بليغة موجزة مكثفة في أسافل الرسائل المرفوعة إليهم، أو علـــى ظهورهـــا، بمـــا يتضمن ردا ملائما على هذه المراسلات التي كان يرفعها القواد والولاة، فضلاً عن الرعية.

وازدادت العـــناية بالتوقـــيع فـــي العصـــر الأمـــوي، فقـــد تعددت الأغراض، واتسعت الموضوعات، وتلونت الأساليب، ولم يعد التوقيع مقصورا على الخليفة، كما هي الحال في صدر الإســـلام، بـــل أخذت أقلام جديدة تشارك في هذه الحركة، منهم الأمراء والولاة والقادة والكتاب، فضـــلاً عن الخلفاء، يدل على ذلك ما خلفه الأمويون من هذه الطائفة من التوقيعات العربية التي تشير إلى تطور ملموس داخل هذا اللون التعبيري في هذا العصر.

ولـــم يـــأتِ العصر العباسي حتى كانت التوقيعات العربية استوت على سوقها، على أن عـــناية العباســـيين بها بلغت أضعافا مضاعفة، بفضل إنشاء ديوان إداري خاص بها، هو ديوان التوقـــيع، وقـــد كان تأسيس هذا الديوان على يد البرامكة في خلافة الرشيد إيذانا بازدهار حركة التوقـــيعات العربـــية، إذ وجدت المؤسسة التي رتبت شؤون هذا الفن، ووضعت أصوله، ورعت أعلامـــه، وكانت النتيجة استفاضة التوقيعات وكثرتها، ونمو أغراضها ومضامينها، وبروز طائفة عريضـــة من مشاهير الموقعين من الخلفاء والأمراء والوزراء والولاة والقادة والأدباء واللغويين والقضـــاة والفقهاء والنساء، وغيرهم من طوائف المجتمع العباسي، حتى باتت التوقيعات في هذا العصـــر ظاهـــرة أدبية مهمة، جديرة بالدراسة والتناول. وقد عنيت الدراسة بالتوقيعات في هذا العصـــر لكونـــه أغـــنى العصـــور الأدبية العربية بهذا اللون التعبيري، واقتـــفت خطة الدراسة الوقـــوف عـــند مســـتهل القرن الخامس لأسباب ترجع إلى التوقيعات نفسها، إذ لوحظ بجلاء أن مســـيرة التوقيعات أخذت ترتد إلى الوراء، وأن بواعث جديدة طرأت سلبت هذا اللون الأدبي أهم مميزاته.

وعلى الرغم من أهمية هذا اللون التعبيري، فإن عناية الدراسات الأدبية المعاصرة بالتوقيعات العربية، ومن ضمنها توقيعات العصر العباسي، ما زالت محدودة جداً. فعلى الرغم من كثرة إشارات المعاصرين إلى ازدهار التوقيعات العائدة إلى العصر العباسي، فإنهم من وجهة أخرى لم يتقصوا أسباب هذا الازدهار وبواعثه ومظاهره، ولم يتفرغوا لتناول مضامين توقيعات هذا العصر ودراسة أساليبها.

ثمة دراسات معدودة تناولت التوقيعات العباسية، بيد أن هذا التناول جاء في صورة محور جزئي أو مبحث فرعي، في سياق الحديث عن ألوان النثر العربي في هذا العصر، أو في سياق الحديث عن تأثر الأدب العربي بالآداب المنقولة عن الفرس، ومع صرف النظر عن السياق الذي كان يرد فيه حديث هذه الدراسات عن التوقيعات العباسية، يلاحظ أن غاية هذه الدراسات لم تكن دراسة الموضوع دراسة وافية مستوعبة، بل كان الهدف تقديم فكرة عامة عن الموضوع، لا التعمق في عرض جزئياته وقضاياه المختلفة، ومن هنا تكاد المعلومات المتعلقة بالتوقيعات العباسية تتكرر في أكثر هذه الدراسات، وإن كان بعضها استطاع أن يقدم الموضوع في صورة جيدة أحياناً.

ومن أشهر المؤلفات التي تضمنت فصولاً عن التوقيعات: ضحى الإسلام لأحمد أمين، والعصر العباسي الأول لشوقي ضيف، وبلاغة الكتاب في العصر العباسي لمحمد نبيه حجاب، وتيارات ثقافية بين العرب والفرس لأحمد الحوفي، والحياة الأدبية في العصر العباسي لمحمد عبد المنعم خفاجي، والترجمة والنقل عن الفارسية لمحمد محمدي، وتأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي في العصر العباسي الأول لعيسى العاكوب، وأنماط النثر العراقي في القرن الثالث الهجري لإيمان اللحام، وفنون النثر في الأدب العباسي لمحمود صالح، والرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري لمحمد الدروبي، وجمهرة توقيعات العربية لمحمد الدروبي وصلاح جرار، والتوقيعات الفارسية المعربة لمحمد الدروبي وصلاح جرار.

تفيد الدراسة من معطيات مناهج شتى بقدر ما تدعو الحاجة إليه، فهي تفيد من المنهج الاستقرائي في تتبع الظاهرة واستشفاف أهم ملامحها التاريخية والأدبية والفنية.

وتفيد بعد ذلك من المنهج التاريخي في سلسلة الظاهرة ودراسة العوامل التي أثرت في هذا اللون من التعبير، وأدت إلى نشأته قبل العصر العباسي، ثم تطوره في ذلك العصر.

كما تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في دراسة اتجاهات التوقيعات وتحليل مضامينها، وسبر أعماق الأغراض التي كانت تُكتب فيها.

وتســـتند الدراسة إلى المنهج الجمالي في تبيّن سمات التوقيع وطوابعه الفنية والأسلوبية، وأبرز ما يميزه من خصائص عن غيره من ألوان التعبير الأخرى.

وتقـــوم الدراســـة في الفصل الأول بالبحث في مفهوم التوقيعات، ثم الحديث عن بواعث ازدهارهـــا، ودراسة مصادرها، وأصحابها، وعناية المعاصرين بها قديما وحديثا، وتعمد الدراسة فـــي الفصل الثاني إلى تناول المضامين بالنظر إلى نصوص التوقيعات نفسها، وتفرد الدراسة في الفصـــل الثالـــث مســـاحة للدراسة الفنية فتتناول الإيجاز والصنعة والتصوير والبنية والاقتباس والتضمين.

وبعـــد، فأرجو أن يكون عملي هذا جهداً مقبولاً، ولبنة صالحة تضاف إلى صرح الأدب العربـــي الـــذي نـــتلمس فيه حضارتنا وأصالتنا وروعة أدبنا الزاهي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله أولاً وآخراً

الفصل الأول

التوقيعات العربية :
مفهومها، ونشأتها، وتطورها، والعناية بها قديماً وحديثاً

الفصل الأول

التوقيعات العربية : مفهومها، ونشأتها، وتطورها، والعناية بها قديماً وحديثاً

أولاً: مفهومها

التوقـيعات جمع توقيع، وقد استعمل العرب هذا اللفظ في معانٍ كثيرة، أورد ابن منظور طائفة منها، فذكر أن التوقيع ضربٌ من السير ترفع فيه اليد إلى أعلى[١]، وذكر كذلك أنّ التوقيع مبيت القوم طلباً للراحة[٢]. كما ذكر منها أيضاً[٣]: الرمي القريب، وإصابة المطر بعض الأرض وإخطاؤه بعضاً، وإقبال الصيقل على السيف يحدّده، والإصابة وخفة التأثير.

ولعـل المعـنى اللغوي الأقرب إلى معنى التوقيع اصطلاحا هو التأثير الخفيف، فالعلاقة واضـحة بيـن هذا المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فالتوقيع في الاصطلاح يعني: التعليق علـى الرسـائل التـي ترفع إلى أولي الأمر بما يناسبها من القول، يسترشد به في فصل الأمور وتنفيذ الأحكام.

فـإذا كـان المعني اللغوي يحمل صفة التأثير الخفيف، فإن الكلام الموجز القليل يوصف بهذه الصفة أحياناً[٤]. على أن هذا التأثير في الكلام قد يتفاوت في الشدة من موقف إلى آخر.

ووردت كذلـك معـانٍ أخرى للتوقيع في الاصطلاح، منها: أنه الأمر أو المرسوم الذي يصدره الحاكم[٥]. ويدلّ أيضاً على ألقاب الحاكم التي تسجّل في ديوان الأختام فتكتسب الوثيقة

---

(١) ابـن منظور، جمال الدين، محمّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت. مادة وقع.

(٢) **المصدر نفسه**: مادة وقع.

(٣) **المصدر نفسه**: مادة وقع.

(٤) انظر : ايمان اللحام، **أنماط النثر العراقي في القرن الثالث الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص: ٥٣.

(٥) هوتسـما ورفاقـه، **دائرة المعارف الإسلامية**، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد ورفاقه، دار الشعب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج١٠، ص ١٦٣. (مادة التوقيع).

شـــرعيتها. وهـــو بذلك يساوي إجمالاً الطغراء عند العثمانيين[١]. كما يدلّ التوقيع على نوع من الصكوك كان رائجا في العصرين: المملوكي والعثماني[٢].

ولعل المعنى الأدبيّ هو الذي يهمنا هنا، فالتوقيع الذي نعنى بدراسته: تعليق موجز يكتب فـــي أســـفل الرسائل الواردة إلى الديوان، أو على ظهرها، متضمناً رداً مناسباً على مضمون كل واحدة من هذه الرسائل.

وقد وقف بعض القدامى عند التوقيع بهذا المفهوم، فقد وصفه ابن درستويه بقوله: "واعلم أن التوقيع إنما هو أمر أو نهي، فالواجب أن يجري مجراها لا غير، وأن يثبت حرف الأمر فيما كـــان منه أمراً إذا لم يسمّ المأمور، كما يثبت حرف النهي فيما كان نهياً، ولا يجوز حذف واحد من هذين الحرفين"[٣].

كمـــا عـــرف القلقشندي التوقيعات بقوله: "هي الكتابة على حواشي الرقاع والقصص بما يعـــتمده الكاتـــب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم، وهو أمر جليل ومنصب حفيل"[٤].

أما المعاصرون، فقد اتفقوا على تعريف التوقيعات في معناها، وإن اختلفوا في اللفظ، فقد عرّفها عمر فروخ بأنها: "ما كان الخلفاء يثبتونه من الجمل القصار في أعقاب الرسائل التي ترد إليهم من الولاة وسائر الناس ليجيزوا ما في هذه الرسائل"[٥].

وعـــرفها محمّـــد نبـــيه حجاب بقولـــه : "التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها"[٦].

---

(١) هوتسما ورفاقه، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج١٠، ص ١٦٤.

(٢) **المصدر نفسه** ، ج١٠، ص ١٦٤.

(٣) ابـــن درســـتويه، عبدالله بن جعفر الفسويّ، (ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م)، **كتاب الكُـــتاب**، تحقيق: إبراهيم السامرائي وعبدالحسين الفتلي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، الكويت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص١٥٩.

(٤) القلقشـــندي، أبـــو العباس، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: محمّد حسين شمس الدين ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ج١، ص ١١٠.

(٥) عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج١، ص ٢٥٤.

(٦) محمّـــد نبـــيه حجاب، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي**، المطبعة الفنية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص٩٥.

أمـــا محمود عبد الرحيم صالح، فقد عرفها بقوله: "تعقيب موجز، كان يكتبه الخلفاء على الرســـائل الـــواردة إلـــيهم مـــن أفـــراد المسلمين، أو من ولاة البلدان، يردّ فيه الخليفة بما يراه مناسبا"(١).

وعـــرفها محمّـــد الدروبيّ فقال: "ما يكتبه الرؤساء -على اختلاف مراتبهم- تعليقا على الرســـائل المـــرفوعة إلـــيهم، كـــأن تكتـــب عبارة موجزة، إنشاءً أو اقتباساً، في حاشية الرسالة المرفوعة إلى الرئيس في أمر ما، فتكون هذه العبارة جواباً يُعمل بمقتضاه"(٢).

وواضـــح من ذلك أن الأصل في التوقيع أن يكون ردا على كتاب، أو ربما على قصة أو رقعـــة مـــرفوعة فـــي شكوى أو مشكلة أو طلب عون أو رأي، وقد يكون التوقيع ابتداءً لا ردا، ويهمنا هنا اللون الأول؛ لأنه الغالب على التوقيعات العربية، ثم إن هذا التوقيع يكتب على الكتاب المرفوع نفسه، وغالبا ما يكون في أسفل الكتاب أو على ظهره(٣).

ثانياً: نشأتها

اخـــتلف فـــي أصل التوقيعات، فذهب بعض المعاصرين إلى أنها أثرٌ من آثار الفرس في الحضـــارة العربـــية الإســـلامية، اقتبســـها العرب عن الفرس، وجروا على التعليق على الرقاع المـــرفوعة إلـــيهم تقليداً لما كان شائعا لدى ملوك إيران في العهد الساساني، ولجأ بعض هؤلاء الباحثيـــن إلى إثارة الشكوك حول توقيعات الخلفاء الراشدين، في سبيل تعضيد رأيهم، ومن أبرز هؤلاء الكتاب: جورجي زيدان(٤)، وأحمد أمين(٥)، وشوقي ضيف(٦)، ومحمّد غنيمي هـــلال(٧)

---

(١) محمود عبد الرحيم صالح، **فنون النثر في الأدب العباسي**، وزارة الثقافة، عمان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٩٢ .

(٢) محمّـــد محمـــود الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٦٨-٦٩.

(٣) محمـــود المقـــداد، **تـــاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام**، دار الفكر،الطبعة الأولى، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٣٩٦.

(٤) جورجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.، ج٤، ص ٩٢.

(٥) أحمـــد أمين، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة العربية، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ج١، ص ١٨٧-١٨٨.

(٦) شوقي ضيف، **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص٤٨٩.

(٧) محمّد غنيمي هلال، **الأدب المقارن**، دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة،القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٣٥٥.

وشكري فيصل[١]، ومجدي وهبة[٢]، وعيسى العاكوب[٣].

وقد اعتمد هذا الفريق عدداً من الأدلة التي تعزز وجهة نظرهم، منها أن التوقيع تقليد فارسي قديم، كما ذهبوا إلى التشكيك في التوقيعات العائدة إلى صدر الإسلام، إذ أبدوا تخوفهم من أن تكون توقيعات الخلفاء الراشدين والأمويين نُقلت شِفاهاً، ثم حُوّرت -فيما بعد- في صورة توقيعات، كتلك التي انتشرت عند العرب[٤]. ولعل أحمد أمين وعيسى العاكوب أبرز من احتجّ لهذا الرأي.

كما يرى بعض هذا الفريق أنه على الرغم من إشارات بعض المصادر إلى توقيعات مبكرة -قبل نهاية القرن الهجري الأول[٥]- إلا أن هذه التوقيعات تبدو -على قولهم- خَدِجة غير واضحة المعالم والقسمات، تفارق الشكل المتطور لفن التوقيع الذي شاع في العصر العباسي، تقليداً لما كان شائعاً عند الساسانيين من صورة نظام التوقيع[٦].

في حين يرى فريق آخر من الكتاب المعاصرين أن التوقيعات العربية أثرٌ عربي صرف، وأنها انبعثت من الصدور العربية، فنشأت نشأة عربية خالصة، في محيط عربي نقي، ومن أبرز من يمثل هذا الفريق: محمّد نبيه حجاب[٧]، وأحمد الحوفي[٨]، وعلي جميل مهنا[٩]،

---

(١) شكري فيصل، **مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي**، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، ص ١٠٨.

(٢) مجدي وهبه وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٢٧.

(٣) عيسى العاكوب، **تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي**، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ٢٥٧-٢٦٢.

(٤) أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج١، ص١٨٨.

(٥) عيسى العاكوب، **تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي**، ص ٢٥٩.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٢٦٢.

(٧) محمّد نبيه حجاب، **مظاهر الشعوبية في الأدب العربي**، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٩٣.

(٨) أحمد الحوفي، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٢٦٥-٢٦٩.

(٩) علي جميل مهنا، **الأدب في ظل الخلافة العباسية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٢٨.

وأحمد مصطفى أمين[١]، ومحمود المقداد[٢]، ومحمود عبد الرحيم صالح[٣].

واستند هذا الفريق في إثبات عروبة التوقيعات إلى طائفة من الأدلة، أهمها أن العرب عرفوا التوقيعات، وعانوا كتابتها فعليا في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قبل أن تنفتح قنوات الاتصال الثقافي بين العرب والفرس على مصراعيها، وقبل أن تظهر بوادر التقليد الأدبي والمحاكاة، فضلاً عن أن التوقيعات التي نقلت إلينا من صدر الإسلام لا تختلف كثيرا عن توقيعات العصر العباسي[٤].

ويرى هذا الفريق القائل بعروبة التوقيعات أن طابع هذه التوقيعات الموجز، وسرعة خاطر صاحبها، وحضور بديهته ومقدرته على البيان أكبر دليل على عروبتها، إذ لم يكن العرب في حاجة إلى أن يحاكوا غيرهم فيما يلائم طبائعهم[٥].

ومن الأدلة التي استندوا إليها كذلك، أن التوقيع لازمة حضارية، فهو ضرورة من ضرورات الملك واستبحار العمران[٦]. وقد نشأ عند العرب سدا لحاجة إدارية مُلحة، فقد أدّى اتساع رقعة الدولة الإسلامية وترامي أطرافها، وكثرة رعاياها، وتعدد حاجاتها إلى ظهور هذا النمط التعبيري، لصعوبة الرد على كل رسالة برسالةٍ مثلها، وتوفيرا للجهد والوقت، وتلبية لحاجات الناس والبت في قضاياهم بسرعة[٧].

وهكذا يتراءى للناظر بعد عرض هذه الأدلة، لكلّ من الفريقين، أنه يمكن القول إن نشأة التوقيعات نشأةٌ عربية صرفة لا تعني -أبدا- أن هذه التوقيعات لم تتأثر بذلك الموروث الحافل من التوقيعات التي خلفها ملوك الفرس الساسانيون[٨]، فلا يمكن إغضاء الطرف عن الآثار

---

(١) أحمد مصطفى أمين، **المأمون أديبا**، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٧٠.

(٢) محمود المقداد، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام**، ص ٣٩٧-٤٠١.

(٣) محمود عبدالرحيم صالح، **فنون النثر في الأدب العباسي**، ص ٩٢.

(٤) محمّد نبيه حجاب، **مظاهر الشعوبية في الأدب العربي**، ص ٣٩٣. وأحمد الحوفي، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، ص ٢٦٦. ومحمود المقداد، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام**، ص ٣٩٨.

(٥) انظر: أحمد الحوفي، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، ص ٢٦٥، وانظر: محمّد نبيه حجاب، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي**، ص ٩٧.

(٦) محمّد نبيه حجاب، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي**، ص ٩٧.

(٧) انظر: محمود المقداد، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام**، ص ٤٠٠.

(٨) انظر: محمّد محمود الدروبي، مواقف الدارسين العرب المعاصرين من نشأة التوقيعات وعروبتها، **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، قطر، العدد الخامس والعشرون، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٤٩١-٤٩٢.

الفارسية في طور ما بعد النشأة، ولا سيما في العصر العباسي، حين فُتحت أبواب التأثر والتأثير بين العرب والفرس على مصراعيها[١].

ازداد نفـوذ العناصـر الفارسية المسلمة في الدولة العباسية، فشهد هذا العصر حضورا فارسـيا مدويـا في مختلف صعد الحياة، ولا يمكن- بأي حال- إنكار مدى التطور الذي أدخله الكـتاب الفـرس علـى فـن التوقيعات، فقد تعدى هذا الأثر المناحي الموضوعية إلى المناحي الأسـلوبية أيضـا، ومـن أهـم ظواهـر التطور التي أصابت التوقيعات من جهة الفرس توسع الموقعيـن في بسط المعاني بسطا يخرج بها عن حد الإيجاز إلى الإطناب، فقد أصبح الكتاب منذ عصر المأمون يعدلون عن الإيجاز الذي عدّه القدامى أهم سمات التوقيع[٢].

ثالثاً: نشأتها ومسيرتها حتى العصر العباسي

لم يكن نثر التوقيعات، وليد العصر العباسي - كما يتبادر للذهن- إذ يبدو من استعراض التوقـيعات التي أوردتها المصادر، أنها بدأت تلوح في الأفق مع الخلافة الراشدة، وبالتحديد في زمن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، ولعلّ السبب الذي حال دون وجود هذا الفن قبل ذلك، هـو أن العـرب أمـة أميّة، شاعت القراءة فيها بعد ظهور الإسلام، ولم تنتشر بينهم على نطاق واسـع، إلا بعـد الخلافة الراشدة[٣]، ينضاف إلى ذلك أن العرب لم يكن لهم كيان سياسي ينظم أمورهم، ولم يولد هذا النظام إلا بعد منبثق الإسلام.

وذلك فضلا عن ضياع توقيعات تلك المدة، أو عدم تدوينها أو اختلاطها بأقوال الخلفاء - رضي الله عنهم- ذلك أنّ المصادر لم تميّز بين هذه الأقوال التي عمادها اللسان والتوقيعات التي عمادهـا الكـتابة، بالإضـافة إلى انتشار العدل وبسط الأمن والأمان، ونصرة المظلوم، ومعاقبة الظـالم. كما أن اتصال الخلفاء بالرعية وجلوسهم إليهم، ووجود البطانة الصالحة التي لا تسيطر علـيها الأهواء والمصالح الشخصية، ساعد على انتشار الأمن، وبسط لواء العدل، فلم تكن هناك

---

(١) محمـد الدروبي، موقف الدارسين العرب المعاصرين من نشأة التوقيعات وعروبتها، **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، عدد ٢٥، ٤٩٥.

(٢) انظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٧٠-٧١.

(٣) انظـر: هاشم مناع ومأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٢١٣.

حاجة إلى رفع الظلامات والشكاوى إلى الخلفاء[١]. ومن تلك الأسباب ضيق رقعة الدولة الإسلامية، فقد ساعد ذلك على إدارة شؤون الدولة بيسر وسهولة[٢].

ولعل أقدم التوقيعات التي أسعفتنا بها المصادر هي التي وقعها أبو بكر الصديق، وتوقيعات لعمر بن الخطاب، ولعثمان بن عفان ولعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهم-[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن ما وصل إلينا من توقيعات الخلفاء الراشدين لا تتجاوز بضعة عشر توقيعا، وذلك للأسباب الآنفة الذكر.

وجاءت الدولة الأموية فزاول خلفاؤها التوقيع بأنفسهم، كما كان يفعل الخلفاء الراشدون، فما من خليفة إلا وله مجموعة من التوقيعات لا يستهان بها. ويمكن عدّها بذورا صالحة نمت في بيئة محفوفة بالرعاية، مما جعلها أساسا لهذا الفن الذي سيستقل بشخصيته عن الفنون الأدبية في العصر اللاحق[٤].

ولقد دعا إلى ذيوع التوقيعات في العصر الأموي، ما وجد في هذا العصر من مظاهر الملك وتنوع من شؤون الدولة، وتعدّد لحاجات الناس ومطالبهم، وكان لا بدّ للخلفاء والولاة أن يدلوا في كل ذلك برأي، ويشيروا بما لديهم من تدبير، ومن هنا اضطروا إلى الإيجاز في التعليق واصطناع الحكمة فيما يختارون من توقيع[٥].

فمنذ بداية العصر الأموي اهتم معاوية بن أبي سفيان بتنظيم شؤون الدولة وتسهيل إدارة مرافقها المختلفة، فنمّى فكرة الديوان الذي ينظم شؤون الكتابة في مختلف المهام الرسمية، وأسند رئاسته إلى مروان بن الحكم أحد كتبة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ثم انتشرت الدواوين في الأقاليم والأمصار، وأصبح لكل والٍ كُتّابه، كذلك تنوعت مهام الدواوين وأغراضها

---

(١) هاشم مناع ومأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي**، ص ٢١٥.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٢١٥.

(٣) ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمّد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج٤، ص٢٠٥-٢٠٦، والثعالبي، أبو منصور، عبدالملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، **خاص الخاص**، نشره مأمون محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ١٢٦-١٢٧.

(٤) انظر: هاشم مناع ومأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص ٢١٥.

(٥) انظر: محمّد عبدالمنعم خفاجي، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية**، مكتبة القاهرة، القاهرة، د.ت، ص٢٧٣.

لتواكب ذلك الارتقاء والتطور في نظم الحياة الاقتصادية والعسكرية والسياسية[١]. ولعل هذا من أبرز أسباب انتشار التوقيعات وازدهارها في العصر الأموي والعباسي.

وإلى جانب ذلك هناك طائفة من الأسباب التي ساعدت على قوة انتشار التوقيعات منها: انتشار الفتوحات الإسلامية، واتساع رقعة الدولة الإسلامية بعد الانتصارات المتتالية على الفرس والروم، واعتناق كثير من الجنسيات والقوميات الدين الإسلامي وتعرّب كثير منهم[٢]. وكذلك انتشار الكتابة والتعلم والتعليم بعد أن كانت الكتابة مقصورة على عدد محدود من المسلمين. فضلا عن حاجة الولاة إلى الردود السريعة على مكاتباتهم أو رسائلهم لأهميتها وكثرتها، وخشية تراكمها وتأخرها، مما يحول دون حل حاجات الولاة ومشكلات الناس والنظر في مصالحهم.

ولا يمكن إغفال كثرة الأعباء الملقاة على كاهل الحكام لتنوع إدارات الدولة وشؤونها، ومواقف بعض الحكام أو الولاة من الرعية، مما دفعهم إلى الكتابة على الفور إلى من هو أعلى منهم لعرض حاجاتهم ومطالبهم[٣].

ومن هنا يتضح أن بذور التوقيعات نشأت في بيئة عربية صالحة، ونمت وترعرعت مثل غيرها من الفنون الأدبية التي تطورت وازدهرت من مثل فن الخطابة والرسائل، فكان لابد للتوقيعات من الظهور[٤].

عرف العرب التوقيعات وتمرسوا بها منذ عهد الخلفاء الراشدين، فقد حفظت المصادر الأدبية والتاريخية طائفة من توقيعات أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب[٥].

وقد أخذ هذا الفن بالنمو في العصر الأموي، فلا نكاد نجد خليفة – في هذا العصر – إلا وله توقيعات كمعاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، وعبدالملك بن مروان، والوليد بن عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم[٦].

---

(١) انظر: نبيل خالد رباح أبو علي، **نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٢٧٠.

(٢) انظر: هاشم مناع ومأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص ٢٢٠.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**: ص ٢٢٠.

(٤) انظر: هاشم مناع ومأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص٢٢٠-٢٢١.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٠٥-٢٠٦. والثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٢٦-١٢٧.

(٦) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٠٦-٢٠٧. وانظر: أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، مصورة عن الطبعة المصرية، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.، ج٢، ص ٤٩١-٤٩٦.

وهكـذا تضاعفت العناية بالتوقيع في العصر الأموي مع نمو الدولة واتساع رقعتها إبان الفـتوحات الإسلامية، ومع تعقد نظام الإدارة وإنشاء عدد من الدواوين، كديوان الرسائل وديوان الخـاتم وغـيرها من الدواوين. وفي ذلك يقول ابن طباطبا : "ومما اخترع معاوية – رضي الله عـنه- من أمور الملك ديوان الخاتم، وهذا ديوان معتبر من أكابر الدواوين، لم تزل السنة جارية بـه إلى أواسط دولة بني العباس فأسقط، ومعناه أن يكون ديوان وبه نواب فإذا صدر توقيع من الخلـيفة بأمر من الأمور أحضر التوقيع إلى ذلك الديوان، وأثبتت نسخته فيه، وخزم بخيط وختم بشمع كما يفعل في هذا الزمان بكتب القضاة، وختم بخاتم صاحب ذلك الديوان"[١].

وهكذا زادت أعداد التوقيعات وانتشرت في هذا العصر، وانفسحت موضوعاتها وتعددت صـورها، وتنوعـت أسـاليبها، لا سيما أنها لم تعد مقصورة على الخلفاء، كما عهدنا في العهد الراشـدي، بـل وجـد نفـر من الأمراء والولاة والقادة والكتاب ممن صدرت عنهم التوقيعات، وبرعوا فيها، كزياد بن أبيه، وسعيد بن العاص الأموي، والحجاج بن يوسف الثقفي[٢].

رابعاً: بواعث ازدهارها في العصر العباسي

ازدادت أهمية التوقيعات، منذ قيام الدولة العباسية، وحظيت بعناية فائقة حتى عُدّ العصر العباسـي عصر ازدهار التوقيعات العربية وتطورها – غير منازع- فهو بحق عصرها الذهبي، ويعـود ذلك إلى أسباب كثيرة، لعل أبرزها الانفتاح على الحضارات المجاورة عقب هدوء حركة الفتوحات الإسلامية، والاتصال مع ثقافات الأمم وآدابها، فأفاد العرب من العجم في مختلف صعد الحـياة السياسية والإدارية والاجتماعية والأدبية، كما أن دخول هؤلاء في الإسلام وتعرب كثير مـنهم، زاد مـن نفوذهم لاسيما نفوذ العناصر الفارسية في الدولة العباسية، فقد شهد هذا العصر حضوراً فارسياً واضحاً في مختلف مجالات الحياة.

والحـق أن العباسيين ورثوا نظام الدواوين وتقاليدها عن الفرس، ولكنهم في الوقت نفسه أخضـعوا هـذه الدواويـن لواقـع العصـر ومتطلباته، وذلك لكي تتواءم مع الحاجات الإدارية والاقتصـادية والسياسية الجديدة، وكثيراً ما تأثروا بالبلاط الفارسي، وبالأنظمة السياسية السائدة عـند الفـرس بمـا فيها التوقيعات، فقد كان للفرس أثر في تطورها وازدهارها بفضل ما أدخله

---

(١) ابن طباطبا، محمّد بن علي الطقطقى(ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص١٠٧.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٧-٢١٨. وانظر: أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٢، ص ٥٠٠-٥٠٣.

الكـــتاب الفـــرس مـــن تجديدات وغنى في مادتها، بيد أن ذلك لا يعني أن العرب اقتبسوها عن الفرس، ولا يلغي فكرة عروبة التوقيعات.

وقد تعدى هذا الأثر المناحي الموضوعية إلى المناحي الأسلوبية أيضا، ومن ذلك خروج بعـــض الموقعيـــن في هذا العصر على حد الإيجاز إلى الإطناب، ويضرب مثلٌ على ذلك توقيع للمأمون إلى الفضل بن سهل(١).

ومـــن دواعـــي ازدهـــار التوقيعات وتطورها في هذا العصر، تطور الرسائل السياسية، وذلـــك بســـبب تعقد نظم الحكم السياسية والإدارية للدولة العباسية، وكثرة الدواوين وتنوعها من جانـــب، وكثرة المؤهلين من الكتاب في مختلف الأمصار الإسلامية، وخاصة الفرس، كآل برمك وآل سهل، وآل صول، وغيرهم من الأسر الفارسية، من جانب آخر(٢).

وبلـــغ اهـــتمام العباسيين بالتوقيعات أوجه بتنظيم هيئة إدارية مستقلة خاصة عرفت باسم "ديـــوان التوقيع" تم إنشاؤه ابتغاء تنظيم شؤون التوقيعات وترتيب كتابتها، ويرجع السبب الرئيس فـــي تأســـيس هـــذا الديوان إلى كثرة المكاتبات والمشكلات التي تحتاج إلى قرارات عاجلة، لا يستطيع الخليفة أو الوزير التصرف فيها كلها، أو يثقل عليه الرد عليها جميعا.

وقـــد ورد فـــي كـــتاب الوزراء والكُتّاب، ما يوضح سبب إنشاء ديوان التوقيعات، يقول الجهشـــياري: "وحدثـــنا ولد عليّ بن الحسين عنه، قال: حدثني علي بن الجنيد، قال: كانت بيني وبيـــن يحـــيى بن خالد مودة وأنس، فكنت أعرض عليه الرقاع في الحوائج، فكثرت رقاع الناس عـــندي، واتصـــل شغله، فقصدته يوما، وقلت له: يا سيدي قد كثرت الرقاع، وامتلأ خفيّ وكمي، فإمّـــا تطولـــت بالنظر فيها، وإمّا رددتها، فقال لي: أقم عندي حتى أفعل ما سألت، فأقمت عنده، وجمعـــت الـــرقاع في خفيّ، وأكلنا وغسلنا أيدينا، وقمنا إلى النوم، واستحييت من إذكاره إياها، ويئســـت من عرضها، لأنني قد علمت أننا نقوم، فتشاغل بالشرب، فنمت، ودعا هو بالرقاع من خفـــي فوقع في جميعها، وردّها إليه، ونام وانتبه، فدخلت إليه في مجلس الشرب، وقد أعدت آلته فـــيه، فلم استجز ذكر الرقاع له، وشربت وانصرفت بالعشي، فبكر إليّ أصحاب الرقاع لما وقفوا علـــى إقامتي عنده، فاعتذرت إليهم، وضاق صدري بهم، فدعوت بالرقاع لأميزها، وأخفف منها

---

(١) الجهشـــياري، أبو عبدالله، محمّد بن عبدوس(ت ٣٣١هـ/٩٤٢م)، **الوزراء والكُتاب**، تحقيق: مصطفى السقا، وابراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، القاهرة،١٤٠١هـ/١٩٨٠م، وانظر:محمّد الدّروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص٧٠-٧١.

(٢) انظر: العساعي بيومي، **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي**، مطبعة العلوم، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ج٣، ص١٤٩-١٥٣.

مـــا لـــيس بمهـــم، فوجـــدت التوقيعات في جميعها، فلم تكن لي همة إلا تفريقها، والركوب إليه لشكره.." (١).

وكانـــت تنتهي إلى هذا الديوان الرقاع والعرائض المرفوعة للخليفة، وينسخ عنها بعد أن يوقع عليها نسخة تحفظ في الديوان ويرسل الأصل إلى الجهة ذات العلاقة(٢).

كان رعايا الدولة في الولايات والأمصار كثيرا ما يتعرضون لأشكال الظلم والاضطهاد، والاعـــتداء والتسلط، ونوائب الدهر ومصائبه، فيلجأون إلى من يمثل السلطة، من خليفة أو أمير أو وزيـــر يشـــكون إلـــيه أمرهم، ويعرضون عليهم مطالبهم، ويتوسلون إليهم لقضاء حوائجهم، فيبعـــثون بالـــرقاع والقصـــص إلى أولي الأمر منهم، وينتظرون توقيعه بكل تلهف، أملاً بقضاء الحاجة، وتوقا إلى الإنصاف والعدل.

وبإنشـــاء هذا الديوان، أصبحت التوقيعات على اختلاف أغراضها تناط به، وكان يشرف علـــيه عـــدد من مهرة الكتاب يتولون التوقيع على الكتب الواردة على أبواب الخلفاء، وقد ازداد نفـــوذ كـــتاب التوقـــيع منذ خلافة الرشيد، حينما كان جعفر البرمكي متوليا أمر الوزارة فقد أدت كـــثرة المكاتـــبات، وضيق وقت الوزير إلى إسناده أمرها إلى الكتاب ليتصرفوا فيها بما يتفق مع العدل. ويذكر الجهشياري : "ولم تزل كتب الملوك والرؤساء تجري في التوقيعات على أن يوقع الرئـــيس في القصة بما يجب فيها، ويذكر المعاني التي يأمر بها، ولم يكن للكتاب في ذلك الأمر شـــيء أكثر من أن يكتبوا لتلك الجملة من التوقيع ألفاظا تشرحها، ويقرب من العامة فهمها، ولا تخرجها عن معنى قصد الرئيس إلى أيام الرشيد..." (٣).

ولعلـــه يتضـــح مـــن حديـــث الجهشياري أن كتاب ديوان التوقيع ظلوا حتى أيام الرشيد يقتصر عملهم فقط على الاستماع لرأي الخليفة، أو الوزير في المكاتبات التي ترد إلى الديوان ثم كـــتابة المعانـــي التـــي يأمر بها وفق نظام الإملاء المعروف، ولم يكن لهم التصرف فيها إلا في أضيق الحدود، بحيث تقربها إلى فهم من يقرؤها أو توضح معناها. ولكن ما إن جاء عهد الرشيد وتولـــى جعفر هذا الأمر، وكثرت عليه المكاتبات حتى ترك قدراً كبيرا من الحرية في التصرف في التوقيع على المكاتبات، التي يتشابه فحواها ولا تحتاج إلى أن تعرض عليه شخصياً، لإبداء

---

(١) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص١٨٨.

(٢) انظر: حسين فلاح الكساسبة، **المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين)**، منشورات جامعة مؤتة، الكرك، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ١٥.

(٣) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص ٢١٠.

والرقعة، ويشرح حالها وما لعله يكون جرى فيها.. [١].

وقد حظي هذا الديوان – كغيره من الدواوين – بعناية واهتمام كبيرين من أولي الأمر من الخلفاء والوزراء، فقد تولى الخلفاء أمر التوقيع بأنفسهم بداية الأمر. وفي ذلك يقول القلقشندي: "واعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء، فكان الخليفة هو الذي يوقع في الأمور السلطانية، وفصل المظالم وغيرهما"[٢].

أما فيما بعد، فقد عهدوا بها إلى كتاب يتقون بهم، فصار التوقيع مهنة، وصار له رجال من ذوي المقدرة البيانية، وكان لا بد من توافر شروط معينة لكي يتأهل الكاتب لهذا المنصب.

وورد في مواد البيان لعلي بن خلف: "أما صاحب التوقيع، فلا يحتمل تقصيره في شيء بالجملة، لأنه يد السلطان ولسانه، وإذا علم منه أصحاب الدواوين، غباوة وتخلفا وجهلا، بما يخرجونه، أدغلوا في المؤامرات وورروا مما يؤديهم إلى الارتفاق. وينبغي أن يكون مع تحصيل هذه الأدوات كلها حسن الخط، سريع البديهة، ديّنا، أمينا، نزه النفس، لا يخرج عما يؤمر به، ولا يتعداه لغرض من الأغراض كلها"[٣].

ولعله ينجلي للناظر، من حديث علي بن خلف، أن هناك شروطا لا بد أن تتوافر في الموقع، ليكون موقعا جيدا، ولتحظى توقيعاته بالأهمية والاستحسان، وأهم هذه الشروط: العلم والحكمة، وطول الخبرة، وسرعة البديهة، والنزاهة والأمانة، وحسن الخط.

وفي معرض حديث ابن خلدون عن التوقيع، يشير إلى بعض هذه الشروط بقوله: "واعلم أن صاحب التوقيع لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة، والحشمة منهم، وزيادة العلم، وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم، لما يعرض في مجالس الملوك، ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك. مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب، والتخلق بالفضائل، ومع ما يضطر إليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها"[٤].

---

(١) انظر: قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م)، **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م، ص ٥٣-٥٤.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١، ص١١١.

(٣) علي بن خلف الكاتب، المستوفى في مطلع القرن الخامس الهجري، **مواد البيان**، تحقيق: د. حسين عبداللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٧٤-٧٥.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **المقدمة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت، ص٢٤٧.

كما يشير القلقشندي إلى هذه الشروط، وأهمها عنده: أن يكون الموقع عالماً حكيماً عارفا بأحوال الناس، عميق التجربة، قوي الدربة، غزير الفضيلة، ذكي القريحة، فضلاً عن البلاغة وجزالة الرأي وسداده، وغيرها من الشروط[١].

واشترط النقاد شروطاً أخرى لكاتب التوقيع، كأن يكون دقيق الذهن، حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، مليح الاستعارة، حاد الذكاء، قوي الفطنة[٢].

وبهذا تتضح مدى أهمية فن التوقيعات في ذلك العصر، ومدى الرعاية والعناية التي لقيتها في تلك الحقبة، وكذلك أهمية منصب الموقع، وعلوّ منزلته، وقربه من مركز الخلافة والحكم، حتى قيل: "إنه يد السلطان ولسانه"[٣].

ولعله ينكشف للدارس، أن التوقيعات العربية شهدت تطوراً كبيراً في العصر العباسي، بسبب عوامل وبواعث حضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة، وقد تمخض عن ذلك غنىً وثراء في مادة التوقيعات من جهة، وتنوع في الأساليب وتعددها، من جهة أخرى، وبلغ هذا التطور ذروته بتأسيس ديوان التوقيع، الذي نظم شؤون هذا الفن، وأرسى أصوله، وعُني بأصحابه وأعلامه عناية واضحة، حتى أصبح الموقع يحظى بمنزلة رفيعة بين طبقات الكُتاب آنذاك.

خامساً: أصحاب التوقيعات

تعدّ التوقيعات من الألوان الأدبية التي شارك فيها قطاع كبير من الساسة، والكُتاب، والشعراء، والقضاة، والنساء، في العصر العباسي، ويلاحظ أن حدود هذا النوع لم تقف عند طائفة بعينها، بل شملت فئات متعددة. لقد انطلقت التوقيعات العربية بدءاً لتكون فن العِلْية من الناس، إذ اقتصرت في بداية الأمر على الخلفاء والأمراء، ولكنها بدأت تتسع شيئاً فشيئاً فعهد بها الخلفاء والأمراء إلى الكُتاب، بعد أن اتسعت الدولة، وزادت أعمالها، فتعذر على الخلفاء تتبع أمورها وشؤونها، والرد على تظلمات أفراد الرعية وشكاواهم واستعطافاتهم، فأوكلوا من ينوب عنهم في هذه المهمة، مع الأخذ بعين الاعتبار حرصهم على اختيار الأكفاء من الكُتاب،

---

(١) انظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١، ص ٥٥-٦٧. وانظر: هاشم مناع ومأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص ٢٢٥-٢٢٨.

(٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١، ص ٦٧. **وانظر**: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٥٣.

(٣) علي بن خلف، **مواد البيان**، ص ٧٤.

للتصـــدر لهذه المهمة الجليلة. ويتضح بعد استعراض التوقيعات العباسية التي وصلت إلينا، وبعد النظر إلى أصحاب هذه التوقيعات، أن طائفة من التوقيعات اختلف في نسبتها باختلاف المصادر التـــي أوردتهـــا، حتى إن شقة الاختلاف كانت تتسع -أحيانا- اتساعا لافتا، وهو ما يبدو واضحا في نسبة التوقيع الواحد إلى عدة موقعين.

ويمكن تصنيف أصحاب التوقيعات العباسية إلى الفئات الآتية:

١- الخُلفاء

بالـــرجوع إلـــى العهود الإسلامية المبكرة، نجد الخلفاء يتولون منذ صدر الإسلام مهمة التوقـــيع بأنفســـهم، وقـــد احتفظـــت المصـــادر بطائفـــة – ليست كبيرة – من توقيعات الخلفاء الراشـــدين[١]. واستمر هذا الفن في عهد بني أمية، ولكنه لم يعد يقتصر على الخلفاء، فقد وجدت توقيعات لأمراء هذا العصر وولاته[٢].

ومـــا أن نصـــل إلى العصر العباسي حتى نجد أن اهتمام الخلفاء قد زاد بهذا النوع من الكـــتابة، فقد دارت في الكتب الأدبية والتاريخية توقيعات كثيرة، نسبت لأكثر الخلفاء العباسيين، ولاســـيما العباســـيون الأوائـــل، فقـــد وصـــلت إلينا توقيعات للخليفة السفاح[٣]، والمنصور[٤]، والمهـــــدي [٥] ، والهـــادي [٦] ، والرشيـــد [٧] ، والأميـــن [٨] ، والمأمـــون [٩] ، والمعتصـــــم

---

(١) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٠٦-٢٠٧. وأحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**،ج١، ص٥٣٠-٥٣١.

(٢) انظر: ابن عبد ربه، **العقـــد الفريد**، ج٤، ص ٢١٧. وأحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٢، ص ٥٠٢-٥٠٣.

(٣) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١١.

(٤) انظـــر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١١-٢١٢. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ٣٦٩-٣٧١.

(٥) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١١-٢١٢. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ٣٦٩-٣٧٢.

(٦) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٣. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ٣٧٤

(٧) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٣-٢١٥. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ٣٧٥-٣٧٧.

(٨) انظـــر: الراغـــب الأصـــفهاني، أبـــو القاســـم، الحسين بن محمّد (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ج١، ص ٧٦.

(٩) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٥، ٢١٦، ٢٥١. وج٢، ص ٣٣٢. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٣، ص ٣٥٨ و ج٤، ص ٣٧٨-٣٨١.

بـــالله[١] ، والواثـــق بالله[٢]، والمتوكل على الله[٣]، والمستعين بالله[٤]، والمعتز بالله[٥]، والمهتدي بالله[٦]، والمعتضد بالله[٧]، وابن المعتز بالله[٨]، والمقتدر بالله[٩]، والراضي بالله[١٠].

ولعـــل خليفة لم يبرع في التوقيعات براعة المأمون، فقد نقلت له عدد من مظان التراث، مـــا يربو على خمسين توقيعا[١١]، ولعل ما ساعده على الاهتمام بهذا اللون من الكتابة السلطانية، والافتتان به، والبراعة فيه، أنه عرف ببراعته الأدبية، وذكائه الفكري، وما عُرف عنه من عنايةٍ

---

(١) انظر: التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمّد (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م)، **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٤، ص ١٣١.

(٢) انظـــر: الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، **تـــاريخ بغداد**، مصورة عن طبعة الخانجي المصرية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.، ج١٤، ص ١٧. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ٣٨١.

(٣) انظر: التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص ٦٢. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ١٦٣ -١٦٤.

(٤) انظـــر: الآبـــي، أبـــو سعد، منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **نثر الدر**، تحقيق: محمّد علي قرنة ومحمّـــد إبراهيم عبدالرحمن ومنير محمّد المدني وسيدة حامد عبدالعال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٣، ص ١٣٣.

(٥) انظر: الطبري، محمّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، مصورة عن الطبعة المصرية، دار التراث، بيروت، د.ت.، ج٩، ص ٣٩٢. والآبي، **نثر الدر**، ج٣، ص ١٣٤.

(٦) انظـــر: البيهقي، إبراهيم بن محمّد (كان حيا قبل ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، **المحاسن والمساوئ**، نشره: محمّد سويد، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٦٠١.

(٧) انظر: ابن العمراني، محمّد بن علي بن محمّد (ت نحو ٥٨٠هـ/١١٨٤م)، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار والبحوث المصرية، ليدن، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص١٤٣.

(٨) انظر: الثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٣٤. وأحمد صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ٤٠٠.

(٩) انظـــر: الثعالبـــي، **الاقتباس من القرآن الكريم**، تحقيق: ابتسام الصفار ومجاهد بهجت، دار الوفاء، الطبعة الأولى، المنصورة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص ١٤٩.

(١٠) انظر: الصولي، أبو بكر، محمّد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م)، **الأوراق (أخبار الراضي والمتقي)**، تحقيق: ج. هيورث د.ن، بيروت، دار المسيرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٥٨.

(١١) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٥-٢١٦، ٢٥١. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقـــيعات العرب**، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١، ص٨٧-١١٥.

بإقامـــة نظام العدل، الذي يُعد ركناً مهماً لازدهار حركة التوقيعات، مما أهله لإجادة التوقيعات، على الكتب المرفوعة إليه، في حين لم تنقل المصادر سوى توقيع واحد لأخيه الأمين[١].

ويتـبوأ المنصور والرشيد، المنزلة الثانية بعد المأمون في عنايتهما بالتوقيع. فقد وردت لهمـــا توقيعات كثيرة[٢]، أما بقية خلفاء بني العباس، فقد ضنت المصادر بتوقيعاتهم، فلم تنقل لهم سوى عدد قليل من التوقيعات، ولعل السبب في ذلك، قصر فترة خلافة بعضهم من جهة، أو قلة اهـتمام بعضـــهم الآخـــر بهـــذا الـــنوع من جهة أخرى، إذ كلفوا من ينوب عنهم في الرد على الرســـائل، مـــن وزراء وكـــتاب وأدبـــاء، وقد يرجع الأمر إلى إهمال مؤرخي الأدب لكثير من التوقيعات التي كتبها هؤلاء.

ومع اهتمام الخلفاء العباسيين بالتوقيعات، إلا أن تعاطي هذا اللون لم يعد مقتصراً عليهم، فقد شاركتهم طوائف أخرى سيرد الحديث عنها.

٢ـ الأمراء والولاة والقادة:

بـــرع أمراء الدولة العباسية وقادتها وولاتها في التوقيعات، شأنهم في ذلك شأن خلفائهم، إذ حـــذوا حذوهـــم فـــي السياسة والقيادة، وائتمروا بأمرهم، وكانوا سنداً للخلفاء، يديرون شؤون ولايـــاتهم، ويســـيرون جيوشهم في حقبة اتسعت فيها حدود الدولة، وكثرت أعمالها، فتعذر على الخلـــيفة حكمهـــا، وإدارة شؤونها وحده، فكان لابدّ من تعيين الولاة والأمراء والقادة للقيام بمهام الولايات والأمصار البعيدة عن مركز الخلافة في بغداد أو سامراء.

وقد أمدتنا المصادر العربية بتوقيعات كثيرة لهؤلاء الأمراء والولاة والقادة، مثل: عبدالله بـــن علي العباسي[٣]، ومعن بن زائدة الشيباني[٤]، وأحمد بن محمّد بن المدبر[٥]، وغيرهم. ولعل أســـرة لـــم تـــزاحم أســـرة الـــبرامكة الوزراء، كما زاحمتها أسرة الطاهريين الولاة، في إجادة

---

(١) انظـــر: الراغـــب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ٧٦. ومحمّد الدروبي، وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٦.

(٢) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار: **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٧-٦٦، ٧٢-٨٥، ٨٧-١١٥.

(٣) انظـــر: أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٢، ص ٥٠٠. ج٣، ص ١٦-١٧ . ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢١١-٢١٢.

(٤) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص ٨٦. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢١٣.

(٥) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٢٠.

التوقـيعات، ومـن أشـهر موقعـي هذه الأسرة: طاهر بن الحسين الخزاعي[١]، مؤسس الدولة الطاهـرية، فقد وردت له توقيعات كثيرة، وكان على شاكلته ابنه عبدالله[٢] الذي أجاد هذا اللون من الكتابة وبرع فيه، وكذلك محمّد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي[٣]، وأخوه عبيد الله بن عبدالله الخزاعي[٤].

٣ـ الوزراء

أصـبح الـوزراء من أهم فئات الموقعين في الدولة العباسية، فقد عنوا بالتوقيعات عناية فائقـة واشـتهروا بها، واشتهرت بهم، لا سيما أن الخلفاء أوكلوا إلى الوزراء جلّ شؤون الدولة، ومنها الردود على الرسائل التي ترد إلى ديوان الخلافة، سواء أكانت من الولايات والأمصار أم من أفراد الرعية.

ومـن أشـهر هؤلاء الوزراء: يحيى البرمكي[٥]، والفضل بن سهل[٦]، وأخوه الحسن بن سهل[٧]، وابن الزيات[٨]، والصاحب بن عباد[٩]، وغيرهم.

ولعـل وزيـراً لم يبرع في التوقيعات، براعة جعفر البرمكي، فقد عرف بكثرة توقيعاته وبلاغتها ونفاذها حتى قيل: "إنه وقع في ليلة واحدة بين يدي الرشيد، أكثر من ألف توقيع، ولـم

---

(١) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٢١-٢٢٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٢٦-٢٣٣.

(٢) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٣٤-٢٤١.

(٣) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٢٤٣-٢٤٦.

(٤) **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٥) انظـر: الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٥. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٧-٢٨٨.

(٦) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ١٥٦-٢١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٨٩-٣٠٣.

(٧) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٦-٣١٣.

(٨) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٢٦-٣٣٠.

(٩) انظر: الثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٣٧-١٣٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٧٧-٣٩٣.

يخرج في شيء منها على موجب الفقه"[١].

ويعلـق مصطفى الشكعة على هذه المقولة قائلاً: " وسواء أصحت هذه الرواية أم كانت مـن قبيل المبالغة، فإن الأمر الذي لا شك فيه، أن جعفرا كان ذا مقدرة وذوق وبلاغة في كل ما صـدر عـنه من توقيعات، فتنت الأدباء وتلقفها المتأدبون"[٢]. وهكذا تنافس البلغاء في تحصيل توقيعاته والوقوف على أساليبها الجميلة، وعباراتها الرائعة، حتى قيل: "إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار"[٣].

ويقـول الجهشـياري كذلـك: "وكـان جعفر بليغاً كاتباً، وكان إذا وقع نسخت توقيعاته وتدورسـت بلاغاته"[٤]. ولا أدل على بلاغة جعفر البرمكي وعنايته بهذا الفن من وصيته لكتابه: "إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقيعات اختصاراً فافعلوا"[٥].

وقـد فتـن الـناس بتوقـيعات جعفر، وأعجبوا بها أشد الإعجاب، فأصبحوا ينتظرون صـدورها، وإذا تأخـرت فإنهم لا يتوانون عن رفع القصص والحوائج إليه، رغبة في توقيعاته البلـيغة أكثر من رغبتهم في قضاء هذه الحوائج، وقد ورد في تحفة الوزراء: "وكان الناس ربما تكلفوا رفع القصص والحوائج إلى جعفر لحصول تواقيعه على رقاعهم"[٦].

٤ـ القضاة والفقهاء

وهي الطبقة الرابعة من أصحاب التوقيعات العباسية، إذ كانوا يوقعون بالنظر في حوائج الناس، وشكاواهم واستفساراتهم في أحكام الشريعة، ولذا جـاءت معظـم توقيعاتهـم متصـلة

---

(١) ابـن خلكـان، أبـو العباس شمس الدين، أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٧٨هـ/١٩٧٨م، ج١، ص ١٠٥.

(٢) مصـطفى الشكعة، **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية**، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٧٢.

(٣) ابن خلدون، **المقدمة**، ص١٧٣.

(٤) الجهشياري، **الوزراء والكـُتاب**، ص٢٠٤.

(٥) **المصدر نفسه**، ص١٢٩.

(٦) الثعالبـي، أبو منصور، **تحفة الوزراء**، تحقيق: سعد أبو دية، دار البشير، الطبعة الأولى، عمان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤م، ص٨٣.

بالأحكـــام الشرعية، ومن هؤلاء الموقعين: عمرو بن عبيد البصري[١]، والإمام محمّد بن إدريس الشافعي[٢]، والقاضي أحمد بن أبي دُواد[٣]، والقاضي يحيى بن أكثم[٤]، وغيرهم.

ويلحـــظ فـــي توقـــيعات هذه الفئة، أنها قليلة إذا ما قورنت بتوقيعات خلفاء بني العباس ووزرائهـــم وقـــادتهم، كمـــا أن بعضـــها يـــنحو مـــنحى الدعابة والطرافة، لا سيما في القضايا الاجتماعية، وسؤال السائلين لهم عن أحوال العشق والعاشقين.

٥ـ الأدباء واللغويون

وجـــدت توقيعات لا بأس بها لهذه الطبقة، وتكاد في معظمها تميل إلى الشعر، وهو شعر من نظم أصحابها، ولا يستغرب ذلك ما دامت هذه التوقيعات صادرة عن أدباء وشعراء، فالشعر وســـيلتهم الفضـــلى للتعبـــير، كما أن الرقاع التي تصل إليهم كثيراً ما كانت مكتوبة شعراً، فيجد الموقع في هذه الحال أنه من الأنسب الرد عليها شعراً بالمثل.

ولعـــل يوسف بن القاسم الكاتب[٥]، من أشهر هؤلاء الموقعين، فقد وجدت له طائفة من التوقيعات، كما وجدت توقيعات للشاعر أبي نواس[٦]، والكاتب إبراهيم بن العباس الصولي[٧]،

---

(١) انظـــر: ابـــن عـــبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٢٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤١١.

(٢) انظـــر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عـــباس، دار الغـــرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ونشره: أحمد فريد الرفاعي عن طبعة مرجليوث، مكتـــبة عيســـى البابـــي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ج٦، ص ٢٤٠٦. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤١٢.

(٣) انظـــر: الأزدي، ظافر بن الحسين الحلبي (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م)، **أخبار الدولة المنقطعة**، تحقيق: محمّد بن مســـفر الزهرانـــي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٧٩-١٨٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤١٣.

(٤) انظـــر: الأبي، **نثر الدر**، ج ٢، ص٢٠٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج ٣، ص٤١٤.

(٥) انظـــر: الصولي، **الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين)**، ص ١٥٨-١٦٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤٣٣-٤٣٨.

(٦) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤٤٠-٤٤١.

(٧) انظر: الآبي، **نثر الدر**، ج٥، ص١٠٣، ١٠٧.ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٣، ص ٤٤٨-٤٤٩.

والأديب أبي العيناء البصري[١]، وغيرهم.

وقــد عَــدّ إبراهيم الصوليّ، الذي كان رئيساً لديوان الرسائل في عهد المتوكل، التوقيع بمــنزلة الحــياة للكِتَاب، فقد قال: "الكتب موات ما لم يوقع فيها توقيع الختم وتختم، فإذا فعل ذلك بها عاشت"[٢].

٦ـ النساء:

يمكــن القــول إن العصور المتقدمة لم تشهد توقيعات للنساء، فلم تنقل المصادر توقيعات للنســاء قبل العصر العباسي ، ولكن أتيحت الفرصة للمرأة في العصر العباسي لأن تصدر عنها توقــيعات فقــد تضــمنت بعض المصادر إشارات إلى توقيعات للنساء[٣]، بيد أن التوقيعات التي وصلت إلينا تعد قليلة جداً.

ومــن أشهر النساء الموقعات: الخيزران[٤]، وزبيدة بنت جعفر[٥] زوج الرشيد، وفاطمة القهــرمانة[٦]، فضــلاً عن بعض الجواري والقيان اللواتي تعاطين هذا النوع من الكتابة أحياناً، نظراً لمنزلتهن المرموقة في البلاطات العباسية.

ولم يقف الأمر عند التوقيع فحسب، بل وصل إلى أن كان لهؤلاء النساء الموقعات كتاب للإنشاء، فقد كان عمر بن مهران كاتباً مختصاً بالكتابة للخيزران، ولم يكتب لغيرها[٧].

وكان سباع كاتباً لعلية بنت المهدي[٨]، كما أن هناك إشارات إلى أن فاطمة القهرمانة،

---

(١) انظــر: الراغــب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ٣٩٤، ٤٢٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤٥٤.

(٢) انظــر: الصولي، أبو بكر، محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)، **أدب الكتاب**، نشره: محمّد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص١٤١.

(٣) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٦، ص ٧١، ص ٤٠٩ والآبي، **نثر الدر**، ج٤، ص ٢٥٢، وج٧، ص ٢٦٩، وابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، ج٢، ص ١١٠-١١١.

(٤) انظر: الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص ٢٢١.

(٥) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤٧٣.

(٦) انظر: الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص ٨٤.

(٧) انظر:: **المصدر نفسه**، ص ٢١٨.

(٨) انظــر: التنوخي، أبو علي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج١، ص ١٢١.

من ربات السياسة والدهاء والنفوذ والسلطان في عهد المقتدر، كانت توقع على مراسم الدولة[١].

وكانـــت السيدة زبيدة كاتبة بليغة، عميقة الاطلاع مدركة للأمور، وربما فضلت توقيعاتها على بعض توقيعات الرجال الذين عرفوا بالبلاغة"[٢]. فقد ذكر لعمرو بن مسعدة، كاتب المأمون توقـــيعات جعفـــر بن يحيى، وكان مشهوراً بدقته، وبلاغته في التوقيعات فقال: "قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها، فوجدتها أجود اختصاراً وأجمع للمعاني"[٣].

كمـــا برعـــت بعـــض الجواري بهذه التوقيعات، ومنهن جارية خالد بن برمك، واسمها ســـرور، كانـــت أكتب الناس بقلم، وأحسنهم علماً، وكانت توقع بين يديه، فتخرج التوقيعات إلى الكتاب [٤].

سادساً: مصادرها

تـــتوزع التوقـــيعات العباســـية فـــي طائفـــة كبيرة من المصادر العربية القديمة، الأدبية والتاريخية منها على حدّ سواء، وتجدر الإشارة إلى أن التوقيعات العباسية، لا توجد في جُلّ هذه المصادر في أبواب مستقلة، وإنما توجد متناثرة في طيات هذه المصادر وتضاعيف الأخبار، كما أن هـــذه المصادر تتباين في مدى اهتمامها وعنايتها بالتوقيعات، فقلة من هذه المصادر، خصت التوقـــيعات بفصول أو أجزاء كالعقد الفريد لابن عبد ربه، وخاص الخاص للثعالبي، أما المصادر الأخـــرى، فقـــد أوردت هذه التوقيعات في طياتها، أثناء الحديث عن عصر من العصور، أو عن شخصية من الشخصيات، أو في سياق الحديث عن فنون الأدب وصنوفه عبر العصور المختلفة، وخاصة فن النثر.

وســـأبدأ الحديـــث عن هذه المصادر، بالنظر إلى تسلسلها الزمني المقارب محاولة تحديد قيمة كل مصدر، وما أمدنا به من التوقيعات العباسية، وتسير الخطة على النحو الآتي:

---

(١) انظـــر: واجـــدة الأطرقجـــي، **المرأة في أدب العصر العباسي**، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٣١١.

(٢) انظر: واجدة الأطرقجي، **المرأة في أدب العصر العباسي**، ص ٣١١.

(٣) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١، ص ٦٤.

(٤) انظـــر: الزمخشـــري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، تحقيق: سليم النعيمي، دار الذخائر للمطبوعات، قم، ١٣١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج٣، ص ٥٤٧.

١ـ كتاب بغداد لابن طيفور

يعد كتاب بغداد لابن طيفور، من أقدم المصادر التاريخية التي عنيت بالتوقيعات العباسية، إذ أورد طائفة من التوقيعات العباسية، ثلاثة منها للخليفة العباسي المأمون[١]، أما بقية التوقيعات، فقد اقتصرت على توقيعات طاهر بن الحسين الخزاعي، أحد القادة العباسيين، إذ أورد ابن طيفور له ما يربو على عشرين توقيعا[٢].

وتبرز قيمة كتاب ابن طيفور في إثبات هذه التوقيعات، أنه كان معاصراً، ولعله نقلها عن ديوان التوقيع نفسه، ولاسيما أنه لم يصرح بالمصدر الذي نقل عنه التوقيعات التي أثبتها في كتابه.

والملاحظ أنه اقتصر على طرف من توقيعات العصر العباسي، ولا سيما المدة التي تولاها المأمون، إذ أورد توقيعات للخليفة ولقائد جيشه فحسب، ولعل السبب في ذلك أن كتاب بغداد، ضاعت أكثر أجزائه، ولم يبق بأيدينا سوى الجزء الخاص بعصر المأمون.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن طيفور، لم يكن غرضه جمع التوقيعات، وإنما وردت عرضاً أثناء حديثه عن عصر المأمون.

٢ـ العقد الفريد لابن عبد ربه

يعدّ العقد الفريد من أهم المظان العربية القديمة التي جمعت التوقيعات العربية والمعربة، إذ عقد ابن عبد ربه مطلباً في باب من أبواب كتابه، جمع فيه طائفة من توقيعات الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والقادة والأمراء، كما ساق فيه طائفة من توقيعات وزراء العصر العباسي[٣]. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب العقد الفريد، قدم نحو مئة توقيع عربي جديد، ومن هنا فقد اعتمده كثير من اللاحقين في إيراد توقيعات العصر العباسي.

أورد ابن عبد ربه طائفة من توقيعات خلفاء بني عباس، واقتصر على توقيعات: السفاح[٤]،

---

(١) انظر: ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص ٨١-٨٢، ١٠٠.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٦٨-٧٠.

(٣) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٨-٢٢١.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢١١.

والمنصور[١]، والمهدي[٢]، والهادي[٣]، والرشيد[٤]، والمأمون[٥]، ويلاحظ أنه توقف عند توقيعات المأمون، ولم يتابع توقيعات النفر الباقين من الخلفاء العباسيين كالأمين، والمعتصم، والواثق، ومن جاء بعدهم، كما أنه أخلّ بتوقيعات الخليفة الأمين – على قلتها– ولعله لم يجد له توقيعات كافية، وهذا ما لاحظه صاحبا "جمهرة توقيعات العرب"، إذ لم يجدا للأمين سوى توقيع واحد[٦].

وساق ابن عبد ربه كذلك طائفة من توقيعات أمراء العباسيين وولاتهم ووزرائهم كأبي مسلم الخراساني[٧]، وجعفر البرمكي[٨]، وطاهر الخزاعي[٩]، والفضل بن سهل[١٠]، وأخيه الحسن بن سهل[١١]، ويلاحظ هنا أيضا أن ابن عبد ربه أغفل توقيعات بعض الوزراء والكتاب المشهورين، كيحيى البرمكي وأحمد بن يوسف وإبراهيم بن العباس الصولي وغيرهم.

وجدير بالذكر أن ابن عبد ربه، كان أول من فزع إلى جمع طائفة من توقيعات الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، إضافة إلى توقيعات مبرزي الولاة والعمال والكتاب والأمراء والوزراء على اختلاف هذه الأعصر[١٢]، ولعل اللافت في جمعه أنه جاء من أحد الأندلسيين الذين تبعد بلادهم عن المشرق مسافات بعيدة.

٣ـ الأوراق للصولي

جمع الصولي في كتابه الأوراق طائفة من التوقيعات العباسية ، والأجزاء التي وصلت

---

(١) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١١-٢١٢.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢١٣.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢١٣-٢١٥، ج٥، ص ٦٥، ٦٩، ج٦، ص ٤٠٩.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٣٣٢، ج٤، ص ٢١٥-٢١٦.

(٦) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٦.

(٧) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢١٨.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٢٧٢، ج٤، ص ١٥٦، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٣.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢٢٠.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢٢٠-٢٢١.

(١٢) انظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٧٢.

إليـنا لا تشير إلا إلى توقيع واحد للخلفاء، وهو توقيع الخليفة العباسي الراضي بالله[١]، كما أورد الصولي طائفة من توقيعات بعض وزراء الدولة، أمثال: يحيى البرمكي[٢]، وأحمد بن يوسف[٣]، ويعـد كتاب الأوراق مصدراً مهماً لتوقيعات أحمد بن يوسف – على وجه خاص– فقد أورد له سبعة توقيعات.

كمـا عنـي الصولي بجمع طائفة من توقيعات الأدباء واللغويين، فقد نقل لهم نحو ثلاثة عشر توقيعاً، حظي يوسف بن القاسم الكاتب بالنصيب الأكبر منها[٤].

ومـن اللافت أن الصولي لم يذكر المصدر الذي نقل عنه هذه التوقيعات، كما أنه انتقى هـذه التوقـيعات دون غـيرها مـن غير ذكر سبب اختياره لها، ولعل السبب في ذلك هو ذوقه الخاص، فلعله وجد أن هذه التوقيعات أكثر دلالة من غيرها.

٥٩٤٢٨٦

٤- المحاسن والمساوئ للبيهقي

عنـي البيهقـي في كتابه المحاسن والمساوئ بجمع طائفة من التوقيعات العائدة للعصر العباسـي، فقـد أورد نحـو أربعـة عشـر توقيعاً للخلفاء العباسيين كالمنصور[٥]، والرشيد[٦]، والمـأمون[٧]، والمهتدي بالله[٨]، فضلاً عن توقيعات بعض الوزراء، كيحيى البرمكي[٩]، وتوقيع واحد للقائد عبد الله بن طاهر[١٠] وآخر لعبد الله بن المقفع[١١].

ولعله اعتمد في نقل بعض هذه التوقيعات، على مصادر أخرى سبقته، بيد أنه لم يصرح بهذه المصادر، ومن الملاحظ اهتمامه بتوقيعات الخليفة المأمون، إذ أورد له ستة توقيعات.

---

(١) انظر: الصولي، **الأوراق (أخبار الراضي بالله والمتقي لله)**، ص ٥٨.

(٢) انظر: الصولي، **الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين)**، ص ١٥٦-١٥٧.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢٢٩-٢٣١.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٥٨-١٦٢.

(٥) انظر: البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ص ٥٦٠.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٥٩٩-٦٠٠.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٤٧، ١٧٤، ٥٥٩.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٦٠١.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ص٥٦٠.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٣٢٤.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٦٦٥-٦٦٦.

ويلاحظ مدى التنوع في طوائف الموقعين الذين أورد لهم البيهقي، فقد أورد للخلفاء والوزراء والقادة والكتاب، فضلاً عن أنها انتقائية تعتمد ذوق البيهقي واستحسانه بعض التوقيعات دون غيرها، كما صنع الصولي آنفا.

٥ـ البصائر والذخائر للتوحيدي

ينضاف كتاب البصائر والذخائر إلى المصادر الأساسية التي عنيت بالتوقيعات العباسية، بيد أن التوحيدي لم يعقد لها فصلاً خاصا، كما فعل ابن عبد ربه، بل تناثرت التوقيعات التي التقطها في طيات كتابه.

ساق التوحيدي ما يقرب من خمسين توقيعا، بعضها للخلفاء العباسيين كالمنصور[١]، والرشيد[٢]، والمأمون[٣]، والمعتصم[٤]، والمتوكل بالله[٥]، والمعتز بالله[٦]، وطائفة أخرى للقادة العباسيين كالحسين بن مصعب الخزاعي[٧]، وطاهر بن الحسين الخزاعي[٨]، ومحمّد بن عبد الله الخزاعي[٩]، بينما كانت معظم هذه التوقيعات لوزراء عباسيين كالفيض بن أبي صالح[١٠]، ويحيى البرمكي[١١]، وجعفر البرمكي[١٢]، والفضل بن سهل[١٣] الذي أورد له نحو ثلاثة عشر توقيعا. وكذلك الحسن بن سهل[١٤]، وأبي صالح ابن يزداد[١٥]، وأبي الحسن بن علي بن

---

(١) انظر: التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص ١٨، ج٧، ص ١٢٣، ج٩، ص١٠٩-١١٠.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٧، ص ١٣٧.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٦، ص٢٤٠-٢٤١، ج٩، ص ١١٧.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ١٣١.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٦٢.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٧٦.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٣٧.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢٦، ص٧٠.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٦.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٦، ص ٢٢١.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٢٥-١٢٦، ج٨، ص٢٢- ٥٣.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ١٨٥.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٧٠، ج٦، ص ٢٣٢.

(١٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٦، ص ١٧٥، ٢٣١.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٦، ص ١٥٨، ٢٠٤، ج٨، ص ٢٠٢.

عيســى[١]، ويبدو أن التوحيدي اعتمد في نقل بعض هذه التوقيعات مصادر سبقته، أبرزها العقد الفريد، بيد أنه لم يصرح بذلك.

٦ـ نثر الدر للآبي

أورد الآبــي فــي نــثر الدر طائفة جيدة من التوقيعات العائدة للعصر العباسي، تقارب خمسين توقيعاً، منها توقيعات جديدة لم ترد في مصادر أخرى[٢]، ومنها ما ورد في كتاب العقد الفريد[٣]، وكتاب البصائر والذخائر[٤].

ويلاحــظ مــدى التــنوع في طوائف الموقعين الذين أورد لهم الآبي، فقد أورد للخلفاء، والــوزراء، والقــادة والكــتاب، ومــن الخلفــاء العباسيين الذين أثبت توقيعات لهم: السفاح[٥]، والمنصــور[٦]، والمأمون[٧] الذي عني بتوقيعاته عناية واضحة، فقد أورد له ما يزيد على عشرة توقيعات، وكذلك المعتصم بالله[٨]، والمستعين بالله[٩]، والمعتز بالله[١٠]. فضلاً عن توقيعات القادة والأمــراء مثل: أحمد بن هشام[١١]، وعبد الله بن طاهر[١٢]، ومحمّد الخزاعي[١٣]، وكذلك بعض الوزراء كيحيى البرمكي[١٤]، وجعفر البرمكي[١٥]، والفضل بن سهل[١٦]، وغيرهم.

---

(١) انظر: التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٥، ص٥٣-٥٤، ج٩، ص ١٥٠.

(٢) انظــر: الآبي، **نثر الدر**، ج٣، ص١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١٣٣، وج٥، ص١٠٣، ١٠٧، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٩٣، ٣٠٥.

(٣) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٢، ٢١٥، ٢١٩، ٢٥١.

(٤) انظر: التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص ١٣١، ج٦، ص ١٣٤، ١٥٨، ٢٣١، ج٨، ص٢٠٢.

(٥) انظر: الآبي، **نثر الدر**، ج٣، ص ٧٨، ٨٠.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص٨٤- ٨٥.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٠٧- ١١٧، ج٥، ص ١٦٣.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٢٠.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٣٣.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٣٤.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٠٣.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٨٧.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢٦٢، ٢٦٤.

(١٤) انظر: الآبي، **نثر الدر**، ج٥، ص ١٠٣.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٣٢، ج٥، ص ١٠١، ١٢٨، ١٣٢، ج٧، ص ٦٧، ١٧١.

(١٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٨٣، ج٥، ص ١٠٤، ١١٥، ١٣٢.

٧ـ خاص الخاص للثعالبي

ربما تأتي أهمية هذا الكتاب، بالنظر إلى التوقيعات العربية، بعد كتاب ابن عبد ربه، فهو من المصادر المهمة التي عنيت بالتوقيعات العباسية عناية واضحة، إذ عقد الثعالبي في كتابه هذا فصلاً خاصاً بالتوقيعات العباسية، فقد عني بإيراد مجموعة جيدة من توقيعات الخلفاء العباسيين، كالسفاح[١]، والمنصور[٢]، والمهدي[٣]، والرشيد[٤]، والمأمون[٥]، وابن المعتز[٦]، كما أورد طائفة أخـرى من توقيعات القادة والأمراء العباسيين، كعبد الله بن علي العباس[٧]، وطاهر الخزاعي[٨]، وعبد الله بن طاهر الخزاعي[٩]، ومحمّد بن عبد الله الخزاعي[١٠].

كمـا عنـي بنقل طائفة من توقيعات وزراء الدولة العباسية، كأبي عبيد الله[١١]، والفيض ابـن أبي صالح[١٢]، ويحيى البرمكي[١٣]، وجعفر البرمكي[١٤]، والفضل بن سهل[١٥]، وعبيدالله ابن سليمان[١٦]، والصاحب بن عباد[١٧] الذي أورد له أكثر من عشرين توقيعا.

---

(١) انظر: الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٢٥، ١٣٠.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٣٠-١٣١.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣١.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٣١-١٣٣.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣٤.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٢٩.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣٣.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٣٣- ١٣٤.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣٤.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣٤.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣٥.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣٥.

(١٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٣٤- ١٣٥.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه** ، ص١٣٥-١٣٦.

(١٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٣٦.

(١٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٣٧- ١٣٩.

وقــد أورد الثعالبي أكثر من خمسين توقيعاً جديداً، لم يوردها أحد[١] من قبله، ويبدو أنه اعــتمد فــي نقــل أكثر توقيعات هذا الفصل على بعض المصادر المهمة التي سبقته إليها كالعقد الفريد والبصائر والذخائر ونثر الدر، وغيرها.

٨ـ يتيمة الدهر للثعالبي

ســاق الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر نحو عشرين توقيعاً، ويلاحظ أنه عني بنقل توقيعات بعض الوزراء العباسيين دون الخلفاء، فالتوقيعات التي أوردها الثعالبي في هذا الكتاب ترجع إلى القــرن الرابع ومطلع القرن الخامس، أي أنها تدخل في نطاق المدة التي ترجم الثعالبي لأعيانها ممن عاصرهم.

كما أنه اهتم على نحو لافت بالوزير الصاحب بن عباد[٢]، فقد أورد له نحو خمسة عشر توقــيعاً، وقد يفسر هذا الأمر بالنظر إلى توسع الثعالبي في الترجمة لهذا الوزير الذي كان على صــلة طيــبة مــع الثعالبــي. بالإضافة إلى توقيعين من توقيعات الأمراء، للأمير سيف الدولة الحمداني[٣]، ولأبي محمّد الحسن بن محمّد[٤]، كما خص القاضي علي التنوخي بتوقيع واحد[٥].

ويظهــر واضحاً أنه لم يصرح بالمصادر التي نقل عنها توقيعاته، ولعله التقطها بالسماع أو المكاتبة، ولا سيما أنها توقيعات معاصرة له.

٩ـ الوزراء للصابي

جمع الصابي في هذا الكتاب عدداً من التوقيعات العباسية، ولكنه لم ينقل توقيعات للخلفاء أو الأمــراء أو القــادة العباسيين، بل اقتصر على توقيعات الوزراء العباسيين، وذلك انسجاماً مع منهجه في التأليف عن الوزراء، ومن هؤلاء الوزراء: أبو الحسين علي بن محمّد[٦]، وأبو علي

---

(١) انظر: الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٠- ١٣٨.

(٢) انظــر: الثعالبي، **يتيمة الدهر**، نشر: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٣، ص ٢٣١-٢٣٤، ٣٨٠.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٨٢.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٦٥- ٢٦٧.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٣٢٦.

(٦) انظــر: الصابي، أبو الحسين، هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، **الوزراء**، نشره: حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٤٣- ٤٤، ص٥١-٥٥، ص٦٨-٧٣، ص٨٧-١٠٠، ص١٢٩-١٣١، ص١٥٢- ١٥٣.

محمّـد بن عبد الله[١]، وأبو العباس[٢] وأبو الحسن علي بن عيسى[٣]. ومن اللافت أنـّه اقتصر علـى إيـراد توقـيعات بعـض الوزراء، ولم يورد لهم جميعا، ولعل السبب أن كتابه لا يتعلق بالوزراء السابقين.

كمـا أن الصـابي لم يصرح بالمصادر التي نقل عنها توقيعات هؤلاء الوزراء، كما أن غرضـه فـي هـذا الكتاب لم يكن جمع التوقيعات، بل أنها جاءت عرضا في طيات كتابه أثناء حديثه عن هؤلاء الوزراء.

١٠ـ زهر الآداب للحصري

أورد الحصـري فـي كـتابه زهـر الآداب نحو ستة عشر توقيعا عباسيا اثنان للخليفة المـأمون[٤]، ويلاحظ هنا أنه لم ينقل توقيعات لخلفاء عباسيين آخرين، فقد اقتصر على المأمون، وتوقـيع للقائد عبيد الله الخزاعي[٥]، ثم نقل طائفة من توقيعات الوزراء العباسيين كأبي عبيد الله معاويـة[٦]، وجعفر البرمكي[٧]، والفضل بن سهل[٨]، والحسن بن سهل[٩]، وطائفة من توقيعات الشعراء والكتاب كأبي نواس[١٠]، وإبراهيم الصولي[١١].

ويبدو أن الحصري اعتمد في نقل هذه التوقيعات على مصادر سبقته كالعقد الفريد، ونثر الـدر، بـيد أنـه لم يصرح بمصادره، وتجدر الإشارة إلى أن الحصري، لم يكن غرضه جمع التوقيعات، وإنما جاءت عرضا في ثنايا كتابه، كما هي الحال عند أكثر المصادر السابقة.

---

(١) انظر: الصابي، **الوزراء**، ، ص ١٦٣.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٨٤.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٨٣-١٨٥، ص ١٩٧، ٢٠٨.

(٤) انظـر: الحصـري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م)، **زهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٤٧٨، ٤٨٥.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٩٤٣.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٧٦٦، ٨٦٥.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٤٢٠-٤٢١.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٣٥٦.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٤٨٨.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه** ، ج٢، ص ٣٨٧.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ١٩٠.

١١ـ محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني

يعـدّ كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني من المصادر الأدبية المهمة التي نقلت طائفـة مـن التوقيعات العباسية، ويلاحظ مدى التنوع في طوائف الموقعين الذين أورد الراغب توقـيعات لهـم، فقـد أورد توقـيعات للخلفـاء العباسيين كالسفاح[١]، والمهدي[٢]، والرشيد[٣]، والأميـن[٤]، والمأمون[٥]، والواثق[٦]، وكذلك أورد طائفة من توقيعات القادة والأمراء كمعن بن زائـدة[٧]، وطاهر الخزاعي[٨]، وعبد الله بن طاهر[٩]، ومحمّد بن عبد الله الخزاعي[١٠]، ويحيى البرمكـي[١١]، وجعفـر البرمكـي[١٢]، والحسن بن سهل[١٣]، وأبي الحسن علي بن عيسى[١٤]، والصاحب بن عباد[١٥].

كمـا نقـل توقـيعات للأدبـاء واللغويين العباسيين مثل: محمّد بن مكرم[١٦]، وإبراهيم الصولي[١٧]، وداود بن الجراح[١٨]، وأبي العيناء البصري[١٩].

---

(١) انظر: الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ٤٠١.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٠٥.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢١٩.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٧٦.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٧٦، ١٩٩، ٤٢٤.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢٤٣.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢٠٩.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٤٠١.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٨، ١٠٣، ١١١، ٤٠١.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٥٨، ١١١.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٧٦.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٨٠، ٤٠١.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٦٠٦.

(١٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٤٢.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٥٤، ١١٠.

(١٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٤٢٤.

(١٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢٤٢.

(١٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٥٥٤.

(١٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٤٢٤.

لـم يذكـر الأصـفهاني المصادر التي نقل عنها هذه التوقيعات، ويبدو أنه اعتمد بعض المصـادر التـي سـبقته، لا سيما العقد الفريد والمحاسن والمساوئ ونثر الدر، وقد تجاوز عدد التوقيعات الواردة في محاضرات الأدباء ثلاثين توقيعا.

١٢ـ ربيع الأبرار للزمخشري

أورد الزمخشري في ربيع الأبرار نحو سبعة عشر توقيعا، منها ما هو للخلفاء العباسيين كالسـفاح[١] والرشـيد[٢] والمأمون[٣] وابن المعتز[٤]، ومنها توقيعات للوزراء العباسيين كجعفر البرمكـي[٥]، والفضل بن سهل[٦]، والحسن بن سهل[٧]، والصاحب بن عباد[٨]. ويلاحظ اقتصار الزمخشـري علـى توقـيعات بعض الخلفاء وبعض الوزراء، فلم ينقل للقادة والأمراء والأدباء العباسيين.

كمـا يـبدو أن الزمخشري اعتمد بعض المصادر السابقة كالعقد الفريد وخاص الخاص ونثر الدر والبصائر والذخائر وغيرها، من غير أن يصرح بذلك.

١٣ـ التذكرة الحمدونية لابن حمدون

سـاق ابـن حمدون في تذكرته، طائفة من التوقيعات العباسية، تجاوزت عشرين توقيعا، منها توقيعات جديدة لم ترد في مصادر سابقة[٩]، ومنها ما ورد في مصادر أخرى سبقته، كالعقد الفريد[١٠]، ونثر الدر[١١].

---

(١) انظر: الزمخشري، **ربيع الأبرار**، ج٤، ص ٥٥٣.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٥٢٢، ج٥، ص ٢٧٧.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٦٠٠، ج٤، ص١٢٩- ١٣٠، ص٥٥٥، ٥٥٦.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٤٧٧.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٥٥، ج٣، ص ٥٩٥، ج٥، ص ٢٥٦.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ٦٨.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٧٠، ج٤، ص ٤٣٦، ٦٠٤، ج٥، ص ٣٨٦.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٥٨٧.

(٩) انظر: ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسـان عباس وبكر عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص ٣٣، ص٢٩٣-٢٩٤، ج٣، ص ١٧٧، ص٢٢٥، ج٥، ص ٥٧ وج٦، ص ٣١٦.

(١٠) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص ٢٧٢، ج٤، ص ٢١٢، ٢١٥، ٢٥١.

(١١) انظر: الآبي، **نثر الدر**، ج٣، ص٨٤-٨٥، ص ١١٠-١١٥، ص١٢٠، ٣٤، ٢٨٣ وج٧، ص١٧١.

فقد أورد ابن حمدون طائفة من توقيعات الخلفاء كالمنصور[١] والرشيد[٢] والمأمون[٣] والمعتصم[٤] والمعتز[٥]، وطائفة من توقيعات الوزراء مثل: أبي مسلم الخراساني[٦]، وجعفر البرمكي[٧]، والفضل بن سهل[٨]، والحسن بن سهل[٩]، وابن الزيات[١٠]، وأبي محمّد الحسن[١١]، والصاحب بن عباد[١٢].

ونقل توقيعاً للقاضي محمّد بن عبد الرحمن بن قريعة[١٣]، والأديب داود بن الجراح[١٤]، كما أثبت توقيعا من توقيعات النساء لزبيدة بنت جعفر[١٥].

١٤ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي

ينضاف معجم الأدباء إلى طائفة المصادر الأدبية، التي أثبتت طائفة من التوقيعات العباسية، فقد أثبت الحموي عدداً من هذه التوقيعات بلغت أربعة وعشرين توقيعا، أربعة توقيعات للخليفة المأمون[١٦]، وتجدر الإشارة إلى أن الحموي لم ينقل توقيعات لخلفاء عباسيين غير المأمون.

---

(١) انظر: ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، ج١، ٤٢٣.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٧، ص ٢٢٩.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٢٣-٤٢٤، ص ٤٤٩، ٤٦٦.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٣٤٧.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٤٤٩.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٣٣، ج٦، ص ٣١٦.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٧٧، ج٤، ص ١٠٦، ج٥، ص ٩٤.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٥٧.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٣٣٠، ج٤، ص ٧٨.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٥٥-١٥٦.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٧١.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٩، ص ٣٩٥.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٢٥.

(١٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٤٥١.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص١١٠-١١١.

(١٦) انظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**،ج١، ص١٦١-١٦٢، ج٢، ص٥٦٣- ٥٦٤، ج٥، ص٢١٣١، ج٦، ص٢٥٩٦.

نقــل كذلك طائفة أخرى من توقيعات القادة والأمراء مثل: إسحاق بن إبراهيم[١]، ومحمّد الخزاعــي[٢]. كما عني بتوقيعات بعض الوزراء العباسيين لا سيما الصاحب بن عباد[٣]. وأثبت الحمــوي طائفــة مــن توقيعات القضاة والأئمة، كالإمام محمّد بن إدريس الشافعي[٤]، والقاضي الفضــل بــن الحباب[٥]، وكذلك نقل بعض توقيعات الأدباء واللغويين كإبراهيم الصولي[٦] وابن المدبر[٧].

١٥ـ وفيات الأعيان لابن خلكان:

ســاق ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، طائفة من التوقيعات العباسية، فأورد توقيعين للخلــيفة المأمون[٨]، ولم ينقل لخليفة غيره. كما أورد توقيعين للقائد عبد الله بن طاهر[٩]، وأغفل بقــية القــادة والأمــراء العباســيين، أما معظم التوقيعات التي أوردها ابن خلكان، فهي للوزراء العباســيين، ومــنهم: يحــيى البرمكــي[١٠]، وجعفر البرمكي[١١]، والحسن بن سهل[١٢]، وعمرو الصولي[١٣]، ومحمّد بن عبد الملك الزيات[١٤]، وأبو محمّد المهلبي[١٥]، والصاحب بن عباد[١٦]،

---

(١) انظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٥، ص١-٢.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٥٤٥- ٥٤٦.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٦٩٥، ص٧٠٣- ٧٠٨، ص٩١٦- ٩١٧، ج٤، ص ١٦٧٧.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٦، ص ٢٤٠٦.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ٢١٧٣.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٢٨١.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٧٨٤- ٧٨٥.

(٨) انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص ٤٧٦، ج٤، ص ٣٤٩.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٨٧.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢٨.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٣٢٩، ٤٧٤، ٤٧٥.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٢٢.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٤٧٦.

(١٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٥، ص ١٠٢.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص١٢٤- ١٢٥، ج٦، ص١٠٢- ١٠٣.

(١٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ٢٣٠، ص٤١٤- ٤١٥.

فضلاً عن نقله توقيعاً للفقيه محمّد الظاهري[١]، وتوقيعاً آخر للشاعر أبي تمام[٢].

ويبدو أن ابن خلكان، اعتمد في نقل هذه الطائفة من التوقيعات العباسية على طائفة من المصادر الأدبية والتاريخية السابقة، ومنها: العقد الفريد، والبصائر والذخائر، ومعجم الأدباء، وغيرها.

١٦ـ مصادر أخرى

ولا يعني ذكر المصادر الآنفة والحديث عن عنايتها بالتوقيعات العباسية، أن المصادر الأدبية والتاريخية الأخرى، لم تتعرض للتوقيعات ولم تذكرها، بل إنها لم تعن بنقلها كما عنيت تلك المصادر. فقد وردت طائفة غير قليلة من التوقيعات العباسية متناثرة في ثنايا هذه المصادر وطياتها، ومنها : الوزراء والكُتاب للجهشياري، فقد نقل طائفة من توقيعات الخلفاء العباسيين كالمهدي[٣]، والرشيد[٤]، والمأمون[٥]، وللوزراء كالفيض بن أبي صالح[٦] وجعفر البرمكي[٧]، والفضل بن سهل[٨].

ونقل الثعالبي في كتابه الإعجاز والإيجاز ما يزيد على عشرة توقيعات، منها للخلفاء العباسيين كالمنصور[٩] والرشيد[١٠]، وللقادة مثل عبد الله بن علي العباسي[١١]. والوزراء مثل

---

(١) انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٤، ص٢٦١.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ١٣.

(٣) انظر: الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص ١٥٩.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢٥٣.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٣٠٦.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٦٦.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢٠٥.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ص٣٠٧- ٣٠٨.

(٩) انظر: الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) **الإعجاز والإيجاز**، مصورة عن نشرة اسكندر أصاف، دار البيان، بغداد، ودار صعب- بيروت، د.ت، ص ٧٨.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٨٠.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٧٩.

جعفر البرمكي[١]، والفضل بن سهل[٢]، ومحمّد بن يزداد[٣]، وعبيد الله بن سليمان[٤].

كمـــا نقل الثعالبي في تحفة الوزراء، المنسوب إليه، طائفة من التوقيعات العباسية توقيع واحد للمأمون[٥]، وما بقي منها لوزراء عباسيين اشتهروا بكثرة توقيعاتهم مثل يحيى البرمكي[٦]، وجعفر البرمكي[٧]، والفضل بن سهل[٨]، والصاحب بن عباد[٩].

ومن المصادر الأخرى كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، فقد أورد في كتابه نحو أحد عشر توقيعاً، للخلفاء العباسيين كالمنصور[١٠] والمأمون[١١] والواثق، وللقادة كمعن بن زائدة[١٢]، وعـــبد الله بن طاهر[١٣]، وطائفة من توقيعات القضاة والأدباء كالقاضي إسماعيل بن إسحاق[١٤] وغلام ثعلب[١٥].

ووردت كذلـــك طائفـــة مـــنها فـــي كتاب نهاية الأرب للنويري، منها للخلفاء العباسيين كالمنصور[١٦] والرشيد[١٧] والمأمون[١٨] والمقتدر[١٩] ومنها للقادة كالقائد عبد الله بن طاهر[٢٠]

---

(١) انظر: الثعالبي، **الإعجاز والإيجاز** ، ص ٩٩.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٠٠.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٠١- ١٠٢.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٠٥.

(٥) انظر: الثعالبي، **تحفة الوزراء**، ص ٩٩.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص٩٨- ٩٩.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٩٩.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٩٩.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٩٧، ص ١٠٠.

(١٠) انظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٠، ص ٥٦.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٩، ج٦، ص ١٤٤، ٢١٠.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج١٣، ص٢٣٧- ٢٣٨.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٩، ص ٤٨٣.

(١٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٧، ص ٢٨٤.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص ٣٥٦.

(١٦) انظـــر: الـــنويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **نهاية الأرب**، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت، ج٣، ص ٣٠٨.

(١٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢٢، ص١٤٧-١٤٨.

(١٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٧، ص٢٦٢- ٢٦٣، ج٢٢، ص ٢١٥.

(١٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢٣، ص ٦٢.

(٢٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٦، ص٦٦- ٦٧.

وجعفر البرمكي[١] ويحيى البرمكي[٢] وابن الزيات[٣].

ومـــن ذلك أيضا ما أورده العمري في مسالك الأبصار، فقد أورد نحو ستة عشر توقيعا، مـــنها للمـــأمون[٤]، ولـــوزراء عباسيين كيحيى البرمكي[٥]، وجعفر البرمكي[٦]، معتمدا في نقل معظمها على مصادر سبقته.

وأورد الصـــفدي في كتابه الوافي بالوفيات نحو ثلاثة عشر توقيعا، معظمها من توقيعات الوزراء العباسيين[٧]، في حين لم يرد فيه توقيعات لخلفاء عباسيين.

ومـــن المصـــادر الأخـــرى التـــي نقلـــت توقيعات عائدة إلى العصر العباسي، طبقات الشعراء[٨]وتاريخ الأمم والملوك[٩]، والأجوبة المسكتة[١٠]،ونقد النثر[١١]، ونشوار المحاضرة[١٢]،

---

(١) انظر: النويري، **نهاية الأرب**، ج٣، ص ٢٦١.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٥٦.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ٢٩٠.

(٤) انظر: العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٤، ص ١٣٧.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج١١، ص ١٦، ١٩، ص٢٧- ٢٨.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج١١، ص٢٩- ٣٠.

(٧) انظر: الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت ريتر ورفاقـــه، الطبعة الثانية، فرانز شتايز فيسبادن، شتوتكارت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٥، ص١٨٦، ج٨، ص٣٠٠-٣٠١، ج٩، ص١٣٢، ج١١، ص١٥٦، ج١٢، ص ٤٠، ج١٦، ص١٩، ٣٩٩، ج٢٤، ص٦٧-٦٨.

(٨) انظـــر: ابـــن المعـــتز، عـــبد الله (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعـــارف، الطـــبعة الرابعة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤١- ٤٢، ص ١٥٣، ٢٠٧، ٢٣١، ٣٠٩، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٠.

(٩) انظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٨، ص ٩٧، ص ٣٠٧، ٣٠٨، ٦٠٤ وج٩، ص ٣٩٢.

(١٠) انظـــر: ابـــن أبي عون، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد(ت ٣٢٢هـ/٩٣٣م)، **الأجوبة المسكتة**، تحقيق: مي يوســـف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٧، ص ٢٣، ٣٥، ٩٣، ٢٠٤، ٢٢٠.

(١١) انظـــر: قدامـــة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م)، **نقـــد النثر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٠٢- ١٠٣.

(١٢) انظـــر: التنوخـــي، أبـــو علي، المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩١- ١٣٩٣هـ/١٩٧١- ١٩٧٣م، ج١، ص٥٧- ٥٩، ١٦٩، ج ٢، ص٧٠، ص٣٠٧- ٣٠٩، ج٣، ص ١٣٠، ص١٦٨- ١٧٤، ج٧، ص٢٥٣- ٢٥٤.

والفــرج بعد الشدة[١]، ورسائل الصاحب بن عباد[٢]، والجليس الصالح[٣]، والاقتباس من القرآن الكــريم[٤]، وآداب الملوك[٥]، وإحكام صنعة الكلام[٦]، وأخبار الدولة المنقطعة[٧]، وشرح مقامات الحريــري[٨]، وإعــتاب الكــتاب[٩]، ولمح السحر من روح الشعر[١٠]. ومعاهد التنصيص[١١]، وغيرها.

---

(١) انظر: التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، ج١، ص ٣٩٤، ج٢، ص١٢٠-١٢١، ج٢، ص٢٥٩- ٢٦١، ج٤، ص ٦٣- ٦٤.

(٢) انظر: الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد الطالقاني(ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، **رسائل الصاحب بن عباد**، تحقيق: عــبد الوهاب عزام وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٦٦هـ، ص ١٩٧، ص٢٢١- ٢٢٣.

(٣) انظــر: النهروانــي، أبــو الفرج، معافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م)، **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصــح الشــافي**، تحقيق: محمّد مرسي الخولي وإحسان عباس، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت،١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج١، ص ٥٧٤، ج٢، ص ٢٣٠، ٣٤٥، ج٤، ص٨٥- ٨٦، ص١٠٥- ١٠٦.

(٤) انظر: الثعالبي، **الاقتباس من القرآن الكريم**، ج٢، ص١٤٧- ١٤٩.

(٥) انظــر: الثعالبي، **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٠ هـ/١٩٩٠م، ص٧٤- ٧٥، ص ١٣٦، ٢٣٧.

(٦) انظــر: الكلاعي، أبو القاسم، محمّد بن عبد الغفور الأندلسي، من أهل القرن السادس الهجري، **إحكام صنعة الكلام**، تحقيق: محمّد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٨٦م.

(٧) انظر: الأزدي، **أخبار الدولة المنقطعة**، ص ١٠٧، ١١٤، ١٣٢، ص١٥٧- ١٥٨، ص١٧٩- ١٨٠.

(٨) انظــر: الشريشي، أبو العباس، أحمد بن عبد المؤمن(ت ٦١٩هـ/١٢٢٢م)، **شرح مقامات الحريري**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مصورة عن الطبعة المصرية، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج١، ص ٢٧١، ٣٨٦، ج٢، ص٢١٣- ٢١٤، ج٣، ص٣٥٥- ٣٥٦ وج٥، ص ١٤٩، ٢٨٥.

(٩) انظــر: ابــن الأبار، أبو عبد الله، محمّد بن عبد الله القضاعي(ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، **إعتاب الكتاب**، تحقيق: صــالح الأشــتر، دار الأوزاعي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٨٣، ١١٦، ١٢٥، ١٢٧، ص ١٤٧- ١٤٨، ١٥٧.

(١٠) انظر: ابن ليون التجيبي، سعد بن أحمد (ت ٧٥٠هـ/١٣٥٠م)، **لمح السحر من روح الشعر**، تحقيق: منال منيزل، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥، ص ٢٢٩، ص٢٥٧- ٢٥٨.

(١١) انظــر: العباســي، عــبد الرحيم بن علي (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٥م) **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٤، ص١٢٠- ١٢١، ج٣، ص١٦٣-١٦٤، ص ٢١٩.

سابعاً: عناية المعاصرين بها

برز في العصر الحديث بعض الباحثين ممن عنوا بالتوقيعات العباسية، دراسة أو جمعاً، أما في جمع التوقيعات، فقد برزت ثلاثة مصادر حديثة، اهتمت بجمع التوقيعات العباسية وترتيبها وهي على التتابع:

١ـ توقيعات الخلفاء لحكمة شريف

لفت حكمة شريف أنظار الدارسين المعاصرين إلى التوقيعات، إذ جمع في مقالته الموجزة التي نشرها قبل مائة عام طائفة من التوقيعات، وكان جمعه انتقائياً، ويستدل على ذلك من النظر في التوقيعات التي أوردها، ومن قوله في بداية عرض هذه التوقيعات إذ قال: "وقد رأيت في كتب التاريخ كثيراً من هذه التواقيع، فاخترت منها ما قل ودل"[١].

ولم يقتصر حكمة الشريف على جمع توقيعات الخلفاء العباسيين فحسب، بل بدأ بجمع طائفة من توقيعات الخلفاء الراشدين، وكذلك طائفة من توقيعات الخلفاء الأمويين[٢].

ثم أورد طائفة من توقيعات الخلفاء العباسيين، فبدأ بالسفاح[٣] ثم أبي جعفر المنصور[٤]، فالمهدي[٥]، فهارون الرشيد[٦]، ثم طائفة من توقيعات المأمون[٧]، ومن الملاحظ أنه توقف عند توقيعات المأمون، ولم يتابع الخلفاء الذين جاءوا بعد المأمون كالمعتصم بالله، والواثق، والمتوكل والمعتز بالله وغيرهم.

ويلاحظ كذلك أنه عني بجمع توقيعات الخلفاء، دون غيرهم من الأمراء والقادة والوزراء والقضاة، فضلاً عن أن جمعه لهذه التوقيعات لم يكن وافياً، فقد كان جزئيا كما كان انتقائيا كما أسلفنا آنفاً، ولعل السبب في ذلك تذوقه لهذه الطائفة من التوقيعات دون غيرها، إذ وجدها أكثر دلالة من غيرها، فضلاً عن قلة المصادر المتوفرة له آنذاك.

---

(١) انظر: حكمة شريف، توقيعات الخلفاء، **مجلة المقتطف**، ج٥، المجلد الثامن والعشرون، ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، ص ٤١٠.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص٤١٠- ٤١١.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٤١٢.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٤١٣.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٤١٣.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص٤١٣- ٤١٤.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٤١٤.

٢ـ جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت

تعد جمهرة رسائل العرب من أبرز المصادر الحديثة التي عنيت بجمع التوقيعات العربية، فقد جمع أحمد زكي صفوت في خاتمة الجزء الأول من جمهرته توقيعات الخلفاء الراشدين(١).

وفي خاتمة الجزء الثاني، جمع توقيعات الأمويين: خلفاء وأمراء وولاة(٢)، مستنداً في ذلك إلى المصادر الأدبية السابقة، ومن أهمها العقد الفريد، وخاص الخاص، وزهر الآداب، أما فيما يخص التوقيعات العائدة للعصر العباسي –وهي محور الدراسة– فقد أفرد صفوت في آخر الجزء الرابع من كتابه مطلباً، جمع فيه ما وقع له من توقيعات العصر العباسي(٣)، حتى نهاية القرن الثالث الهجري، اعتمد في جمعها على مصادر أدبية وتاريخية، فضلاً عن المصادر الآنفة الذكر، وهذه المصادر هي: عيون الأخبار لابن قتيبة، والكامل للمبرد، وكتاب بغداد لابن طيفور، وتاريخ الأمم والملوك للطبري، والأوراق وأدب الكتاب للصولي، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ونهاية الأرب للنويري، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.

أورد صفوت في جمهرته توقيعات تسعة من الخلفاء العباسيين وهم: السفاح(٤)، والمنصور(٥)، والمهدي(٦)، والهادي(٧)، والرشيد(٨)، والمأمون(٩) والواثق(١٠)، والمتوكل(١١)، وابن المعتز(١٢).

---

(١) انظر: أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج١، ص٥٣٠– ٥٣١.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٤٩١– ٥٠٤.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٦٧– ٣٨٩.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٦٧– ٣٦٨.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٦٨– ٣٧٢.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٧٢– ٣٧٤.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٧٤.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٧٤– ٣٧٧.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٧٨– ٣٨١.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٨١.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص١٦٣– ١٦٤.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٤٠٠.

كمـا أورد بعـض توقـيعات الأمـراء والقادة العباسيين، كعبد الله بن علي العباسي[١]، وطاهر الخزاعي[٢]، وابنه عبد الله الخزاعي[٣]، ومحمّد بن عبد الله[٤].

أمـا الـوزراء الذيـن أورد توقيعات لهم فهم: أبو مسلم الخراساني[٥]، وأبو عبيد الله[٦] والفـيض بن أبي صالح[٧] ويحيى البرمكي[٨] وجعفر البرمكي[٩]، والفضل بن سهل[١٠]، والحسن بـن سـهل[١١]، وأحمـد بـن يوسـف[١٢]، وابـن يزداد[١٣] وأبو صالح ابن يزداد[١٤]، وجعفر الإسـكافي[١٥] وعبـيد الله بـن سـليمان[١٦]، وأبو الحسن علي بن عيسى[١٧]، وكذلك طائفة من توقيعات الأدباء واللغويين العباسيين كيوسف بن القاسم الكاتب[١٨] وأبي الحسن بن لهيعة[١٩].

ورغـم الجهد الواضح الذي بذله أحمد زكي صفوت في جمع هذه التوقيعات والتقاطها، إلا أن علـيه مـآخذ أبرزها المنهج الذي اتبعه في جمع التوقيعات، وطريقة توثيق المصادر التي اسـتمد مـنها صـفوت هذه التوقيعات، فلم يرد المصدر عقب كل توقيع، بل أفرد صفوت قائمة

---

(١) انظر: أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٢، ص ٥٠٠، ج٣، ص١٦- ١٧.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٠٣- ٤٠٥، ج٤، ص٣٩٠- ٣٩٢.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٩٣.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٩٩.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٥٠٤، ج٤، ص ٢١٨، ٣٨٢.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٨٣.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢٨٣.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٥١- ١٥٢، ١٥٦- ١٥٧، ج٤، ص ٣٨٣.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٨٤- ٣٨٧.

(١٠) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٨٨- ٣٨٩.

(١١) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٨٩- ٣٩٠.

(١٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٩٥- ٣٩٧.

(١٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٣٩٤- ٣٩٥، ص ٣٩٨.

(١٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٢٠٠- ٢٠١.

(١٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٩٧.

(١٦) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٣٩٨.

(١٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢٦٩.

(١٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص ٢٨٣، ص٣٩٩- ٤٠٠.

(١٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٤، ص٤٠٠- ٤٠١.

مصـــادر[١] في نهاية كل عصر جمعت توقيعاته، مما يجعل من الصعب على الدارس أن يعرف المصدر الذي أخذ منه هذا التوقيع للرجوع إليه، لغرض الدراسة والتحليل.

٣ـ جمهرة توقيعات العرب لمحمّد الدروبي وصلاح جرّار

جمـــع الباحـــثان في جمهرة توقيعات العرب، كما أسمياها، التوقيعات العربية كتوقيعات الخلفـــاء والســـلاطين والأمراء والقضاة والوزراء والقادة والأدباء والنساء، لمراحل مختلفة عبر العصور الإسلامية بدءاً بالعهد الراشدي، ومروراً بالأموي وحتى نهاية العصر العباسي.

أمـــا فـــيما يخـــص منهج الباحثين، فقد نهجا منهجاً علمياً دقيقاً في التقاط هذه التوقيعات وجمعها، تمثل بترتيب التوقيعات العربية ترتيباً زمنياً حسب صاحب التوقيع، السابق فاللاحق، ثم نهجا نهجاً خفياً في ترتيب الطائفة الواحدة من التوقيعات التي تندرج تحت صاحب التوقيع، سواء كان خليفة أو أميراً أو وزيراً أو غير ذلك.

ويمكـــن تفصـــيل جهـــد الباحثين، من جهة اهتمامهما بجمع التوقيعات العربية من ثلاثة جوانب رئيسة هي:

أولاً: قصة التوقيع:

رأى الباحثان أنه من الضروري الاهتمام بقصة التوقيع في مواضع كثيرة، وخاصة تلك التـــي لا تفهـــم أو تتضـــح مـــن نص التوقيع نفسه، ولا يخفى على أحد أن قصة التوقيع تساعد الدارس أو القارئ في تلمس مضمون هذا التوقيع، وفهم ألفاظه، وتقصي معناه البلاغي من فهمه للمقام الذي وقع فيه[٢].

ثانياً: نص التوقيع:

وهو المحور الأساس الذي جد الباحثان في تقصيه ونقله بصوره التي قد تتعدد في بعض الأحـــيان، فلـــم يكتفـــيا بنقله من مصدره الأول تاريخياً، بل أوردا في الحاشية، الاختلافات التي وردت فـــي روايـــة بعض ألفاظه، مع ذكر المصدر الذي جاء فيه هذا الاختلاف، مما ييسر على القـــارئ العـــودة إلـــى هذا المصدر، وتقصي الاختلاف في الرواية، فضلاً عن تفسير كثير من الألفاظ الغريبة في الحاشية، وهي التي تساعد القارئ في فهم مضمون هذا التوقيع ومقامه، وليس

---

(١) انظر: أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ج٤، ص ٤٠١.

(٢) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٤.

هــذا فحسب بل عنيا بضبط كثير من ألفاظ التوقيع خوفا من وقوع اللبس أو الخطأ في فهم لفظة من ألفاظ التوقيع[١].

وبعــد، فــإن هــذا الاهتمام بالتوقيع من جهة نصه، والمصدر الذي نقله، وشكله ومعنى ألفاظــه، يجعــل الدارس يدرك المجهود الذي بذله كل من الباحثين، في هذا الصدد. وبلغ اهتمام الباحثين بالنص إلى حد ذكر النتيجة في نهاية التوقيع، إن وجدت.

ثالثا: تخريج التوقيع:

لا تقــل عــناية الباحثين بتخريج التوقيع من مصادره المتعددة، عن العناية بنص التوقيع وصــاحبه، إذ بــذل الباحثان جهداً واضحاً، فقد استدركا ما فات أحمد زكي صفوت في جمهرة رســائل العــرب حيــث أنه لم يخرج كل توقيع منفرداً عن غيره، بل اكتفى بتخريج الطائفة من التوقــيعات بذكر المصادر التي اعتمد عليها مجتمعة دون تفصيل، وهذا ما أخذ على صفوت في جمهرته مع الإشادة بالجهد الذي بذله وبالعمل الذي أنجزه[٢].

فقــد جدّ الباحثان في تخريج كل توقيع، فبدءا بذكر المصدر الأسبق تاريخياً، ثم المصدر اللاحــق له وهكــذا[٣]. ولا يخفى على أحد المشقة وراء هذا العمل في تقصي كل توقيع في كل المصادر الأدبية والتاريخية، التي نقلت هذه التوقيعات وأثبتتها، ومن ثم فرزها وتصنيفها وحصر التوقيعات فيها ومقارنتها مع بعضها لتحديد المصدر الأول ثم اللاحق له وهكذا.

فقد يذكر التوقيع في مصدر واحد فحسب، وقد يذكر في اثنين أو ثلاثة، وقد يصل الأمر أحيانا إلى تخريجه من عشرة مصادر أو أكثر.

ولم يغفل الباحثان الوقوف عند موضوع مهم، وهو الاختلاف في نسبة التوقيع، فقد عنيا بالموضــوع، وفــق مــنهج واضح دقيق، فالتوقيعات التي أختلف في نسبتها، لتعذر الدليل البين الواضــح لنســبتها إلــى أحد أصحابها، أوردت ضمن توقيعات كل شخص نسب له التوقيع، مع الإشارة في التخريج إلى نسبتها إلى غيره[٤].

---

(١) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٥.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٤.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص ١٤.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص١٤- ١٥.

قسم الباحثان موضوعات البحث إلى سبعة أبواب[١]، فبعد المقدمة التي تضمنت خطة العمل ومنهج البحث الذي اتبعه الباحثان، في تقصي توقيعات العرب وتحقيقها وتخريجها، جاء الباب الأول يشمل توقيعات الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين[٢].

ثم الباب الثاني واشتمل على طائفة كبيرة من توقيعات الملوك والأمراء والقادة والولاة من أمويين وعباسيين وطاهريين وسامانيين وبويهيين وحمدانيين وإخشيديين وزياريين وخوارزميين وسلاجقة وفاطميين وزنكيين وأيوبيين ومماليك[٣].

أما الباب الثالث فقد اختص بتوقيعات الوزراء من عباسيين وبويهيين وفاطميين وسلاجقة وأيوبيين ومماليك[٤].

أما الباب الرابع فقد اشتمل توقيعات القضاة والفقهاء[٥]، ثم الباب الخامس الذي احتضن توقيعات الأدباء واللغويين[٦]. ثم جاء الباب السادس ليشمل توقيعات النساء[٧]. بينما اشتمل الباب السابع والأخير على طائفة من التوقيعات غير المنسوبة[٨].

وفي نهاية البحث جاءت الفهارس الفنية المتكاملة وشملت فهارس الآيات القرآنية، وفهارس الأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس الشعر، وفهرس المصادر والمراجع[٩].

وبالرغم من الجهد الذي بذله الباحثان في تقصي التوقيعات العربية وجمعها، إلا أنه يؤخذ عليهما إغفال بعض التوقيعات، إذ فاتهما حصرها ضمن الجمهرة، ومنها ما أورده صاحب الأغاني من توقيع لعُلية بنت المهدي[١٠].

---

(١) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٩- ١٢.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج١، ص٢٥- ٢٠٠.

(٣) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٠٣- ٢٦٦.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٦٩- ٤٠٧.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤١١- ٤٢٩.

(٦)انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٣٢- ٤٦٩.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٧٣- ٤٨٠.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٨٣- ٤٩٣.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص٤٩٧- ٥٩٨.

(١٠) الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، **الأغاني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج١٠، ص ١٩٣-١٩٤.

وفضلاً عن جهود المعاصرين في جمع التوقيعات وترتيبها وتحقيقها، برزت بعض الدراسات الحديثة التي عنيت بالتوقيعات العباسية دراسة وتحليلاً، ومن هذه الدراسات:

١ـ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي للسباعي بيومي:

عرض بيومي مراحل تطور التوقيعات العربية، بدءاً من عهد عمر بن الخطاب، ومروراً بالعصر الأموي الذي انتشرت فيه، ووصولاً إلى العصر العباسي، عصر ازدهارها وتطورها إلى أن اضمحلت وتوارت في العصور اللاحقة، مستعرضاً أثناء ذلك طائفة من توقيعات الخلفاء الراشدين[١]، ثم طائفة من توقيعات خلفاء بني أمية وولاتهم[٢]، في حين بدا اهتمامه واضحاً بتوقيعات العصر العباسي، فقد وقف عندها وقفة متأنية، فعرض توقيعات أبرز خلفائها[٣]، كالسفاح والمنصور والرشيد والمأمون وكذلك توقيعات بعض وزرائهم[٤]، كجعفر البرمكي والفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل، مشيراً إلى التغيير الذي طرأ على التوقيعات في عصر المأمون، إذ تجاوزت حد الإيجاز، وهو أهم سماتها على الإطلاق إلى الإطناب والإسهاب، ثم هبوط منزلتها فيما بعد حتى توارت واختفت لاستيلاء العجمة واستحكامها.

في نهاية حديثه عن التوقيعات، نجده يدلي بدلوه فيما يخص أصل التوقيعات ونشأتها، مؤكداً أنها أثر من آثار العرب لا محاكاة منقولة عن الفرس[٥]، مستنداً إلى عدد من الأدلة التي تؤيد وجهة نظره وتعززها.

٢ـ التوقيعات في الأدب العربي[٦] لبهيج عثمان

ينضاف بهيج عثمان إلى جملة الباحثين الذين عدّوا التوقيعات العربية تقليداً فارسياً جرى عليه مُلوك الفرس وولاتهم، فهو يقول: "وليس التوقيع بدعاً في الأدب العربي، بل تروي كتب الأدب الشيء الكثير من توقيعات أردشير وكسرى وغيرهما من ملوك الفرس"[٧]. كما ساق في

---

(١) انظر: السباعي بيومي، **تاريخ الأدب العربي**، ج٣، ص ١٧٣.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٧٣- ١٧٥.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٧٥- ١٧٧.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص١٧٦- ١٧٨.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ج٣، ص ١٨١.

(٦) انظر: بهيج عثمان، التوقيعات في الأدب العربي، **مجلة الأديب**، السنة الثانية، الجزء الخامس، بيروت، ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، ص٤٣- ٤٤.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص٤٨.

مقالـــته الموجـــزة نماذج متنوعة من توقيعات الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين[١]، محللاً ومناقشا موضوعاتها وفنياتها.

٣ـ بلاغة الكُـتاب في العصر العباسي لمحمّد نبيه حجاب

تســـاءل محمّد نبيه حجاب عن أصل نشأة التوقيعات العربية، فقال: "أهي عربية صحيحة أم مـــنقولة عن الفارسية"[٢]، مشيراً إلى اختلاف الدارسين في أصلها ونشأتها، مبدياً حماسته في الدفـــاع عـــن عـــروبة التوقيعات[٣]، مستنداً في ذلك عدداً من الأدلة، لإثبات عروبتها، أهمها أن التوقيعات من ضرورات الملك، ولا شك أن وجود توقيعات للخلفاء الراشدين، وخلفاء بني أمية، دلـــيل على أنها نبعت من الصدور العربية، كما اعتمد الإيجاز دليلاً على عروبتها، فالإيجاز من سمات اللغات السامية[٤].

كما عرض توقيعات بعض الخلفاء العباسيين[٥] وهم: السفاح والمنصور والرشيد. فضلاً عن توقيعات أشهر الوزراء[٦] الموقعين كجعفر البرمكي، والصاحب بن عباد.

٤ـ تيارات ثقافية بين العرب والفرس لأحمد الحوفي

يـــرى أحمد الحوفي أن أول التوقيعات نشأت نشأة عربية صرفة، وليس هذا فحسب، بل يـــرى أن القـــول بأن العرب نقلوا هذه التوقيعات عن الفرس رأي متجنٍّ على العرب[٧]. محاولاً تلمس بعض الأدلة، التي تؤيد وجهة نظره، أبرزها أن العرب عرفوا التوقيع ومارسوه في أحسن صـــورة قـــبل أن يتصـــلوا بالفرس أو غيرهم، فليس ثمة فرق بين توقيعات العرب في العصر الإسلامي وتوقيعاتهم في العصر العباسي[٨].

---

(١) انظر: بهيج عثمان، **التوقيعات في الأدب العربي**، ص٤٨- ٤٩.

(٢) انظر: محمّد نبيه حجاب، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي**، ص ٩٧.

(٣) انظـــر: محمّـــد الدروبي، صلاح جرار، **التوقيعات الفارسية المعربة**، منشورات جامعة آل البيت، المفرق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٨٣.

(٤) انظر: محمّد نبيه حجاب، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي**، ص ٩٧.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٩٦.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص٩٥- ٩٧.

(٧) انظر: أحمد الحوفي، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، ص ٢٦.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢٦٥.

كمـــا أن التوقـــيع قـــائم على ما يلائم الفطرة العربية من ميل إلى الإيجاز، ومقدرة على البـــيان، فلـــم يكـــن العرب في حاجة إلى أن يحاكوا غيرهم فيما يلائم طبائعهم أشد الملاءمة[١]. فضـــلاً عـــن أن الخلفاء كانوا يوجزون في توقيعاتهم، على ما يرفع إليهم من شكاوى ورغبات، لبيان رأيهم فيها[٢].

ثم استعرض الحوفي نماذج من توقيعات الخلفاء الراشدين، ثم طائفة من توقيعات الخلفاء الأمويين، ثم الخلفاء العباسيين[٣].

٥ـ الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي لعزيزة فوال

تذهـــب عزيـــزة فوال إلى أن أول من استعمل التوقيع في الإسلام، هو الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- استعمله في حواشي الرقاع المرفوعة إليه لبيان وجه الفصل فيها، ثم سار الخلفاء من بعده على منواله في التواقيع[٤].

كمـــا وقفـــت موقفـــاً مناهضاً ممن قالوا بعدم عروبة التوقيعات، فقالوا إنها أثر من آثار الفـــرس، وحجـــتها فـــي ذلك أن الفرس لم يكونوا قد بلغوا من الشأن في عهد عمر ما بلغوه في الدولة العباسية، من علو مكانة، حتى يكون لهم هذا التأثير في حياة العرب المادية والمعنوية[٥].

وأشـــارت الدارسة كذلك إلى كثرة التوقيعات العباسية، لقربها من روح العرب التي تميل بســـجيتها إلـــى الإيجاز والبلاغة، مستعرضة نماذج من التوقيعات العباسية[٦] التي امتازت بشدة الإيجاز.

٦ـ تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي لعيسى العاكوب

أشـــار عيسى العاكوب في كتابه إلى التوقيعات، إذ عدها من أبرز مظاهر عناية العرب بـــالحكم والآداب، والأقوال الموجزة المعبرة[٧]، مشيراً إلى ديوان التوقيع الذي أنشئ في العصر

---

(١) انظر: أحمد الحوفي، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، ص ٢٦٦.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢٦٦.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص٢٦٧- ٢٦٩.

(٤) انظـــر: عزيزة فوال بابتي، **الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي**، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م، ص ١٧٥.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص ١٧٥.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٧٥- ١٧٦.

(٧) انظر: عيسى العاكوب، **تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي**، ص ٢٥٦.

العباسي الأول[١]، لغرض تنظيم هذه التوقيعات، التي كانت تصدر عن أولي الأمر في الدولة، لبيان رأيهم في الشكاوى والتظلمات التي ترد إلى الديوان من رعايا الدولة في الولايات والأمصار.

كما عرض في كتابه أبرز مواقف المعاصرين من نشأة التوقيعات العربية، وصلتها بالتوقيعات الساسانية[٢]، مفصلاً حجج ودلائل أصحاب هذه المواقف، ثم عرض رأيه في الموضوع مؤيداً ما ذهب إليه أحمد أمين وغيره، في أن التوقيعات العربية العائدة إلى عهد الخلفاء الراشدين تبدو خدجة غير واضحة القسمات[٣].

والحق أن العاكوب نهج نهجاً علمياً سليماً في عرض القضية، والوصول إلى نتيجة، إلا أنه يؤخذ عليه تضخيمه للأثر الفارسي، حتى ليبدو للقارئ أن العرب لم يعرفوا الحكم، إلا معرفة محدودة، وأن الفرس هم أصحاب الفضل في إدخال الحكمة إلى النفس العربية، وقد انسحب هذا الحكم على التوقيعات نفسها بوصفها مظهراً من مظاهر الحكمة[٤].

٧ـ المأمون أديباً لأحمد أمين مصطفى

ينسب أحمد أمين مصطفى بداية التوقيعات العربية إلى عهد أبي بكر الصديق، واكتفى بعرض توقيعات الخليفة العباسي المأمون[٥]، الذي اشتهر بتوقيعاته الموجزة، محاولاً تلمس صفات المأمون وأخلاقه من مضمون هذه التوقيعات، فقد عرف بالعفو والسماحة، وكرهه الوشايات والسعايات فضلاً عن حكمته وبعد نظره، وعدله وعطاياه التي تجاوزت المقربين وكبار رجال الدولة إلى الرعايا وعامة الناس، مع الإشارة إلى توقيع المأمون[٦] الذي تجاوز فيه حد الإيجاز إلى الإطناب معللاً ذلك بطبيعة الموضوع الذي يستدعي الإطالة، وكذلك عدم اهتمامه بالإيجاز في مطلع حياته السياسية.

وتجدر الإشارة إلى أن غرض الباحث من هذه الدراسة لم يكن جمع التوقيعات أو دراستها، بوصفها فناً أدبياً عرف واشتهر في تلك المدّة، وإنما جاء عرضاً أثناء الحديث عن أدب المأمون شعراً ونثراً.

---

(١) انظر: عيسى العاكوب، **تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي**، ص ٢٥٦.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص٢٥٧- ٢٥٨.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢٦٢.

(٤) انظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **التوقيعات الفارسية المعربة**، ص ٨١.

(٥) انظر: أحمد مصطفى أمين، **المأمون أديبا**، ص١٧٠- ١٧٧.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص١٧١- ١٧٢.

٨ـ فنون النثر في الأدب العباسي لمحمود عبد الرحيم صالح

يـرى محمـود عبد الرحيم أن التوقيعات فن عربي أصيل، مبديا استحسانه وتأييده لرد علـي جمـيل مهـنا علـى من ذهب إلى أن العباسيين كانوا يحاكون في توقيعاتهم بعض الأمم الأجنبية[١]. وليس هذا فحسب، بل أشاد بتوقيعات الخلفاء الراشدين التي تتصف بالبلاغة ووجازة التعبـير ودقته[٢]، وعرض نماذج من توقيعاتهم، وأشار كذلك إلى توقيعات الأمويين من غير أن يذكر توقيعات لهم.

ثم استعرض طائفة من توقيعات خلفاء بني عباس[٣]، التي يرى محمود صالح أنها بلغت حداً عالياً من الجودة، ثم ساق طائفة أخرى لتوقيعات وزرائهم وقوادهم وكتابهم[٤]، الذين لم تكن توقيعاتهم اقل نفاسة أو جودة من توقيعات خلفائهم حسب قوله.

ويخلـص كذلـك إلـى أن الأصـل في التوقيعات الوجازة في التعبير[٥]، مستدلاً بقول الكلاعي: "هذا النوع من الكلام مما عدلوا فيه عن التطويل والتكرار إلى الإيجاز والاختصار"[٦].

٩ـ أحمد بن يوسف الكاتب الوزير لعلي إبراهيم أبو زيد

لـم يتـناول علـي أبو زيد فن التوقيعات منفصلاً بل قرنه بفن نثري مواز له، وهو فن الحكـم، فقـد برع أحمد بن يوسف في كلا الفنين ولم يقتصر على أحدهما، مستعرضاً طائفة من توقـيعاته[٧]، ثـم عقد مقارنة بين الفنين محاولاً تلمس نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما. إذ يجمع بينهما المعنى والصياغة في حين أنهما يختلفان في الهدف والغاية[٨]. وأورد كذلك طائفة من هذه الحكـم[٩] التي اشتهر بها أحمد بن يوسف، كاتب المأمون وصاحب ديوان رسائله ووزيره، وقيل

---

(١) انظر: علي جميل مهنا، **الأدب في ظل الخلافة العباسية**، ص ٢٢٨.

(٢) انظر: محمود عبد الرحيم صالح، **فنون النثر في الأدب العباسي**، ص ٩٢.

(٣) انظر: **المصدر** نفسه، ص٩٣- ٩٤.

(٤) انظر: **المصدر** نفسه، ص ٩٥.

(٥) انظر: **المصدر** نفسه، ص ٩٦.

(٦) انظر: الكلاعي، **أحكام صنعة الكلام**، ص ١٦١.

(٧) انظـر: علـي ابراهيم أبو زيد، **أحمد بن يوسف الكاتب الوزير**، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٧٨- ٧٩، وص٨٤- ٨٥.

(٨) انظر: **المصدر** نفسه، ص ٧٩ وما بعدها.

(٩) انظر: **المصدر** نفسه، ص ٨٠.

فـيه: "من أفاضل كتاب المأمون وأذكاهم وأفطنهم، وأجمعهم للمحاسن. وكان جيد الكلام فصيح اللسان، حسن اللفظ، مليح الحفظ، يقول الشعر في الغزل والمديح والهجاء"[١].

١٠ـ الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري لمحمّد الدروبي

عنـي محمّد الدروبي بالتوقيعات العباسية عناية فائقة، فقد خصها بمبحث منفرد في أحد فصـول كتابه، فتعرض لمفهوم التوقيعات لغة واصطلاحا[٢]، مشيرا إلى ازدياد أهمية التوقيعات مـنذ قـيام الدولـة العباسية، لا سيما بعد إنشاء ديوان التوقيع الذي تصدر عنه التوقيعات، كما عـرض أهـم المصادر والمظان العربية القديمة التي احتضنت التوقيعات العباسية كالعقد الفريد لابـن عـبد ربـه، الذي عقد باباً خاصاً بها، وخاص الخاص للثعالبي الذي خصها بأحد أبواب كتابه[٣].

وأشـار كذلـك إلى بعض الدراسات الحديثة التي عنيت بجمع التوقيعات العباسية، مثل جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت[٤].

ثـم أفرد الجزء الأكبر من دراسته للحديث عن أبرز الأغراض التي تضمنتها التوقيعات في هذا العصر[٥].

أمـا فـيما يخص أصل نشأة التوقيعات، فقد اكتفى بالإشارة إلى الدراسات الحديثة التي تناولـت هذه القضية، وناقشتها[٦]، مشيرا إلى الأثر الفارسي، والتطور الذي أدخله الكتاب الفرس على هذا الفن، ولا سيما في العصر العباسي[٧].

١١ـ محمّد بن عبد الملك الزيات، سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه ليحيى الجبوري

نهـد الجـبوري إلى كتابة سيرة الوزير محمّد بن عبد الملك الزيات، مستعرضاً ملامح حـياته الاجتماعـية والسياسـية، وأدبه. ثم قام بتحقيق ديوانه، وفي معرض حديثه عن أهم آثار

---

(١) انظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٥، ص٢١٦- ٢١٧.

(٢) انظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٦٨.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص٧١- ٧٢.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٧٣.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص٧٣- ٨٩.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٦٩.

(٧) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٧٠.

الوزير ابن الزيات وأدبه، أورد ما توفر من توقيعاته[١] في بعض المصادر الأدبية، مكتفيا بنقلها كمـــا وردت، من غير أن يعلق على موضوعاتها وفنياتها، إذ لم يكن غرض الجبوري، تناول فن التوقيعات ودراستها، بل استعرضها أثناء الحديث عن أدب الوزير.

١٢ـ الحياة الأدبية في العصر العباسي لمحمّد عبد المنعم خفاجي

وقـــف الخفاجـــي وقفـــة خاطفـــة عـــند فن التوقيعات، فقد عرض مفهوم التوقيعات لغة واصـــطلاحا[٢]، إلا أنـــه لم يتبنَ رأيا محددا فيما يخص أصل التوقيعات العربية ونشأتها، فنجده تـــارة يقول إنه فن موجود من قديم في الأدب الفارسي[٣]، وتارة يقول إنه وجد في الأدب العربي منذ عصر صدر الإسلام[٤]، ثم استعرض نماذج من التوقيعات العباسية[٥].

١٣ـ الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم لبدوي طبانة

وقـــف طـــبانة وقفـــة خاطفـــة عند طائفة من توقيعات الصاحب بن عباد[٦]، مشيرا إلى عفويـــتها وبلاغـــتها، فضلاً عن أن بعضها كان شعرا، من غير أن يشير في دراسته إلى أصل التوقـــيعات ونشـــأتها، أو ســـماتها التي عرفت بها. وذلك أن هذه التوقيعات، جاءت عرضا أثناء الحديث عن سيرة هذا الوزير الأديب، وعن أهم آثاره الأدبية، ومنها أدب التوقيعات.

١٤ـ النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه لهاشم مناع ومأمون محمود ياسين

وقـــف الباحـــثان وقفة حسنة، إذ أسهبا في الحديث عن فن التوقيعات في الأدب العربي، وتعـــد هـــذه الدراسة من الدراسات الحديثة الجيدة التي عنيت بهذا الأدب، فتعرضت إلى مفهوم التوقـــيعات لغـــة واصـــطلاحا وبدايات هذا الفن، فقد رجحا أن تكون بالتحديد في زمن أبي بكر

---

(١) انظـــر: يحـــيى الجبوري، **محمّد بن عبد الملك الزيات، سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه**، دار البشير، الطبعة الأولى، عمان، ١٤٢٣هـــ/ ٢٠٠٢م، ص١٢٣- ١٢٦.

(٢) انظـــر: محمّـــد عبد المنعم خفاجي، **الحياة الأدبية في العصر العباسي**، مكتبة القاهرة، القاهرة، د.ت، ص ٣٢٠.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٣٢٠.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص٣٢٠- ٣٢١.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص٣٢١- ٣٢٢.

(٦) انظر: بدوي طبانة، **الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٣هـــ/ ١٩٦٣م، ص٢٠٩- ٢١٠.

الصـــديق -رضي الله عنه[١]، ثم استعرضا طائفة من توقيعات الخلفاء الراشدين، كما ناقشا سبب قلـــة التوقيعات في زمن الخلافة الراشدية[٢]، بينما عدا العصرين الأموي والعباسي زمن ازدهار هـــذا الفن، وقد استعرضا كذلك طائفة من توقيعات الخلفاء الأمويين والعباسيين[٣]، ثم ناقشا أبرز عوامل ازدهار التوقيعات في العصرين الأموي والعباسي[٤].

أمـــا فـــيما يخـــص نشأة التوقيعات وأصلها، فقد أكدا عروبتها، وأيدا ما ذهب إليه أحمد الحوفي، في مناقشة هذه القضية وإثبات أصل التوقيعات العربي[٥].

وتابعـــا بعد ذلك الحديث عن الموضوعات التي تناولتها التوقيعات، وعن شروط كتابها، وعـــن ديـــوان التوقـــيع. كما عرضا طائفة من توقيعات بعض الأمراء والوزراء والكتاب، وفي النهاية أوجزا أهم الخصائص الفنية للتوقيعات[٦].

١٥- مواقف الدارسين العرب المعاصرين من نشأة التوقيعات وعُروبتها لمحمّد الدروبي

يتبـــنّى محمّد الدروبي رأياً خاصاً فيما يخص قضية نشأة التوقيعات وعروبتها، فهو يقف موقفـــاً معتدلاً وسطاً بين فريقين متنافرين، أحدهما يرى أن التوقيعات العربية أثر عربي صرف، لـــم يخالطهـــا أي أثر فارسي[٧]. في حين أن الفريق الآخر، قد أصر على أن التوقيعات العربية ثمرة من ثمرات الحضارة الفارسية اقتبسها العرب عن الفرس[٨].

ويعـــد الدروبي من الباحثين المتميزين الذين أجادوا مناقشة مثل هذه القضية الشائكة، فقد نـــاقش هذه القضية وأعطاها حقها، فعرض أدلة الفريقين وحججها، وناقشها مناقشة علمية، مؤيداً بعضـــها ومفـــنداً بعضها الآخر، معتمداً عدداً من الأدلة التي تعزز وجهة نظره. وخلص إلى أن التوقيعات عربية أصيلة في نشأتها، مع عدم إغضاء الطرف عن الآثار الفارسية في طور ما بعد النشأة[٩].

---

(١) انظر: هاشم مناع، مأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص٢١٣- ٢١٤.

(٢) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢١٥.

(٣) انظر: **المصدر نفسه**، ص٢١٦- ٢١٩.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص٢٢٠- ٢٢١.

(٥) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٢٢٣.

(٦) انظر: **المصدر نفسه**، ص٢٣٦- ٢٣٩.

(٧) انظر: محمّد الدوربي، **مواقف الدارسين العرب المعاصرين من نشأة التوقيعات وعروبتها**، ص٤٨١.

(٨) انظر: **المصدر نفسه**، ص٤٨٦.

(٩) انظر: **المصدر نفسه**، ص٤٩٥.

الفصل الثاني

مضامين التوقيعات في العصر العباسي

الفصل الثاني

مضامين التوقيعات في العصر العباسي

انفسحت مادة التوقيعات، وتلونت أغراضها، لتعبر عن طائفة واسعة من الموضوعات، ويبدو هذا التنوع اللافت في مضامين التوقيعات آتياً من كثرة الرقاع والقصص التي كان أفراد الرعية يرفعونها إلى دواوين الخلفاء، ولا شك أن هذا الفيض من الشكاوى والتظلمات والاستماحات والاستعطافات كان شديد التباين في موضوعه، وقد ارتد صدى هذا التباين في أجوبة الرقاع نفسها، ومن هنا اتسعت مادة التوقيع، واختلفت أغراضه.

ويمكن القول إن التطور الحضاري، بما انطوى عليه من اتساع الدولة وكثرة رعاياها، واطراد العمران، وتعقد نظام الإدارة أدى إلى نماء الموضوعات التي كانت تكتب فيها التوقيعات في ذلك العصر.

وتتضافر هذه الموضوعات مجتمعة لتشكل ظاهرة فريدة في شكلها ومضمونها؛ لكونها تدعو إلى الأخلاق الحميدة، وتوجه الأمة إلى الحياة الفضلى، وتعالج القضايا بالحكمة والحزم والقوة بعيداً عن المصالح الشخصية والأهواء الذاتية، مع إطباق النظر عن منزلة متلقيها، فهي تدل على إحساس تجاه الرعية، كما تشف عن مدى التحضر والرخاء السياسي الذي كانت تحياه الحاضرة العباسية.

ويلاحظ أن التوقيعات العباسية كانت تحتذي صُورتين: إحداهما أن يكون التوقيع ابتداءً، أي أن يبادر الموقع بكتابة توقيعه الموجز تلقاءً، بالأمر بما يراه مناسباً، وثانيهما أن يكون التوقيع رداً، أي أن يعلق الموقع تعليقاً موجزاً على ما يرفع إليه من الرسائل والرقاع ونحوها، بما يتضمن جواباً مناسباً على كل صاحب رقعة، والملاحظ أن هذه الصورة كانت أشيع من سابقتها، في مسيرة التوقيعات العربية، بما فيها التوقيعات العائدة إلى العصر العباسي.

لم تكن التوقيعات تعالج موضوعاً محدداً فحسب، بل شملت أغراضاً شتى وموضوعات منوعة، وتعددت، من ثم، أنماطها، ويبدو من استعراض ما وصل إلينا من توقيعات العصر العباسي أنه يمكن الحديث عن موضوعاتها بالنظر في المحاور الرئيسة الآتية:

أولاً: الرد على الأعداء

تناولت التوقيعات العباسية موضوع الردود على الأعداء، فقد كان الموقعون يتوعدون الأعداء بالرد عليهم والتصدي لهم، بما أوتوا من قوة وعدة، ومن ذلك ما يصادفه الدارس من

توقـيعات فـي الرد على الروم الذين كانوا يمثلون خطراً جسيماً على الدولة العباسية، ولعل من أبـرز الخلفـاء العباسيين الذين تعاطوا الرد على العدو بتوقيعاتهم، الخليفة هارون الرشيد الذي شـهر بجهاده الموصول دفاعاً عن الإسلام، فمن ذلك توقيعه إلى صاحب النصرانية بالروم، وقد تهـدده وتوعـده: "أنـا بالأثر، وعلى الله الظفر"(١). ويتراءى الرشيد ههنا متسلحاً بالإيمان واثقاً بنصر الله وتأييده، مستعداً للمواجهة العسكرية، غير متوان في مجابهة الروم والانتقام منهم.

ويتجاوز الرشيد حدود الرد بالقول إلى الفعل، فلما قرأ كتاب نقفور ملك الروم إليه يتهدده ويتوعده، استفزه الغضب حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه فضلاً عن أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه خوفاً من زيادة قول أو فعل يكون منهم، واستعجم الرأي على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يسـتبد بـرأيه دونه، فدعا بدواة، وكتب على ظهر الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمـير المؤمنيـن إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه، لا ما تسمعه، والسلام"(٢).

لم يكتفِ الرشيد بتقريع عدوه وتوبيخه، بل توعده بالحرب واللقاء، فهو سيُسير إليه القوة التـي لا قـبل له بها، حتى يلحق به الهزيمة النكراء، والخسائر الفادحة، لتغدو حقيقة قائمة أمام عينـيه لا يسـتطيع ردها، ولعل الرشيد فارق في توقيعه الصورة النمطية، إذ سلب التعظيم لملك الـروم، ووصـفه بالكلـب، كمـا تبدو عبارته "ابن الكافرة" أوقع معنى وأوفى دلالة من وصفه بالكافر، وكأنما هو يشير إلى عراقته في الكفر من جهة أحد أبويه.

ونظـير ذلك رده على كتاب ملك الروم: "إني متوجه إليك بكل صليب في مملكتي وكل بطل في جندي"، فقد وقع الرشيد على ذلك الكتاب: "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار"(٣).

وواضح أن الرشيد يتحدى عدوه الذي أعدّ عدته، واستكمل تجهيزه للحرب، فهو لن ينال بغيـته، ولن يحصد سوى الهزيمة والخسران، لأن الدائرة ستدور عليه، وسيجد نفسه أمام عاقبة وخـيمة تنتظره، وهو -كما يبدو- في توقيعه ينظر إلى معنى من معاني القرآن الكريم، ويستظل في توعده بظلال قرآنية عامرة بالمعاني القائمة على الثقة بنصر الله للمؤمنين.

---

(١) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣١. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص٧٢.

(٢) الطـبري، **تـاريخ الأمم والملوك**، ج٨، ص٣٠٧-٣٠٨، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٧٢-٧٣.

(٣) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٢، وانظر: **سورة الرعد**، الآية ٤٢.

ولـــم يكن القادة العباسيون أقل شأناً من خلفائهم في الرد على الأعداء، والتصدي لهم، إذ كـــان هؤلاء القادة يمثلون الإرادة القوية، مثلما يمثلون الإيمان والثقة والعزيمة القوية، فهذا القائد نصر بن أحمد الساماني يهدد ملك الصين بموافاته في عقر داره، من غير أن يكلفه عناء المشقة للوصـــول إليه بجيشه، فقد كتب ملك الصين إليه يطلب خراج سبع وعشرين سنة، وإقامة الدعوة لـــه، ويتهدد ويتوعد بدخول بغداد، وإزالة الخلافة، فأمر نصر بإكرام الرسل، وأقامهم مدة عنده حـــتى يطلعهم على ما عند المسلمين من القوة والعدة، ثم أخذت كتبهم منهم، وقرئت على نصر، وأمـــر أن يكتـــب على ظهورها الجواب إلى ملك الصين: اعلم يا هذا، أني ما تغافلت عنك، ولا عـــن مـــثلك مهابـــة لك ولا ضعفا ولا عجزا من قلة الرجال والعدة، ولكن لم يأمرني السلطان الأعظـــم، فلم يسعني في ديني أن أبسط يدي إلى ما لم يأمرني به، ولكن الآن أكتب إليه، وأعرفه ما كان منك، وأستأذنه في ذلك، وأن أوافيك إلى باب دارك، ولا أحوجك إلى تجهيز جيش إلى ما قبلي، والسلام على من اتبع الهدى"(١).

يخاطـــب نصر ههنا ملك الصين خطابا شديد اللهجة، لا يصدر إلا عن قائد قوي الهمة، صـــلب العـــزيمة، راجح العقل، فهو يملك القوة والعدة الكافية للرد على عدوه، ولكنه ينتظر أمر الخلـــيفة بالموافقة على تجهيز جيش ليوافي عدوه في بلاده ودياره، ويقصم غروره، ويبدد آماله في التطاول على المسلمين، ودخول بلاد الإسلام.

ثانياً: الرد على العصاة والمتمردين

كمـــا عالجـــت التوقـــيعات العباسية موضوع الرد على العصاة والمتمردين، الذين كانوا يـــثورون علـــى الدولة، ويشكلون خطرا على أمنها، وقد أخذ الموقعون يخاطبون هؤلاء العصاة والخارجيـــن عـــن الطاعة خطابا شديدا، فيه من الحزم والغلظة والشدة ما يكفي لردعهم، وتثبيط حركـــتهم حينا، وأخذهم بالروية والسياسة والحنكة حينا آخر، وعلى أي كان الأمر، فقد كان هذا اللـــون مـــن التوقـــيعات يفتح طريقا نحو الحديث عن المنحى السياسي والعسكري اللذين كانت تسلكهما الدولة في معالجة حركات التمرد والعصيان التي كانت تهب هنا وهناك.

وقد يصل الأمر إلى استعمال القوة والعنف لإبادتهم ومحو آثارهم، ولا سيما إذا أصبحوا يشـــكلون مـــزيداً مـــن الخطر على أمن الدولة واستقرارها، ومثال ذلك توقيع طاهر بن الحسين

---

(١) ابـــن الزبير، القاضي الرشيد، (من أهل القرن الخامس الهجري)، **الذخائر والتحف**، تحقيق: محمد حميد الله، منشورات وزارة الإعلام، الطبعة الثانية، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٤٨-١٤٩، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٤٩.

الخزاعـــي، فـــي قصـــة قوم شغبوا على عاملهم: الشغب للفرقة سبب، فلتمح أسماؤهم، وتحسن آدابهم، وتقطع بالنفي آثارهم[١].

ينـــبه طاهـــر عاملـــه إلى خطر حركات الشغب والتمرد، وما قد تؤدي إليه من خلاف وفـــرقة، وفتـــن ونزاعات، فيوجه عامله إلى ضرورة قمع هؤلاء المتمردين بالقوة والعنف وعدم أخذهم باللين والهوادة.

ويـــتخذ الصاحب بن عباد الشدة والحزم منهجا يتبعه للقضاء على العصاة، فقد رفع إليه رجـــل عصـــى له أمرا، فوقع: "العصا لمن عصا"[٢]. كما مضى بعض الموقعين يتوعد العصاة والمتمردين بالعذاب وسوء العاقبة، والخزي في الدنيا والآخرة، فالصاحب يوقع في كتاب بعض مخالفيه، بالآية الكريمة: ﴿**فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**﴾[٣].

بيـــنما يطـــبق الفضل بن سهل حدود الله وشرعه، فيمن يخرجون عن الطاعة، ويسعون بالفســـاد وإثارة الفتن، فهم يخرجون عن حدود الله وسننه، فيستحقون بذلك الحد والقصاص جزاء ما جنت أيديهم، فلا ينالون بذلك إلا الخزي والعار في الدنيا، والعقاب والعذاب في الآخرة. ومن ذلـــك توقـــيعه علـــى قصـــة قوم قطعوا الطريق بآية الحرابة: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورســـوله، ويســـعون فـــي الأرض فســـاداً أن يقتلوا، أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[٤].

وتســـم طائفة من التوقيعات هؤلاء العصاة بالمفسدين والمجرمين، كما في توقيع المقتدر وقـــد شـــغب عليه العسكر، وأرادوا خلعه، فوقع: أنا مستسلم لأمر الله، غير مسلم حقا خصني به الله رفعـــة، فأغفل ما فعله عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ولست أنتصر إلا بالله لما أؤمله من الفوز في دار الآخرة، و﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾[٥]، ﴿**إن الله لا يصلـــح**

---

(١) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ٢ج، ص٢٢٩.

(٢) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨،ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ٢ج، ص٣٧٧.

(٣) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٣٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٧٧. وانظر: **سورة البقرة**، الآية ٧٩.

(٤) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٠٧، وانظر: **سورة المائدة**، الآية ٣٣.

(٥) **سورة النحل**، الآية ١٢٨.

ومـــن التوقيعات التي تجري هذا المجرى، توقيع عبيد الله الخزاعي في أمر رجل خرج عـــن الطاعـــة: " أنـــا قـــادر علـــى إخراج هذه النعرة من رأسه، والوحرة من نفسه "[١]. يعالج الخزاعـــي قضـــية العصـــيان بالحنكة والسياسة، فهو يثق بقدرته على التعامل مع حالة الشغب، والســـيطرة علـــى النعرة التي أدت إلى التمرد، واستئصالها من نفس ذلك المتمرد، بما يراه من الأساليب الناجعة.

ثالثاً: الرد على المستأمنين

كثـــيراً مـــا كـــان الثوار والمتمردون يكتبون إلى السلطة العباسية، يطلبون الأمان على أنفســـهم وأموالهـــم وذراريهـــم، وعزمهم الرجوع عن ثورتهم، ويلاحظ أن أكثر التوقيعات التي تعـــالج هـــذا الموضوع تتضمن إعطاء الأمان والموافقة على الطلب، كما في توقيع المهدي إلى يوسف البرم الذي خرج بخراسان: " لك أماني، ومؤكدا أيماني"[٢].

يؤمن المهدي هذا الرجل على حياته، بعد أن رجع إلى طاعته، ويبدو ههنا الحرص الذي يبديه الخلفاء العباسيون تجاه هؤلاء الخارجين، واستمالتهم والقضاء على ثوراتهم بالهوادة واللين، فيتكلفون بتأمينهم على حياتهم وأموالهم إذا ما طلبوا الأمان منهم.

ونصادف الصدى نفسه في توقيع المأمون في كتاب بشر بن داود: "هذا أمان عاقدت الله عليه في مناجاتي إياه"[٣]. فقد عد المأمون هذا الأمان عهدا مع الله لن يخونه أبدا.

ووصـــل الأمـــر بطاهـــر بن الحسين أن يجعل أحد المستجيرين به جارا له، وجب عليه إعانـــته ومساعدته وإجارته، فمنحه بذلك الأمان على حياته وتعهد له بحفظ ماله، فوقع في قصة هذا المستجير: "أنا جاره " [٤].

وكذلك توقعيه في قصة مستأمن: " يُؤمَّن سِرْبه "[٥].

---

(١) الحصـــري، **زهر الآداب**، ج٤، ص ٩٤٣، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٤٧.

(٢) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٣، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٦٨.

(٣) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٦، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٩٧.

(٤) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص ٧٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨ .

(٥) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٩.

لـم يكـتفِ طاهر في هذا التوقيع بإعطاء الأمان لهذا المستجير، على حياته فحسب، بل تكفل بمنحه الأمان على أمواله وأهله من غير شرط أو قيد.

وقد يتوسط المستأمن بذوي الحظوة والقربى من أولي الأمر، للحصول على الأمان، فقد أرسـل عـبد الله بـن طاهر كتاباً إلى المأمون يطلب فيه أماناً لعبيد الله بن السري الذي ثار في مصر، فجاء توقيع المأمون في طي الكتاب بهذه الأبيات:

أخي وأنت مولاي الـ ذي أحفظ نعمـاه
فما تهوى من الأمـر فإني سوف أهواه
وما تسخـط من شيء فإني لست أرضاه
لـك الله علـى ذاك لـك الله[١]

وقـد يكـون الأمان المعطى من قبل الموقع محدوداً بشروط، كما جاء في توقيع وزير المأمون محمد المروزي، إلى رجل خافه: "ليس عليك بأس، ما لم يكن منك باس"[٢].

ويشترط طاهر بن الحسين على السندي بن شاهك أن يبقى بعيداً عن نظره فيضمن بذلك الأمـان علـى حياته وأمواله، إذ وقع إليه في كتابه إليه يسأله الأمان: "عش ما لم أرك"[٣]. فهو يبذل له الأمان ما دام بعيداً عن عينيه.

ويلاحظ في التوقيعين السابقين أسلوب الشرط، ولعل هذا الأسلوب جاء مناسباً لموضوع التوقيعين ومقامهما.

رابعاً: الرد على المستعطفين

كـان طـلاب العطـف يواتـرون رسـائلهم إلى ذوي الأمر في الدولة ينشدون العفو والمسـامحة، ويطلـبون الإقالة، ويعتذرون عما بدر منهم من جرائر أو أخطاء أو هفوات. وقد سـلكت التوقـيعات العباسـية التي ترد على هؤلاء المستعطفين سبيلين تقوم إحداهما على قبول الاسـتعطاف والعفو عما بدر، بينما تقوم السبيل الأخرى على رفض الاستعطاف ووسمه بالفشل، والملاحظ أن هذه السبيل كانت أعم وأغلب من السبيل الأولى.

---

(١) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٨١-٨٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٠٤.

(٢) قدامـة بن جعفر، **نقد النثر**، ص١٠٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٢٥.

(٣) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠، ومحمد الدروبي، وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٦ .

ومن توقيعات الاتجاه الأول، توقيع الرشيد في رسالة استعطاف بعثها نصر بن مالك بعد أن عـزلـه الرشيد بسعي البرامكة: "نصر بن مالك أولى من ردت عليه النعمة، إذ كان معترفاً بسـمتها، وبالغـا بالشـكر حق قيمتها، فما شكرني أحد من أوليائي تشكره، فليهنه ما أولياناه من رأينا، ومنحناه من برنا"(١).

يـتخذ الرشـيد في هذا التوقيع موقفاً إيجابياً من المستعطف، فهو يقبل استعطافه، ويأمر برد النعمة عليه، ثم لا يلبث حتى يخلع عليه ثناءً ومدحاً، فضلاً عما ينتظره من المكافأة الحسنة.

وبالمـثل لم يكتفِ الوزير يحيى البرمكي بقبول استعطاف الشاعر ابن سيابة فحسب، بل أجزل له العطاء، فأمر له بالصلات وأجزل مكافأته، فقد جاء في توقيعه: "قد عفونا عن الخائف، والحـاكم لنفسه ببراءته، وأمرنا له بصلة تنير ظلمته، وتؤنس وحشته، ووهبنا ماضيه لمستقبله، وسالفه لمستأنفه"(٢).

يـتراءى للـناظر أن البرمكـي عفا عن ابن سيابة، وأمنه على نفسه وحياته، ثم أمر له بعطاء وصلة يستعين بهما، ويقوم بهما حاله، فهو يفتح بذلك صفحة جديدة من الصلة بينهما.

ومـن التوقيعات التي تمثل الاتجاه الآخر توقيع المنصور في رسالة الشاعر سديف، فلما ظهـر إبراهـيم بـن عـبد الله أخو النفس الزكية بالبصرة، صار إليه سديف الشاعر هارباً من المنصـور، فمدحـه وأظهر عداوة بني العباس، فلما قـُتل إبراهيم هرب سديف، وتوارى حتى سكنت تلك الفورة، ثم كتب إلى المنصور يسأله أن يمن عليه بالعفو، وكتب إليه بهذين البيتين:

أيها المنصور يا خير العرب　　خير من ينميه عبد المطلـــب
أنا مولاكم وأرجو عفوكـم　　فاعف عني اليوم من قبل العطب

فوقع المنصور في كتابه بخطه:

لم يلدني محمد بن علي　　إن تسميّتُ بعدها بولي

ثم كتب إلى عبد الصمد بن علي عمه يأمره بقتله(٣).

---

(١) التنوخي، **الفرج بعد الشدة**، ج١، ص٣٩٤، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العـرب** ، ج ١، ص ٨٢.

(٢) التوحـيدي، **البصـائر والذخائر**، ج٥، ص١٢٥-١٢٦، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٩.

(٣) ابن المعتز، **طـبقات الشعراء**، ص٤١-٤٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٦٤-٦٥.

لـــم يـــرفض المنصور استعطاف سديف الشاعر الذي توسل إليه بأبياته تلك فحسب، بل أمر بقتله جزاء ما تقدم منه، مشيراً إلى أن علاقة الولاء التي متّ بها، ما عادت تشفع له.

ومـــن التوقيعات التي تمثل هذه الوجهة توقيع الرشيد في كتاب يحيى البرمكي الذي كتب قصيدة استعطاف، وبعث بها إلى الأمين، فبعث بها الأمين إلى أمه زبيدة، التي أوصلتها الرشيد، فلمّـــا فـــرغ الرشيد من قراءتها وقع في أسفلها: "عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك" ورمى بها إلى زبيدة، فلما رأت توقيعه علمت أنه لا يرجع عنه[١].

وكما هو واضح للعيان، فإن البرمكي بعث رسائل استعطاف كثيرة للرشيد عله يعفو عنه بما تقدم من طاعته وولائه، ولكن الرشيد أغلق الأبواب كلها في وجه محاولاته، فلجأ إلى طريق مغاير في استعطافه، فاتخذ من الأمين وأمه زبيدة وسيلة لذلك، لقربهما من الرشيد وقدرتها على التأثير في قراره، والتوقيع يقرر -من جهة- جسامة الجرم الذي جرّ النكبة على البرامكة ممثلين بكبيرهم -يحيى بن خالد- لكنه من جهة أخرى لا يفصح شيئاً عن حقيقة هذا الجرم، وإنما يكتفى بالإشـــارة إلى عظمه، حتى إنه لم يترك فرصة للعفو، بل إن عظم الذنب فعل في الرشيد فعلته، فقضـــى علـــى مجـــرد الأفكـــار والخواطـــر التي كانت تجوس في ذهنه حول إمكان العفو عن البرمكي، والتوقيع بذلك يشعر أن التجاوز عن البرامكة أضحى بعيد المنال، بعدما ماتت في نفس الرشيد آخر خواطر النفس المحدثة بالعفو عنهم[٢].

وقـــد يـــتجاوز الأمر رفض الاستعطاف ورده إلى توبيخ المستعطف وتقريعه، فقد كتب إبراهيم بن العباس الصولي إلى ابن الزيات، وزير المعتصم والواثق، رقعة يستعطفه فيها بعد أن نكبه، وفي آخرها:

وكنتَ أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا صرْتَ حربا عوانا
وكنتُ إليك أذم الزمـــان ... فأصبحت فيك أذمّ الزمانـــا
وكنتُ أعدّك للنائبـــــات ... فها أنا أطلب منك الأمانـــا

فوقـــع ابـــن الـــزيات فـــيها: "ارجع مذموماً لا حاجة لنا إلى أخوّتك، ولا صداقتك، ولا للاستعانة بك:

---

(١) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٥، ص٦٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨١.

(٢) انظـــر: محمـــد الدروبي، صدى نكبة البرامكة في نماذج من النثر العباسي، **مجلة المنارة**، المجلد السادس، العدد الأول، المفرق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٨٥-١٨٦.

إذا مـــا بدأت امرءاً جاهلاً ببرّ فقصّر عن حملـــــه
ولم تلفه قائلاً بالجميـــــل ولا عارف العز عن ذلـــه
فسمْهُ الهوان فإن الهوان دواءٌ لذي الجهل من جهله

وحسبك ما أخلدت إليه ضعة ونقصاً، وفي كفاية الله غنىً عنك"[1].

وواضـــح أن ابـــن الزيات يرد استعطاف الصولي رداً قاسياً، فهو يجذم حبل الصلة التي كانـــت تـــربط بيـــنهما، ويظهـــر شـــماتة به، ويصفه بالضعة والنقص والجهالة، ومفاد هذا أن الاستعطاف لم يلق أذناً صاغية، وأن الرد على المستعطف انغلق بتحوله إلى هجوم شديد عليه.

وقد يباين بعض الموقعين منحى الهجوم برفض الاستعطاف من غير تجريح المستعطف أو تقـــريعه، فقد كتب أبو جعفر بن القاسم الكرخي -وهو على بعض الدواوين- إلىالوزير عبيد الله بـــن محمـــد، وقـــد شم رائحة عزله من منصبه، رقعة يستعطفه ويسأله أن يقره على عمله، فوقـــّع: "لست أتهمك -أعزك الله- بفتور همة، ولا تقصير سعي، ولكني أحسبك ممن يتحكم عليه بالشـــفاعات، ويحـــب اكتساب المحامد، وهي -والله- محبوبة من جهاتها، فأما إذا كانت في غير أحـــيانها، فهي عين المراصد، وفي أثنائها وأعجازها مخاطرة بالنفس. وقد نهى الله -عز اسمه- عنها حيث قال: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** "[2].

خامساً: الرد على المستشفعين

ويتصـــل بالموضوع الآنف موضوع آخر هو الرد على المستشفعين، فقد كان الموقعون يعلقون على رقاع طلاب الشفاعة بما يناسبها إيجاباً أو رداً، وقد تباينت موضوعات المستشفعين، فكانـــت تتـــناول قضـــايا شخصـــية حيـــناً، أو قضـــايا شرعية حيناً آخر، وجاءت الردود على المستشـــفعين متناسقة مع هذه القضايا، فهي تتهاون في بعض الحقوق الشخصية التي لا تتجاوز حـــدود الله وشـــرائعه أو قوانين الدولة وتشريعاتها، وفيها تقبل الشفاعة، ومن ذلك أن الفضل بن يحـــيى، غضب على أبي الهول الحميري الشاعر في شيء وجده عليه، وكان عنده قبل ذلك في حالـــة رفـــيعة، وكان الفضل معجباً بشعره، وكان يصله بالصلات السنية، فلما غضب عليه جفاه

---

(١) ابن الأبار، **إعتاب الكتاب**، ص١٤٧-١٤٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٣٠.

(٢) الثعالبـــي، **الاقتـــباس مـــن القرآن الكريم**، ج٢، ص١٤٨-١٤٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣٥٧. وانظر: سورة البقرة، الآية ١٩٥.

الـــناس وتـــنكروا له، فلم يدر بمن يتحمل عليه ويستشفع حتى يرضى عنه فلما ضاق به ذرعه، قال:

سما نحونا من غضبة الفضل عارضٌ ... له زجلٌ فيه الصواعق والرعـــد

ومالي لدى الفضل بن يحيى بن خالد ... من الجرم ما يخشى عليّ به الحقد

فجد بالرضى لا أبتغي منك غيـــره ... ورأيك فيما كنت عودتـــني بعـد

فلمـــا قرأ الفضل رقعته وقـــّع فيها: "رضاي عنك مقرون بإحساني إليك، فإن أردت أن أفرق بينهما لم أفعل، وحمل إليه صلة، واستغنى بالأبيات عن الشفيع"[١].

كانت الأبيات الشعرية الآنفة، شفيعاً لأبي الهول الحميري عند الفضل بن يحيى، فقد قبل شـــفاعته، ووصـــله بعـــد أن قطعه، إذ حمل إليه بعد قبوله شفاعته الصلات والعطايا تعبيراً عن إنجاح شفاعته ورضاه عنه.

وقـــد يُقبل التشفع تكريماً للشفيع، إذ كان المستشفعون يتوسلون بأحد الوجوه أو المقربين أو ذوي الشـــأن عـــند الموقع، خليفة كان أو وزيراً أو قائداً، ليكونوا شفعاء لهم، وقد يقبل الموقع شـــفاعتهم تقديـــراً وتكريماً لهم. فقد كتب عمرو بن مسعدة إلى المأمون في أمر بعض أصحابه: "أما بعد: فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول عليه في إلحاقه بنظرائه من المرتزقين فـــيما يرتـــزقون، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعـــدي طاعـــته، والسلام". فوقـــّع المأمون في ظهر كتابه: "قد عرفنا تصريحك له، وتعريضك بنفسك، وأجبناك إليهما، ووافقناك عليهما"[٢].

كـــان المـــأمون يـــرفع أقدار رجاله، ويحقق آمالهم فيه ويقبل شفاعاتهم[٣]، فأراد في هذا التوقيع أن يري الكاتب أنه قريب منه، وأنه ذو مكانة عنده، فجعله في مراتب المستشفعين، وهو بذلك يقبل شفاعته في بعض أصحابه، ويجيبه إلى طلبه ويوافقه عليه.

وقـــد يقبل الموقع الشفاعة قبولاً محدوداً بالشروط، كما في توقيع أبي القاسم يوسف، في رقعة كتبها ابناه القاسم وأحمد: يستشفعان لعباس غلام أبي الوفاء:

---

(١) ابـــن المعـــتز، **طبقات الشعراء**، ص ١٥٣، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٥.

(٢) العســـكري، أبـــو هـــلال، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **كتاب الصناعتين**، تحقيق: علي محمد الـــبجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٣٨١، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١١٠.

(٣) انظر: أحمد أمين مصطفى، **المأمون أديبا**، ص ١٧٣.

لولا رعاية عباس وحرمتـــه وقولكم لفجعنـــاه بصحتـــه
لما انبرى بائعاً بالجور بسطته ولم يخف سطو ربّ فوق سطوته
وقد وهبنا لكم عدوى جريرته إن لم يعد بعدها في مثل فعلتـــه
ومن يجز باغترار حد قدرتـــه يكن صريعاً وشيكاً تحت غرّته[١]

اشـــترط يوســـف في قبول شفاعة ابنيه القاسم وأحمد، أن يتوب عباس عن جنايته، ولا يعود لمثلها وإلا فإنه سيعاقبه ويعاقب من تشفع له، وهو يضع بذلك شرطاً أمام قبول الشفاعة.

أمـــا فـــي الأحكام الشرعية، والحدود والقصاص، فقد كان الموقعون يرفضون الشفاعة فـــيها، لتعلق ذلك بحدود الله التي لا يمكن للموقع أن يعطلها على أيّ كانت الحال، كما في توقيع جعفر البرمكي في رقعة متشفع إليه بدم: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾[٢].

فقـــد استشهد البرمكي بآية القصاص التي قررت حد القتل، فجزاء القاتل القتل، ولا تقبل شـــفاعته أبـــداً. ويلاحظ أن عدداً من الموقعين العباسيين مثل المهدي ويحيى البرمكي استشهدوا بآيـــة القصاص رداً على طلاب الشفاعة من القتلة، ولعل هذه الآية كانت أوفق الردود في إجابة أولئك الذين يشفعون في حد من حدود الله[٣].

وبالمـــثل، وقع الفضل بن سهل وزير المأمون في امرئ قاتل شهد عليه العدول فشفع له: "كتاب الله أحق أن يُتّبع"[٤].

والفضـــل فـــي هذا التوقيع يقف موقفاً حازماً، فهو يرفض قبوله شفاعة القاتل؛ لأن القتل حـــد من حدود الله، ولا يجوز التهاون فيه أو التجاوز عنه، بل تطبق فيه العقوبة التي فرضها الله فـــي كتابه العزيز، فهو المصدر التشريعي الرئيس الذي ينهل منه المسلمون تشريعاتهم وقوانين حياتهم، وهو أحرى أن تتبع أحكامه، ولا سيما في مثل أحكام القتل.

---

(١) الصولي، **الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين)**، ص ١٦٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص٤٣٧-٤٣٨.

(٢) الثعالبـــي، **الاقتباس من القرآن الكريم**، ج٢، ص ١٤٨، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣٠١-٣٠٢. وانظر: **سورة البقرة**، الآية ١٧٩.

(٣) انظر: محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٧٨.

(٤) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٠٨.

سادساً: الرد على المعتذرين

وكانت التوقيعات تتضمن في كثير من الأحيان الرد على المعتذرين الذين يتقدمون بطلب العفـــو عن هفوة بدرت منهم، أو ذنب ارتكبوه، أو انقطاع، أو عصيان وخروج عن الطاعة، وقد تباينـــت الردود على المعتذرين بين القبول حيناً والرفض حيناً آخر. ومن ذلك عفو المأمون عن عمّـــه إبراهـــيم بـــن المهـــدي، وقبوله اعتذاره بعد أن كتب إليه رقعة يعتذر فيها عن عصيانه، وخـــروجه عـــن طاعته، فوقـــّع المأمون في حاشية رقعته: "القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل وهو أكبر ما نسأله"(١).

يقـــبل المـــأمون في توقيعه اعتذار إبراهيم بن المهدي، فإذا كان العصيان والخروج عن الطاعـــة ذنـــباً، فـــإن الاستمرار والتمادي في ذلك أشد وأعظم ذنباً، ولذا كان الاعتراف بالذنب فضـــيلة، والـــتراجع والـــندم دلـــيل التوبة، وهكذا استطاع المأمون بحكمته وسياسته التعامل مع الخارجين على طاعته، حرصاً على النظام والاستقرار.

بينما يحفظ جعفر البرمكي لمعتذر ما تقدم منه من طاعة ونصيحة، فلا يؤاخذه على هفوة ارتكـــبها، فمـــا تقدم من حسن عمل يغفر له هفوته وذنبه، فقد وقع في رقعة معتذر من ذنب: "قد تقدمت طاعتك، وسبقت نصيحتك، فإن بدرت منك هفوة، فلن تغلب سيئة حسنتين، والسلام"(٢).

لـــم يقبل البرمكي اعتذار هذا المذنب فحسب، بل أثنى على فضائله وحسناته السابقة التي غفرت له ذنبه، وجعلت قبول عذره مسوغاً، وهو بذا يجعل ماضيه شافعاً لما أتى به.

وبالمثل، يقبل الصاحب بن عباد اعتذار أحدهم، لقربه من نفسه، وعظم مكانته عنده حتى إنه ليجعله بمنزلة قريبة تشبه قرب الجفن من العين، فقد كتب إلى بعض الفضلاء يعتذر عن عدم زيارته لخوف الإثقال على حضرته، فوقع: "متى يثقل الجفن على العين؟! "(٣)

ويوقع الخليفة الراضي بالله في رقعة كتبها له أبو بكر الصولي يعتذر فيها عن الانقطاع لخدمته للعلة التي أصابته فوقـــّع إليه:

وصلت رقعةٌ فأوصلتْ الوحـ ـشة لما أتت بشكوى الأنيـــس

---

(١) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص١٠٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٩٥.

(٢) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص٢٧٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٠١.

(٣) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨،ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣٧٨.

بُدّل القرب بالبعاد فبـــــدّلـــ ـــتُ بيوم السرور يوم عبوس[١]

يشـــارك الراضي بالله الصولي مصابه، ويتألم لألمه، مصورا ما تترتب عليه محنته، إذ تحولت أيام الأنس والسعادة بعد انقطاع أنيسه إلى تعاسة وعبوس.

وأحـــيانا كـــان الموقـــع يتوقف عن قبول العذر لعلة ترجع إلى سوء الاعتذار، خطابا أو منهجا أو خطا. ومعروف أن المعتذر يجب أن يكون على قدر من البلاغة، وحسن المنطق حتى تلقـــى كلماته قبولاً حسناً، وحتى يتسلل إلى نفسية المخاطب وينال عفوه. كما في توقيع أبي عبيد الله وزيـــر المهـــدي، في رقعة رجل لم يحسن الاعتذار: "ما رأيت عذرا أشبه باستئناف ذنب من هذا " [٢].

لـــم تسعف الكلمات هذا الرجل، فقد خانه التعبير في اعتذاره، فما كان من أبي عبيد الله إلا أن عاب اعتذاره ورفضه، بل عدّ اعتذاره ذنباً مستأنفاً فوق ذنبه السابق.

واعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه، فرأى خطه قبيحا، فوقّـــع فـــي رقعـــته: "أ ردنـــا قبول عذرك، فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبح خطك، ولو كنت صادقاً في اعـــتذارك لساعدتك حركة يدك، أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح البغية، ويمكن له من درك البغية؟! "[٣]

فـــالخط الجميل، في رأي الموقع، يجمّل الاعتذار، ويعبّر عن صدقه، فيجعله أكثر قبولاً فـــي النفس، وقد كان قبح الخط هذا الرجل سببا في رفض ابن طاهر اعتذاره، إذ كلما كان خط المعتذر واضحاً أنيقاً، كان قصده واضحاً وأدرك بغيته.

سابعاً: الرد على المتظلمين

يعـــد الـــرد علـــى المتظلمين من أبرز الموضوعات التي تناولتها التوقيعات العربية في العصـــر العباســـي، ولا شك أن ارتباط نشوء التوقيعات عند العرب والأمم الأخرى بإقامة نظام العـــدل وإنصـــاف المظلوميـــن والرد على الظلام، كان السبب في الاهتمام بموضوع الرد على المتظلميـــن، فقـــد كان المتظلمون يبعثون الرقاع إلى أولي الأمر في الدولة، يستغيثون بهم لرفع

---

(١) الصـــولي، الأوراق (أخـــبار الراضي بالله والمتقيلله)، ص ٥٨، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب، ج١، ص ١٢٩.

(٢) ابـــن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢١٨، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب،ج٢، ص ٢٧٢.

(٣) الصولي، أدب الكـُتاب، ص٥٣، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب، ج٢، ص٢٤٤.

الظلـــم والأذى الـــذي وقع عليهم من والٍ أو عامل أو مستبد. وقد كان الخلفاء أنفسهم يباشرون أحـــيانا النظر في المظالم، بيد أن كثرة المتظلمين وازدياد عدد الظلامات اقتضت ترتيب نفر من الكـُتاب تُوكل إليهم مهمة كتابة التوقيعات[١].

وتكـــاد معظـــم هذه التوقيعات تتخذ جانباً إيجابياً يتفاعل فيه الموقعون مع أصحاب هذه الظـُلامـــات والشـــكاوى، فقـــد كان بعض الموقعين يدعو إلى رفع الظلم والأذى، في حين كان بعضـــهم يتوعد الظلام بسوء العاقبة، ومن ذلك توقيع الخليفة المنصور، فقد رفع إليه رجل قصة في شكاية بعض عماله فوقع على ظهرها: "اكفني أمره وإلا كفيته أمرك والسلام"[٢].

ونجد بعض الموقعين ينطلقون في توقيعاتهم مُتحدثين عن العدل، وانه أساس الحكم، وأن الظلـــم نذير الفساد، فالعدل يدعم ركائز الدولة وأساسها، والظلم يهدمها وينقضها، فقد وقع الرشيد على رقعة رجل تظلم من عمرو بن مَسْعدة: "يا عمرو، اعمر نعمة الله عندك بالعدل، فإن الجور يهدمها "[٣].

وجاء هذا المعنى في توقيع للحسن بن سهل الذي جعل الحق أساس ولايته والعدل غايته وهدفه، كما توعد ذلك الوالي الظالم بالعقاب الشديد إذا ثبت ظلمه: "الحق أولى بنا، والعدل بغيتنا وإن صح ما ادعيتم عليه صرفناه وعاقبناه "[٤].

ويصل الأمر ببعض الموقعين إلى أن يجعل نفسه نداً لهذا الظالم، فهو غريمه وعدوه إلى أن يعـــود عـــن ظلمه ويرجع الحق إلى أصحابه، ومن هؤلاء جعفر البرمكي، فقد وقع في قصة رجل تظلم من بعض عماله: " أنا لمثله حتى ينصفك "[٥].

ورفـــض الموقعون في بعض التوقيعات هذه الظلامات وما جاء فيها، وجاء هذا الرفض أحياناً برفق ولين من غير أن يجرح صاحب هذه الظلامة أو الشكوى، ومثال ذلك توقيع المأمون

---

(١) انظر: محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٧٣- ٧٤.

(٢) الثعالبي، **آداب الملوك**، ص ٧٤، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٥٩.

(٣) الأزدي، **أخـــبار الدولة المنقطعة**، ص١٣٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٨.

(٤) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣١٤.

(٥) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٢٩١.

إلى أهل الكوفة وقد شكوا عاملهم: كما تكونوا يولىّ عليكم[١].

وقد تشتد لهجة هذا الرفض فيكون حازماً غليظاً إلى حد رمي المتظلمين بالأوصاف الشنيعة القاسية، فقد عرض خالد بن أبي خالد رقاعاً على المأمون منها رقعة قوم متظلمين من إسحاق بن إبراهيم، فلما قرأها المأمون أخذ القلم وكتب على ظهرها: "ما في هؤلاء الأوباش إلا طاعن واش!! إسحاق غرسي بيدي، ومن غرسته أنجب ولم يخلف، ولا أعدي عليه أحداً". ثم كتب إلى إسحاق رقعة فيها: "من مؤدب مشفق إلى حصيف متأدب: يا بني من عز تواضع،ومن قدر عفا، ومن راعى أنصف، ومن راقب حذر، وعاقبة الذالة غير محمودة، والمؤمن كيس فطن، والسلام"[٢].

لم يكتفِ المأمون بتوبيخ هؤلاء المُتظلمين ورد ظلامتهم بما يناسبها، بل بعث برقعة إلى واليه إسحاق بن إبراهيم، يوجهه ويحذره ممن يحاولون النيل منه من حساد ووشاة، فإسحاق من صنائع المأمون، اختاره لهذا الأمر لثقته بقدرته وحكمته، ولعل حسن اختيار الخلفاء لولاتهم من الأمور المهمة، فالخلفاء يستشعرون المسؤولية الثقيلة التي تقع على عاتقهم تجاه الرعية، فيحرصون على انتقاء الأقدر على تدبير الشؤون العامة وتحقيق مصالح الدولة.

ويبدو جلياً أن الحكمة تبرز بوضوح في كثير من التوقيعات المكتوبة في الرد على المتظلمين، سواء أكان الرد إيجاباً أم سلباً. ومن ذلك توقيع المأمون في قصة متظلم من أبي عباد ثابت بن يحيى الوزير: "يا ثابت، ليس بين الحق والباطل قرابة"[٣]. ينضم هذا التوقيع على معنى عامر بالحكمة صائب في التجربة، فالحق والباطل لا يلتقيان أبداً، وليس بينهما إلا التنافر والتضاد، وهذا المعنى المُستقى من روح الحكمة، يبدو معنى صائباً تشهد له وقائع الحياة.

وفي توقيع آخر للمأمون يفاضل فيه بين نوعين من الظلم، فالشريف يعرف بظلمه لمن هو أعلى منزلة ورتبة منه، في حين يتطاول عليه من هم دونه مكانة فيظلمونه ويتعدون عليه،

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٥٨.

(٢) الشابشتي، أبو الحسن، علي بن محمد(ت ٣٨٨هـ/٩٨٨م)، **الديارات**، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٧، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٩٢.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٥، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٨٩.

فـيرتفع عن ظلمهم، وإيقاع الأذية بهم، فوقع في قصة متظلم من علي بن هشام: "يا أبا الحسن، من علامة الشريف أن يظلم من فوقه، ويظلمه من دونه، فأي الرجلين أنت؟! "[١].

ثامناً: الرد على المستعطين

جـرى الـناس على التوجه إلى العلية وذوي الشأن لطلب الصلات والعطايا، طمعا في كـرمهم وسخائهم، وقد تباينت الردود فجاءت طائفة منها إيجابية، إذ كان الموقع يأمر بالصلات والعطايـا السخية، في حين جاءت طائفة أخرى منها سلبية، تصد طلاب العطايا أو تعتذر منهم. ومـن أمـثلة الاتجاه الأول، ما فعله يحيى البرمكي مع إسحاق الموصلي، فقد احتاج إسحاق إلى المـال لشـراء دار بعد أن كان يسكن بالأجرة، فلما حدّث يحيى البرمكي دعا بدواة، وكتب أربع رقـاع، قـال إسـحاق فظننـت أن بعضـها توقيع لي بجائزة، ثم دعا بعض وكلائه، فدفع إليه الرقاع... فلما نزلت على باب داري، وإذا بالوكيل الذي ساره يحيى قد قام إلي فقال: ادخل أيدك الله دارك حتى أدخل في أمر أحتاج فيه إلى مخاطبتك، فطابت نفسي فدخلت ودخل إلي، فأقرأني توقـيع يحـيى: "يطلـق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع بها داره، وجميع ما يجاورها ويلاصـقها ". والتوقـيع الثاني إلى ابنه الفضل: "قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم، يبتاع بها داره، فأطلق له مائة ألف أخرى، لينفقها على إصلاح الدار كما يريد، وبنائها". والتوقيع الثالـث إلـى ابـنه جعفـر: " قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف، يبتاع بها فرشا لمنزله"، والتوقـيع الـرابع إلى محمد: "قد أمرت وأخواك لأبي محمد إسحاق بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبـتاعه ونفقـة يـنفقها علـيه، وفرش يتبدله، فمر له أنت بمائة ألف درهم، يصرفها في سائر نفقته"[٢].

لقـد بلـغ السـخاء والكـرم بيحيى البرمكي أن أصدر أربعة توقيعات بالصلة والعطية لإسحاق منه ومن أبنائه.

أما المأمون، فإنه أمر للواقدي بضعف ما طلب، اعترافا بفضله وحيائه، فقد رفع الواقدي إلـى المـأمون يشـكو غلبة الدين، فوقـّع المأمون فيها بخطه: "أنت رجل فيك خلتان: السخاء والحـياء، فأمـا السـخاء فهو الذي أطلق يدك بما ملكت، وأما الحياء فهو الذي حملك على ذكر

---

(١) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٥، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٨٨.

(٢) التنوخي، أبو علي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) **المستجاد من فعلات الأجواد**، تحقيق: محمد كرد علي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٩١-٩٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٨٥.

بعض دينك دون كله، وقد أمرنا لك بضعف ما ذكرت، فإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فجنايتك علـى نفسـك، وإن كـنا بلغـنا بغيتك، فزد في بسط يدك، فإن خزائن الله مفتوحة، ويده بالخير مبسـوطة، وأنت كنت حدثتني، وأنت على قضاء الرشيد عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنـس بن مالك، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال للزبير بن العوام: يا زبير، إن مفاتيح الـرزق بإزاء العرش، ينزل الله تعالى للعباد وأرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثّـر كـُثّـر له، ومـن قلّـل قـُلّـل له، وأنت أعلم " . قال الواقدي: وكنت أنسيت هذا الحديث، فكانت مذاكراته إياي أعجب إلي من صلته[١].

ولعلـه يـتراءى للناظر في توقيع المأمون السابق، وفي غيره من التوقيعات التي كانت تكتـب في توزيع الصلات والعطايا على مستحقيها المبلغ الذي وصله العباسيون من فحش الثراء وفرط الإسراف، حتى ليتصور المرء أنه أمام أنهار غدقة تدفق بالأموال الطائلة من كل صوب، وعلى كل من له صلة بالسلطان[٢].

ويصـل الواثق أحد المستعطين عن طيب نفس، وكرم منه، فقد كتب محمد بن حماد إليه يعرض في حاجة له ببيتي شعر، هما:

جُذبت دواعي النفس عن طلب الغنى وقلت لها عقي عن الطلب النزر

فإن أميـر المؤمنيـن بكفـّـه مدار رحى الأرزاق دائبة تجري

فوقـع الواثـق: جذبك نفسك عن امتهانها بالمسألة، دعا إلى صونك بسعة فضلي عليك، فخذ ما طلبت هنيئا[٣].

ويرحـب الحسـن بن سهل بمن توسل إليه أملا بالصلة والعطاء، فيوقـّع: "مرحبا بمن توسل إلينا بنا"، وأمر له بصلة[٤].

---

(١) ابـن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي(ت ٨٢٥٦هـ/٨٦٩م)، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق: سامي مكي العاني، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٣٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٠٩.

(٢) انظر: محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٨٣.

(٣) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١٤، ص ١٧، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص١١٧.

(٤) الثعالبي، **خـاص الخاص**، ص١٣٥- ١٣٦، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣١٦.

أمـــا الفضـــل بن سهل فيجزل العطاء لرجل شكا غلبة الدين، وكأنما جعل وفرة العطاء ســـبيلاً إلـــى ترغيـــب الآخرين، فقد وقـــّع: "قد أمرنا لك بثلاثين ألفا وسنشفعها بمثلها، ليرغب المنتصحون"(١).

وقـــد يلجأ بعض طلاب الصلات إلى وساطة أحد المقربين للحصول على طلبه، فقد كان أبـــو الهذيـــل العـــلاف سار إلى سهل بن هارون الكاتب، وكان خاصا بالحسن بن سهل، يسأله الكـــلام، فـــي أمره، ويستعينه على ضائقة دُفع إليها، فسار سهل إلى الحسن فكلمه، وقال له: قد عرفت أيها الأمير حال أبي الهذيل ومحله وقدره في الإسلام، وأنه متكلم قومه، والراد على أهل الإلحـــاد، وقد فزع إليك لإضاقة هو فيها، فوعده أن ينظر له بما يصلح حاله، فلما انصرف سهل إلى منزله بعثه لؤم طبعه وسوء خلقه على أن كتب إلى الحسن بن سهل:

إنَ الضميرَ إذا سألتكَ حاجـــة ... لأبي الهذيلِ خلافَ ما أبْـــدي

فامْنَحه روحَ اليأس ثم امدُدْ لهُ ... حبْلَ الرجاء بمُخْلـــفِ الوَعْدِ

وألِنْ لهُ كنفا ليحْسُـــــنَ ظنَّـــه ... في غير مَنْفعَـــــةٍ ولا رفـــدِ

حتى إذا طالت شقاوةُ جَـــــدّه ... بعنايةٍ فاجبـــهْهُ بالـــــرَّدّ

فلما قرأ الحسن كتابه، وقع إليه: "هذه - لك الويل - صفتك لا صفتي، وأمر لأبي الهذيل بألف دينار"(٢).

ويقـــرن المـــأمون عطاءه لرجل بصدقه، فقد رفع بعضهم إلى المأمون قصة يسأله فيها إجـــراء أرزاقـــه، فقـــال: كم عيالك، فزاد الرجل في العدد، فقال: كذبت، فبهت الرجل، وقال في نفســـه: يا نفس من أين علم أني كذبت، فأقام الرجل سنة لا يجسر على كلامه. ثم رفع إليه قصة أخـــرى في إجراء أرزاقه، فقال: كم عيالك، فقال: أربعة، فقال: صدقت، فوقع في القصة: يجرى على عياله كذا وكذا(٣).

كـــان العطـــاء، كما تصوره التوقيعات، وفرا غامرا، وكان يعبر عن حالة الثراء المادي التـــي عاشها العباسيون، خلفاء ووزراء وقادة، بيد أن العطاء كان قليلاً في بعض التوقيعات على

---

(١) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٠٨.

(٢) الثعالبـــي، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٧٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣١٧-٣١٨.

(٣) الجاحظ، أبوعثمان، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ/ ٩٦٨م)، **التاج في أخلاق الملوك (منسوب)**، نشره عن طبعة أحمـــد زكي: إبراهيم الزين وأديب الزين، دار الفكر ودار البحار، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ص٢٨١، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١١١.

قـدر حاجـة طالـب الصلة والعطاء، فقد وقع طاهر الخزاعي في قصة مستمنح: "يُبلّ حاله"[١]. ووقع كذلك في قصة مُستوصل: " يقام أوده "[٢].

أمـا الاتجـاه الثاني، فقد تضمن طائفة من التوقيعات السلبية التي تصد طلاب الصلات والعطايـا، أو تعـتذر إليهم بلطف، لقلة المال وعدم توفره، كما وقـّع معن بن زائدة، فقد وقف شـاعر بـبابه حـولاً لا يصل إليه، وكان معن شديد الحجاب، فلما طال مقامه سأل الحاجب أن يوصل له رقعة -وكان الحاجب حدبا عليه- فأوصل الرقعة، فإذا فيها:

إذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل؟!

فـألقى معن الرقعة إلى كتابه، وقال: أجيبوه عن بيته، فخلطوا وأكثروا ولم يأتوا بمعنى، فأخذ الرقعة وكتب فيها:

إذا كان الجواد قليل مال ولم يُعذر تعلل بالحجاب[٣]

ويطلـب يحـيى البرمكـي من رجل وصله عدة مرات، أن يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، وألا يكثر السؤال ويعاود الطلب، ويلحف فيه، فقد وقـّع إلى رجل عاوده لالتماس الصلة بعـد أن أخذها مرة: دع الضرع يدر لغيرك كما در لك[٤]. وأحسب أن ما أضفاه البرمكي على توقـيعه هذا من روعة الصياغة وجمال التعبير ودقة الفكرة وقوة الإيحاء وحسن التعريض، كان كافيا ليترك أصداءه السحيقة في نفس ذلك الطامع النهم[٥].

ومـن ذلك أيضا توقيع عمرو بن مسعدة الصولي، فقد قال: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحـيى البرمكـي، فـرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم، فرمى بها إلي، وقال: أجب عـنها، فكتبـت: "قليل دائم خير من كثير منقطع". فضرب بيده على ظهري وقال: أيّ وزير في جلدك!![٦]

وقـد يبـنى الرفض على علة يُقدرها الموقع، كما في توقيع المنصور في كتاب زياد بن عبـيد الله الحارثـي إلـى المنصـور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه وأبلغ في كتابه، فوقـّع

---

(١) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨.

(٢) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨.

(٣) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص٨٦، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢١٣.

(٤) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٥، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٢٧٧.

(٥) انظر: محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٨٤.

(٦) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣، ص ٤٧٦، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٢٣.

المنصـــور: "إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في رجل أبطراه وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك، فاكتف بالبلاغة"(١).

ويســـخر الصاحب بن عباد من شاعر رفع إليه رقعة فيها مديحة رديئة، فوقـّع له فيها بمائة درهم، فعاد الشاعر يُلحف، فوقع: "تلك المديحة تكفيها مائة منيحة"(٢).

ومـــن التوقـــيعات التـــي تسلك هذا المسلك، توقيع إبراهيم بن العباس الصوليّ، فقد كتب بعض عماله إليه يستزيده، فوقع في كتابه: " استدع ما عندي بالأثر لا بالطلب"(٣).

وقد يصل الأمر إلى صد طلاب الصلات والعطايا، صداً شديداً، فضلاً عن توعدهم، كما فـــي توقيع العباس بن الحسن الجرجرائي، وزير المكتفي، فقد كتب ابن الفرات وعلي بن عيسى ومحمـــد بن داود ومحمد بن عبدون، رقعة إلى العباس بن الحسن الوزير يستزيدونه فيها. فوقع بخطـــه على ظهرها: "ما حالكم حال مستزيد، ولا فوق ما أنا عليه لكم مزيد، فإن تكن الاستزادة مـــن مـــال فهـــو موفور عليكم، وإن تكن من رأي فالأعمال لكم، ولي اسمها وعلي عبئها، وثقل تدبـــيرها، وأقـــول لعلي بن عيسى من بينكم الذي ما يطيق نفسه تذللاً واعتدالاً: أمن بؤس كانت هـــذه الاســـتزادة أم بطـــر النعمة ودلال الترفه؟ ولي في أمر جماعتكم نظر ينكشف عن قريب، وحسبي وحسبكم الله، ونعم الحسيب"(٤).

تاسعاً: الرد على السجناء

كـــان أهـــل الحُبُوس يكتبون رسائلهم إلى أولي الأمر في الدولة، يطلبون إقالتهم وإطلاق ســـراحهم وتخليصهم من ظلمة السجن وثقل القيد، وجاء الرد في الغالب رداً مناسباً يبين للسجين بعـــض جـــرمه، والغاية من سجنه. فقد وقـــع أحمد بن أبي خالد وزير المأمون: "غررتنا بالله، فحبسناك لله"(٥).

ويـــرد الرشيد على يحيى البرمكي حين سجنه رداً حازماً، لا تهاون فيه ولا تراجع عنه، فقد كتب يحيى البرمكي، وزير الرشيد وهو في الحبس، إلى الرشيد يستعطفه: "إن كان الذنب -يا

---

(١) الآبي، **نثر الدر**، ج٣، ص ٩٠، محمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٤.

(٢) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٣٨٨.

(٣) الآبي، **نثر الدر**، ج٥، ص١٠٧، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٣، ص٤٤٨.

(٤) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٦، ص١٣٤، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص٣٤٥- ٣٤٦.

(٥) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٦، ص١٧٥، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣١٩.

أمـــير المؤمنين- خاصاً، فلا تعمن بالعقوبة فإن الله تعالى يقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. ولي سلامة البريء ومودة الولي"، فوقع الرشيد في رقعته: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾[١].

وواضـــح للعـــيان أن هذا التوقيع يشبه بهذه الآية أن يكون معارضة لاستشهاد البرمكي بالآيـــة السابقة من سورة الأنعام، إظهاراً للتكافؤ في استحضار الدليل، بل إن الدليل الذي أورده الرشـــيد مـــورد التوقـــيع ينهـــي الموضوع برمته، ولا يفسح مجالاً للأخذ والرد اللذين يتغياهما البرمكـــي، فمـــا حل بالبرامكة -في نظر الرشيد- أمرٌ مقضي، نفذ فيه الحكم المبرم، وتمت فيه إرادة مقدرة، أحالته إلى أمر منتهٍ، لا يسع طلب الفتيا معه بعدما فات فيه الفوت[٢].

وفـــي توقـــيع آخـــر له يقـــر أن العقـــاب من صنف العمل، فبقدر الذنب يكون الحساب والعقـــاب، فهـــو ينفذ حكم الله ويطبق شرعه، وهذا البرمكي وزيره يحس بدنو أجله فيكتب إلى الرشيد من الحبس: " قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل، وأنت بالأثر، والله الحكم العدل، وستقدم فتعلم ". فوقع الرشيد: " الحكم الذي رضيته في الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك، وهو من لا يرد حكمه، ولا يصرف قضاؤه "[٣].

ويظهـــر من هذا التوقيع أن الرشيد يعارض رسالة يحيى، فهو يعتمد الأساس نفسه الذي بـــنى عليه البرمكي دفاعه عن نفسه، وأنه -في نظر الرشيد- ضده لا معه، فإذا كان يحيى بات مؤمـــناً أن الرشيد ظلمه في دنياه، وأن الله -الحكم العدل- سينصفه في اليوم الآخر، فإن الرشيد يقلـــب هذا الإيمان ويجعل منه مفارقة صارخة قوامها أن البرمكي رضي بالله حكماً يوم القيامة، ولـــم يقـــبل حكمه في الدنيا، فهو يجعل بذلك ربه خصماً وقاضياً في آن معاً، وهذا ما جر عليه البلاء في حياته، وهو ما سينتهي به إلى النتيجة نفسها بعد مماته[٤].

ويربط الحسن بن سهل وزير المأمون بين السجن والحق وإقامة نظام العدل، فمتى حان الأوان أخرج السجين من سجنه، فهو يُسجن بالحق ويطلق بمثله، فقد وقـــع في قصة امرأة حبس زوجها: "الحق يحبسه والإنصاف يطلقه"[٥].

---

(١) الجهشـــياري، **الوزراء والكتاب**، ص٢٥٣، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٧٨- ٧٩. وانظر: **سورة الأنعام**، الآية ١٦٤، **وسورة يوسف**، الآية ٤١.

(٢) انظر: محمد الدروبي، **صدى نكبة البرامكة في نماذج من النثر العباسي**، ص١٨١.

(٣) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص٨٠-٨١.

(٤) انظر: محمد الدروبي، **صدى نكبة البرامكة في نماذج من النثر العباسي**، ص ١٨١.

(٥) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣١٥.

فـالظلم مـرتعه وخيم، وعاقبته الهلاك، والسجن جزاء من يتعدى على حقوق الآخرين ويستهين بها، ولا سبيل إلى الخلاص إلاّ بالتوبة الصادقة الخالصة، فقد وقّع الوزير جعفر البرمكي على رقعة محبوس: "العدوان أوبقه والتوبة تطلقه"(١).

بينما كان التوقيع في بعض الأحيان دعوة للسجناء إلى التريث والصبر حالما يكون الإفراج عنهم مناسباً، فإطلاق السجين ما زالت تقف أمامه عائقة الأمن، فإذا حان الوقت المناسب فقد جاءه الفرج. فوقع يحيى البرمكي في قصة من التمس الإطلاق وهو محبوس: "لكل أجل كتاب"(٢).

وقد يحمل التوقيع جواباً شافياً للسجين، فيكون به خلاصه، فقد يأمر الخليفة بفك أسره وإطلاقه على الفور، كما فعل الرشيد حيث حبس أبا العتاهية، فكتب إليه من السجن:

تفديك نفسي من كل ما كرهت ... نفسك إن كنت مذنباً فاغفر

يا ليت قلبي مصور لك ما ... فيه لتستيقن الذي أضمر

فرق له الرشيد، ووقع في رقعته: "لا بأس عليك".

فأعاد عليه أبو العتاهية رقعة أخرى فيها:

أرقتُ وطارَ عن عيني النعاسُ ... ونامَ السامرون ولمْ يُوَاسوا

أمينُ الله أمّنك خيرَ أمنٍ ... عليكَ من التقى منه لباسُ

تُساس من السماء بكلّ برٍّ ... وأنتَ به تسوسُ كما تُساسُ

كأنّ الخلقَ ركبٌ فوقَ روح ... له جسدٌ وأنتَ عليه راسُ

أمينُ الله إنّ الحبسَ بأسٌ ... وقد وقّعتُ: ليسَ عليكَ بأسُ

فأمر بإطلاقه(٣).

كانت أبيات أبي العتاهية السابقة سبباً في خلاصه من محنته، فقد أعجب الرشيد ببلاغته وحسن قوله، فأمر بإطلاقه.

---

(١) الجهشياري، **الوزراء والكُتاب**، ص٢٠٥، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠١.

(٢) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٥، محمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٧٧، وانظر: سورة الرعد، الآية ٣٨.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **عيون الأخبار**، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج١، ص٨٢، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٢.

ومـــن ذلك أيضاً توقيع طاهر الخزاعي الذي وقـّـع في قصة محبوس: "يُطلق ويُعتق"[١]، فقد أمر طاهر بإعتاق هذا السجين من غير قيد أو شرط.

ووقـّـع أيضاً في قصة محبوس آخر: "يُخرج ولا يُحوج"[٢]. فظاهر في هذا التوقيع يأمر بإطلاق هذا المحبوس، ولا يحوجه إلى التعطف والتظلم.

ولعلـــه يـــبدو مـــن التوقيعين السابقين لطاهر، أن الذنب الذي ارتكبه هذان السجينان لم يـــتجاوز حدود الشرع وقوانين الدولة، مما دعا طاهراً إلى إطلاقهما على الفور، من غير تريث في إطلاقهما.

عاشراً: الرد على طلاب الأعمال

كمـــا تناولـــت التوقيعات الرد على طلاب العطايا والصلات، تفرغت في أحد محاورها للرد على طلاب الوظائف والأعمال، وقد لاحظت الباحثة أن الردود على هؤلاء الطلاب جاءت فـــي اتجاهين، إذ جاءت طائفة من هذه التوقيعات سلبية، فقد كان أولو الأمر في الدولة يرفضون تشـــغيل مـــن يســـألونهم عملاً، ولعل معرفة الموقع بقدرات طالب العمل هي السبب الرئيس في رفضه لطلبه، إذ لا بد أن يكون صاحب المهمة مؤهلاً لها، قادراً على تحمل أعبائها ومسؤوليتها ومن ذلك توقيع يحيى البرمكي الذي استعمل رجلاً فلم يحمده، فعزله، فكتب إليه الرجل يسأله أن يرده فوقع إليه:

قد رأيناك فما أعجبتنا وخبرناك فلم نرض الخبر[٣]

فهو على دراية ومعرفة بما تقدم من هذا الرجل، فقد اختبره وأوكل إليه عملاً، فلم ينجح فـــي عمله، ولم يتحمل أعباء مسؤوليته. ولهذا فالبرمكي يرفض إعادته إلى عمله، بعد أن أثبتت الخبرة فشله الذريع.

في حين لم يكتفِ جعفر البرمكي، برفض طالب عمل، بل وصفه بالظالم الجائر، الذي لا يصلح للولاية، ولايقدر على تدبير أمرها، فقد وقـّـع في رقعة رجل سأل ولاية: "لا أولي بعض

---

(١) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٦٩، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٦.

(٢) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠، ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨.

(٣) الوشـــاء، أبـــو الطيـــب، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م)، **الفاضل في صفة الأدب الكـــامل**، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٠٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٨.

الظالمين بعضا "[١].

وقد يكون الخطأ اللغوي أو اللحن المُستكره أحيانا سببا في رفض الطلب، فقد يقع بعض الكـتاب فـي اللحن أو الخطأ، فيكون ذلك سببا وجيها في نظر الموقع لإفشال طلبه، لأنه يشترط في الكاتب أن يكون فصيح اللسان، قوي الحجة، لكي يحظى بهذا الغمل الذي يطلبه، ليكون قادرا على القيام بمهامه وأعبائه، فقد كتب بعض طلاب الأعمال رقعة إلى الصاحب بن عباد فيها: "إن رأى مولانـا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فعل"، فوقع الصاحب تحتها: "من كتب "إشغالي" لا يصلح لأشغالي"[٢].

ولعل الكاتب لجأ هنا إلى الاستعمال غير الفصيح في اختيار كلمة "إشغالي"، فجاء جواب الصاحب لطيفا مشتقا من المادة اللغويّة نفسها.

وكثـيرا مـا كان بعض طلاب الأعمال يلحون في طلبهم، ولكن هذا الإلحاح والتردد لم يكـن يجدي نفعا مع بعض الموقعين كعبيد الله بن سُليمان الوزير، فقد قصده بعض المتصرفين، وواصـل رقاعـه إليه يطلب منه الأعمال والأشغال والإقطاع، وكان فيه تخلف وجهل. فلما ألح عليه وأبرمه، وقع في ظهر بعض رقاعه: "يا هذا، قد أكثرت فيما تلتمس، ولست أعرفك بالكفاية فـأقلدك الأعمال، ورقاعك هذه تدل على قدر صناعتك، وتمنع من الاستنامة إلى كفايتك، فردك أسـهل مـن تقلـيدك، وقد رسمنا لك بكذا وكذا، فاستعن به في بعض المصارف، واشغل نفسك بالتدرب على المعارف"[٣].

فـي حين يطلب بعض الموقعين من طلاب الأعمال، التريث والتمهل حالما يكون الوقت مناسـبا لتقلـيدهم الوظـائف التي تناسبهم، فقد كتب عامل متعطل إلى الصاحب بن عباد رقعة تتضـمن استطلاع رأيه في تصريفه، فوقع فيها: "التصرّف لا يُلتمس بالتكفف، إن احتجنا إليك، صرّفناك، وإن استغنينا عنك أحسنـّا إليك وصرفناك"[٤].

---

(١) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٢٩٢.

(٢) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٢٣٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٩٠.

(٣) الثعالبي، **تحفة الوزراء**، ص ٩٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣٤٢ -٣٤٣.

(٤) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٣٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٨١.

أمـــا الاتجـــاه الثاني، فقد تضمن طائفة من التوقيعات الإيجابية، تسعف طلاب الوظائف وتســـم حاجـــتهم بالإنجاح، إذ يُقبل طلبهم في العمل، ويقلدون الوظائف التي تتناسب مع قدراتهم، فقـــد قـــال أبـــو بكـــر بن ثوابة: كتبتُ إلى أبي الحسن بن الفرات أسأله أن يرد إلي شيئاً أتولاه، وأجعل جَاريه لأبي علي، فوقـــع لي بخطه: "وصلت رقعتك -جعلني الله فداك- والأعمال كثيرة، غـــير أنك تكره القضاء والعمالة فلا تدخل فيها، والحسبة فلا تصلح لك، والمظالم فتجري مجرى الحكـــم، والذي يصلح لك أن تُعقد عليك الغلات في عدة طساسيج تختارها من السواد، فإن أردت جمـــيع غلات السواد كان ذلك لك مبذولاً، فاعمل على ذلك، فإنه أصح لك وأعود عليك، إن شاء الله"[١]. فابن الفرات يعرفُ ابنَ ثوابة حق المعرفة، ويعرف ما يصلح له من الوظائف والأشغال، فاختار له عمل جمع الغلات كونه العمل الأصلح له.

حادي عشر: الرد على السعاة والوشاة

ومن الموضوعات المُهمة التي كتب فيها الموقعون العباسيون، الرد على السعاة والوشاة، هذه الفئة التي تتغلغل في المجتمع وتتخر فيه محاولة إحداث الفتنة والفوضى بوشاياتها وسعاياتها التـــي ترســـل بهـــا إلى أولي الأمر في الدولة، سعياً لتحقيق أهدافها ومآربها، ولا تفتأ هذه الفئة تســـتعمل ســـلاحها هذا بأشكال وصنوف مختلفة، فها هم يتواترون الرقاع إلى الخلفاء والأمراء والـــوزراء، يبثونهم الأخبار، قاصدين الوشاية والفتنة، بيد أن هذه الوشايات لم تكن لتجد الصدى الذي توقعه هؤلاء السعاة، ولعل هذا يتضح من دراسة التوقيعات نفسها.

وقـــد تباينـــت هـــذه التوقيعات في اتجاهاتها، فجاء بعضها حازماً غليظاً يردع هذه الفئة ويزجـــرها، ويـــرفض هذه الوشايات ويمقتها، فقد كتب بعض السعاة إلى الخليفة السفاح: "جئتُ متنصـــحاً وأريـــد ثواباً"، فوقع السفاح في رقعته: "تقربتَ إلينا بما باعدك عن الله، ولا ثواب لمن خالف الله "[٢].

فالسفاح يعد هذا الساعي مخالفاً أوامر الله، وخارجاً على طاعته بهذه السعاية التي حاول إلباســـها ثوبـــاً آخر مدعياً أنها نصيحة أراد بها الثواب من عند الله، فعد نصيحته بذلك بُعداً عن الله، فكيف يستحق الثواب والمكافأة بعد أن خالف أمره وباين شرعه.؟!

---

(١) الجهشياري، **الوزراء والكُتاب**، ص ١٥٢- ١٥٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٥٢.

(٢) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٥٣.

ومن ذلك توقيع يحيى البرمكي، فقد كتب المتولي على أذربيجان إليه: "أما بعد فإن حقوقا قـد منعت وأموالاً قد تحيّفت، فإن رسمت ببيع ذلك وكشفه بلغ ما يوفي على خراجها"، فلما وقف يحيى بن برمك على الرقعة كتب في ظاهرها: "وقفنا على هذه الرقعة المذمومة، وسوق السعاية عـندنا -بحمد الله- كاسدة، وألسنتهم لدينا معقولة، وما بعثناك إلى الناحية لتحيي العظام ولا لتتبّع الآثـار المذمومة، فخذ الناس على قانونهم، وطالبهم بما في ديوانك، ودع التكشف والتتبع، فهذه مدة تمضي وأيام تنقضي، فإما ذكر جميل أو حزن طويل، وجنبني وتجنب قول جرير:

وكنت إذا نزلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا "[١]

يـرفض البرمكـي هذه السعاية بكل ما فيها، ويردع صاحبها ويزجره، ويذم سعايته، إذ وصـفها بالبضاعة الكاسدة الخاسرة، وقد أعفاه كذلك من هذه المهمة التي تكبد عناءها ومشقتها، فطلـب مـنه أن يدع المراقبة والتربص بالآخرين وتسجيل هفواتهم وأخطائهم، حسدا ورغبة في الإفساد والوشاية، فهي لا تجلب له سوى الخزي والعار.

وقد يصل الأمر أحيانا إلى توبيخ صاحب السعاية وتحقيره بألفاظ تتناسب مع المهمة غير المطلوبـة التي نصّب نفسه لها، كما في توقيع السفاح في رقعة ساع: "أنت ظاهرُ السعاية، قليل النكاية"[٢].

وأحـيانا كانـت تشتد وتيرة الخطاب في التوقيع، فجاءت طائفة من التوقيعات تتوعدهم وتلعـنهم وتتذرهم صنوفا من العذاب كفاء السعاية المغرضة التي بذلوها من غير أن يُطلب إليهم ذلـك. فقد كتب بعضهم إلى المأمون رقعة فيها : " إن فلانا قد مات، وخلف مالاً عظيما وليس له وارث إلا طفـل مرضـع، وإن تحكـم القضـاة فيه ضاع ماله، وأمير المؤمنين أولى به"، فقلب المـأمون الـرقعة وكتب على ظهرها: "الطفل جبره الله وأنشأه، والمال ثمره الله وأنماه، والميت رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، وأما الساعي في رفعها لعنه الله وأخزاه"[٣].

---

(١) العمـري، **مسالك الأبصار**، ج١١، ص١٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٨٠.

(٢) الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ٤٠١. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٤.

(٣) الـنويري الإسكندراني، محمد بن القاسم بن محمد(ت بعد ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، **الإلمام**، تحقيق: عزيز سوريال عطـية، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، ١٣٨٨-١٣٩٦هـ/١٩٦٨-١٩٧٦م، ج٢، ص ٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٠٠.

فالمـــأمون فـــي توقيعه على هذه الرقعة يعالج قضية السعاية المرفوعة إليه من جوانبها كافـــة، فـــيدعو للطفـــل بالنشأة الصالحة، ويودع المال لله ينميه ويثمره، ويدعو للميت بالرحمة والرضـــى من الله عز وجل، وبعد هذا كله تراه يكيل اللعنة والخزي لصاحب السعاية، لأنه أراد بها وشاية، ولم يرد بها خيراً ينفع الطفل اليتيم.

وكثـــيراً مـــا كـــان الموقعون يتوقفون في قبول السعاية ابتغاء التحقق من صدقها ومدى صـــحتها، ومـــا تحمل في طياتها من أخبار قد تكون صحيحة وقد تكون مزورة، كما في توقيع المـــأمون بالآية الكريمة: ﴿**سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين**﴾[١]، فهو يحتاج إلى مهلة للنظر في أمر السعاية التي وصلت إليه عله يكشف صدقها من زيفها، فيكون على بينة من أمرها قبولاً أو ردا.

وفضـــلاً على ذلك، سلكت التوقيعات اتجاها آخر تمثل في عدم الالتفات إلى السعاية، فقد كـــان الموقعـــون في كثير من الأحيان يهملون هذه السعايات، ولا يولونها اهتماما، ويدعون إلى الانصـــراف عـــنها، وقـــد يكون ذلك بالتصريح حينا أو بالتلميح والإشارة حينا آخر، فيفهم هذا المعـــنى مـــن التوقيع الذي تضمن هذا الاتجاه فنجد القائد طاهر بن الحسين الخزاعي يوقـــّع في قصة ساع : "لا يُلتفت إليه"[٢].

فهـــو يصرح برأيه في السعاية وصاحبها، ويدعو إلى إهماله وعدم الالتفات إليه بوصف هـــذا الإهمـــال لوناً من ألوان الرد اللائق بالساعي. بينما يلمح الوزير الصاحب بن عباد إلى هذا المعـــنى مـــن غـــير تصريح، فقد رفع إليه أن رجلاً غريب الوجه يدخل داره ويسترق السمع، فوقـــّع: "دارنا هذه خان، يدخلها من وفى ومن خان"[٣].

فالصـــاحب هنا لا يلتفت إلى هذه السعاية فحسب، بل يسخر منها ومن صاحبها، ولكنه لم يصرح بذلك، كما فعل طاهر بن الحسين في توقيعه الآنف.

ولـــم يكتفِ المأمون بعدم الالتفات إلى السعاية فحسب، بل حاول أن يقتل صاحبها غيظاً ومقـــتاً بجوابه الذي تضمن ثناءً ومدحاً ودعاءً للشخص الذي كتبت فيه الوشاية. فلما مات عمرو

---

(١) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص٣٣٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٩٨. وانظر سورة النمل، الآية ٢٧.

(٢) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص ٧٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٩ .

(٣) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٣٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٨٠.

ابـــن مســـعدة، وزير المأمون، رفعت إليه رقعة: " أن عمراً خلف ثمانين ألف ألف درهم سوى أثـــاث بمـــا يزيد عليها"، فوقع المأمون في ظهر الرقعة: "هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيما خلف، وأحسن لهم النظر فيما ترك "[١].

وهـــناك طائفة أخرى من التوقيعات عدت السعاية ضرباً من النميمة، ذلك الخلق المذموم الـــذي يهـــدد بـــناء المجتمع وتماسكه وقوته، فالنميمة قبيحة، وإن كانت على جانب من الصدق أحيانا، وعلى هذا فقد دار مضمون كثير من توقيعاتهم حول معنى "قبول السعاية والأخذ بها شر من السعاية نفسها"، فقد وقع جعفر البرمكي في قصة متنصح: "بعض الصدق قبيح"[٢]. إذ وصف صـــدق الســـاعي بالقبح والبشاعة، ولا غرو في ذلك إذا كان هذا الصدق وسيلة يعتمدها السعاة والوشاة لتحقيق غاياتهم فيعبثون بأمن المجتمع واستقراره بوشاياتهم وسعاياتهم.

ويشـــاركه هذا الرأي الوزير الحسن بن سهل إذ وقـــّع في رقعة ساع: "نحن نرى قبول السعاية شراً منها، لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء وأخبره عنه، كمن قـــبله، وأجـــازه، فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعايته صادقاً لكان في صدقه آثما، إذ لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة"[٣].

يـــرى الحســـن أن قبول السعاية وإجازتها بالنظر فيها، والعمل بما جاءت به أعظم ذنباً وأشـــد خطـــراً مـــن السعاية نفسها فليس من دل على شيء وأخبر عنه كحال من يقبله ويجيزه، فصدق الساعي إثم وذنب؛ لأنه صدق في غير موضعه، فبه هتك للحرمات وكشف للعورات، لذا يجب تجنب الساعي والحذر منه.

ولا يعـــد المـــأمون السعاية قبحاً فحسب، بل يعدها عيباً ويجعل صاحبها خاسراً، مهتوكاً بيـــنما يجعـــل الشخص الذي أريدت به هذه السعاية مستوراً، فقد وقـــّع المأمون في رقعة كتبها بعـــض المشايخ فيها مرافعة في إنسان: "السعاية قبيحة، وإن كانت صحيحة، فإن كنت أخرجتها بالنصـــح فخســـرانك فـــيها أكثر من الربح، وأنا لا أسعى في محظور ولا أسمع قول مهتوك في

---

(١) ابـــن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص ٢٢٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٠٠.

(٢) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٢٩٧.

(٣) الصـــفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك ت (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقـــيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٢٣٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣١٤.

مستور، ولولا أنت في خفارة شيبك لقابلتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك، فدع عن نفسك هذا العيب، واتق من يعلم الغيب، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[١].

يجري المأمون في هذا التوقيع مقابلة بين حال الساعي المهتوك وحال المسعي به المستور، فقد ألبس الساعي سعايته ثوب النصيحة، ولكنها نصيحة لم يرد بها خير، لذا فصاحبها خاسر ومهتوك، والمأمون يرى أن صاحبها يستحق العقاب والعذاب جزاء سعايته تلك، ولكن علو سنه منع المأمون من معاقبته احتراما وتقديرا لشيبته فاكتفى برد هذه السعاية ودعا الساعي لتركها وتجنبها، ليحسن بذلك إسلام المرء وخلقه.

ويبدو أن هذه التوقيعات التي جاءت ردا على السعاة والوشاة بكل ما فيها من إهمال وردع وزجر، تتمحور حول فكرة وحدة البناء الاجتماعي، فالناس في المجتمع الواحد تربطهم ببعضهم علائق محبة ومودة ومصالح مشتركة، فالغني يساعد الفقير، والقوي يساند الضعيف، والكبير يحنو على الصغير، ويقوى المجتمع بهذه الروابط والعلاقات ويزداد تماسكا، والوشاة بسعاياتهم يحاولون إفساد هذه العلاقات والنيل منها بإشعال نيران الفتنة والفوضى، ومن المعروف أن التوقيع فن العلية من الناس كالخلفاء والوزراء والقادة، فهم يمثلون الطبقة الراقية الحاكمة، لذلك فهم يستشعرون مسؤوليتهم تجاه المجتمع، ويتصدون لهؤلاء السعاة ويقفون لهم بالمرصاد حفاظا على تماسك المجتمع وقوته، فهي تعني قوتهم وتماسكهم، فهم يحاولون إبطال هذه السعايات والوشايات بالرد عليها بما يناسبها فكانوا كالطود الشامخ القوي المتماسك الذي تصدى للسعاة فحال بينهم وبين تحقيق أهدافهم وغاياتهم بوشاياتهم وسعاياتهم التي تنخر في المجتمع وتقوّض أركانه.

ثاني عشر: الرد على الولاة

كانت حركة التراسل قوية بين السلطة العباسية في العاصمة وولاتها في الولايات المختلفة، وكان الولاة يبعثون رسائلهم إلى الخلفاء أو الوزراء في سائر الشؤون العامة. وقد تباينت الردود إذ تمثلت في عدة اتجاهات، أولها: التوقيع بالرضا والتأييد لما جاء في كتب الولاة، من ذلك توقيع الرشيد في كتاب بكار الزبيري إليه يخبره بسر من أسرار الطالبيين: "جزى الله الفضل خير الجزاء في اختياره إياك، وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن

---

(١) الدلويري الإسكندراني، الإلمام، ج٢، ص٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٩٩.

نيـتك"[١]. وظاهـر للعيان أن الرشيد لم يكتف بالرضا والتأييد للزبيري، بل أثابه وجزاه على ما جاء في كتابه.

أمـا الاتجاه الثاني، فكان تحذيراً وتوجيها، كما في توقيع المنصور إلى صاحب أرمينية: "إن لـي فـي قفاك عينا وبين عينيك عينا، ولهما أربع آذان"[٢]. يحذر المنصور في هذا التوقيع عاملـه مـن الوقـوع في المحظور، فهو يراقبه في كل لحظة، وفي كل مكان، إذ كلف عيونه بمراقبته ونقل أخباره.

ومـن ذلـك أيضـا توقـيع جعفر البرمكي إلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه: "لم نـزرعك لنحصدك " [٣]. أراد البرمكي معاتبة الوالي وتحذيره من مغبة الوقوع فيما يفسد علاقته مع الوزير.

كمـا وقـع أبو صالح المروزي، وزير المستعين، إلى عامل خافه: " يا أبا العباس ليس عليك بأس، ما لم يكن منك بأس"[٤].

وجـاءت طائفة من التوقيعات، توبخ الولاة وتقرعهم، ومن ذلك توقيع الرشيد إلى خزيمة ابن خازم، إذ كتب إليه أنه وضع السيف في أهل أرمينية حين دخلها: "لا أمّ لك! تقتل بالذنب من لا ذنب له"[٥].

فقـد اسـتنكر الرشـيد فعلة واليه، ودعا عليه ووبخه، وظهر هذا جلياً من نبرة الرشيد العنيفة إنكاراً لفعلة واليه الذي قتل الأبرياء من غير ذنب.

ووقـّع الرشـيد إلـى سليمان بن أبي جعفر في كتاب ورد عليه منه، يذكر وثوب أهل دمشق: "استحييت لشيخ ولده المنصور أن يهرب عمن ولدته كندة وطيىء، فهلا قابلتهم بوجهك،

---

(١) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٧.

(٢) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٦٢.

(٣) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٢٩٨.

(٤) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٦، ص١٥٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢ ، ص ٣٣١.

(٥) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٤.

وأبديـت لهم صفحتك، وبذلت لهم منحتك، وكنت كمروان ابن عمك إذ خرج مصلتا سيفه، مُتمثلاً ببيت الجحاف بن حكيم:

متقلدين صفائحاً هنديـــة يتركن من ضربوا كمن لم يولد

فجـالد حتى قتل، إما بدعة، وإما خلة، أشد هراشا، وأفش مراسا، ولولا أن يقال... لقلت رحمه الله، لله أم ولدته، وأب أنهضه! "(١)

يضرب الرشيد لواليه هنا مثلاً رائعا في الصمود والمواجهة والشجاعة، وهو مروان بن محمـد الـذي جالد وقاتل حتى قـُتل، فآثر الموت في ساحة المعركة، على الهروب والسلامة. ويلحـظ فـي هذا التوقيع أسلوب القسم المؤكد في رد الرشيد، فوسم ذلك التوقيع بالشدة والعنف أكثر من التوقيع الآنف.

ووقع جعفر البرمكي إلى الفضل بن الربيع، وجاء منه كتاب غمه وأكربه: "كثرة ملاحاة الرجال، ربما أراقت الدماء"(٢).

كما تمثلت طائفة من هذه التوقيعات اتجاه التهديد والوعيد، إذ توعد الخلفاء هؤلاء الولاة بالعقـاب الشديد، فقد وقع الخليفة المنصور إلى عبد الحميد صاحب خراسان: "شكوت فأشكيناك، وعتبـت فأعتبـناك. ثـم خرجـت عن العامة، فتأهب لفراق السلامة"(٣). يتوعد المنصور والي خراسان، ويطلب إليه أن يستعد للعقاب الذي ينتظره، فقد نفد صبر المنصور وحان وقت حسابه.

ومـن ذلك أيضا توقيع الفضل إلى طاهر بن الحسين: "يا نصف إنسان!! والله لئن أمرت لأنفـذت، ولئـن أنفذت لأبرمن ولئن أبرمت لأبالغن والسلام"(٤). تعمد الفضل في هذا التوقيع أن يظهـر طاهـرا بهـذه الصورة الشوهاء التي تبعث على السخرية والإضحاك، فوصفه بنصف الإنسان، ويلفت الناظر بعد ذلك هذا السمت من التدرج الدقيق الذي يسلسل به الموقع وعيده

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤-٢١٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٦.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢/ ص ٢٩٧.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١١-٢١٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦١.

(٤) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص ١٣١. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج ٢، ص٣١١-٣١٢.

للمخاطب، فهو يبدأ بالأمر أولاً، ثم يتبعه التنفيذ ثانياً، ثم يعقبه بالإبرام، وينتهي بالإحكام[١].

وكثيراً ما يلحق هذا التهديد إجراء تأديبي، بحق هؤلاء الولاة ولا شك أن العزل كان أشدها إهانة، وأعظمها وقعاً في نفوس من تقع عليهم، ومن بين هذه التوقيعات التي تنحو هذا المنحى توقيع المأمون إلى صاحب أرمينية حين كتب إليه: "إن الجند قد استطالوا عليه وشغبوا في طلب أرزاقهم، حتى كسروا أقفال بيت المال فانتهبوه". فوقع إليه: "اعتزل عملنا، فلو عدلت لم يشغبوا، ولو قويت لم ينهبوا، ثم قلد أمرهم من أحسن أوبهم وأوصلهم حقهم"[٢].

وقد يُعزل الوالي لسوء اختيار أعوانه، فقد دخل على طاهر بن الحسين، ذي اليمينين، كاتب العباس بن موسى الهادي، وكان ركيكاً فقال: (أخيك) ابن موسى يقرئك السلام. قال: وما تلي من أمره؟ قال: أنا كاتبه الذي أطعمه الخبز، فوقع: "يُعزل العباس بسوء اختياره للأكفاء"[٣].

فلا بد للوالي أن يكون حكيماً، يحسن اختيار بطانته ورجاله، وعليه فقد كان سوء اختيار العباس لكاتبه الركيك ذي الألحان سبباً في عزله من منصبه.

ومثال ذلك أيضاً توقيع علي بن عيسى إلى عامله: "وليتك من عملي جليلاً، وكنت حقيراً قليلاً، مهيناً ذليلاً، حصراً كليلاً، فانصرف عليك اللعن طويلاً"[٤].

لم يكن هذا العامل على قدر المسؤولية، فقد خيب ظن واليه علي بن عيسى، الذي أراد له الرفعة والمهام الجليلة، فاختار الضعة والذل.

ويستحسن الصاحب بن عباد عزل عامله، فقد حان وقته، فوقّع إلى عامل: "عزلك أحسن حاليك، ونفيك أبلغ وثاقيك"[٥].

يبدو للناظر أن عزل هذا العامل، كان آخر الحلول التي لجأ إليها الصاحب وأفضلها، ولعل أسباباً واهية دعت الصاحب بن عباد إلى توبيخ هذا العامل وتحقيره، فضلاً عن عزله من منصبه والاستغناء عن خدماته.

---

(١) انظر: محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٨٨.

(٢) الثعالبي، **تحفة الوزراء**، ص٩٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٩٩.

(٣) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص ٧٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨.

(٤) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٨، ص٢٦-٢٧. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٦٣.

(٥) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٣٨١.

ثالث عشر: التوجيهات السياسية والإدارية

اتسعت التوقيعات لتشمل موضوع التوجيهات بشقيها السياسي والإداري، وتهدف هذه التوجيهات إلى ضمان تيسير شؤون الحكم وأمور الرعية، فجاء بعضها يأمر الولاة والقادة بالعدل والإنصاف وتطبيق أحكام الله، والمساواة بين أفراد الرعية، بما يُحقق دوام الحكم واستقرار الأمن، ومن التوقيعات التي سلكت هذا المنحى، توقيع المهدي الذي وقع إلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره غلاء الأسعار: "خذهم بالعدل في المكيال والميزان"(١).

ووقّع الرشيد إلى السندي بن شاهك: خف الله وإمامك، فهما نجاتك(٢). يطلب الرشيد من واليه أن يراعي أحكام الله وسننه في رعيته، وأن يتبع الإمام – أي الخليفة – بوصفه حاكما بأمر الله عزّ وجلّ، فهما السبيل لدوام حكمه ونجاته من سخط رعيته في الدنيا، وعقاب الله في الآخرة.

ولا بد أن يكون الوالي مطلعا بأمور رعيته، وشؤون ولايته الصغيرة منها والكبيرة، فيعمل كل ما من شأنه صلاح ولايته وصالح رعيته وأمنهم. فقد وقع المأمون إلى بعض عماله: طالع كل ناحية من نواحيك، وقاصية من أقاصيك، بما فيه استصلاحها(٣).

ومن ذلك أيضا توقيع أبي مسلم الخراساني إلى ابن قحطبة: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾**(٤).

في حين وجه بعض الخلفاء أمرا إلى الولاة والقادة بأخذ العامة بالحزم والشدة، كما في توقيع الرشيد إلى عامله على خراسان: "كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه"(٥).

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٦٧.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٦.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٦. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٩١.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٢٧١. وانظر: سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٤.

ونظـير ذلـك توقيعه إلى عامله على المدينة المنورة: "ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن، فإنهم قد أطالوا ليلي بالسهاد، ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد"(١).

بينما نحت طائفة من هذه التوجيهات منحى الحكمة والنصيحة، فقد يتضمن التوقيع حكمة أو مـثلا أو قـولا مأثورا مناسبا للمقام، يراد به العظة والعبرة، كما في توقيع السفاح إلى أخيه المنصور في بعض الجُناة: "إذا كان الحلم مفسدة، كان العفو معجزة"(٢).

ومـن ذلـك أيضا توقيع الرشيد إلى صاحب خراسان: "داو جُرحك، لا يتسع"(٣). يدعو الرشـيد واليه أن يسارع بمتابعة أمور ولايته لكي يتلافى تفاقمها واتساعها، فيتعذر عليه من بعد معالجتها.

ويوازن ابن عبيد وزير المهدي بين عاقبة الحق وعاقبة الباطل، وشتان ما بينهما، ويبدو ذلك من توقيعه: "الحق يعقب فلجا وظفرا، والباطل يورث كذبا وندما "(٤).

بيـنما ينفر الفضل بن يحيى من ظلم الرعية والتعدي على حقوقها، فلا يورث إلا الخزي والعقاب في الآخرة. فقد وقع: "بئس الزاد إلى المعاد، التعدي على العباد"(٥).

ويوصـي الفضـل بن سهل بالتأني وعدم التسرع إلى حين والنظر والتمعن في الأمور، ففـي العجلـة الندامة، وفي التأني السلامة، فوقع: "إن أسرع النيران التهابا أسرعها خمودا، فتأنَ في أمرك، إن شاء الله"(٦).

---

(١) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمد الدوربي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٥.

(٢) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٥٥.

(٣) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٤.

(٤) الحصري، **زهر الآداب**، ج٣، ص٦٨٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٤.

(٥) الوطواط، أبو إسحاق، برهان الدين الكتبي(ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، **غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضـحة**، دار صعب، بيروت، د.ت، ص٣٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٤.

(٦) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص ١٢٧. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج ٢/ ص ٣١١.

وحـــري أن نلاحظ في التوقيعات الآنفة التي تمثلت الحكمة، أنها تشترك مع الحكمة في الإيجـــاز وتكثـــيف المعنى، ولعل هذا السبب في أن التوقيعات في كثير من الأحيان تتلبس ثوب الحكمة بما فيها من أحكام صائبة في الحياة.

وتناولـــت طائفـــة مـــن هذه التوقيعات موضوع التوجيهات الإدارية، إذ يوجه الموقعون ولاتهـــم وعمـــالهم فـــي إدارة بعـــض الشـــؤون الإدارية والمالية في الولايات، وقد تباينت هذه التوجيهات فكانت في أغلبها إرشادات عامة وتعليمات إدارية، بما فيها رعاية شؤون الرعية، كما فـــي توقـــيع جعفـــر البرمكي إلى صاحب ديوانه: أحسن إلى الأكمة، فإنهم الفعلة الذين يعملون، والفلاحـــون الذين يزرعون، وقد جعل الله أيديهم لنا طعاما، وألسنتهم سلاما، فظلمهم حرام ﴿**وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون**﴾[١].

يوصـــي البرمكي صاحب ديوانه بالمستأجرين والعمال، ويلفته إلى ضرورة الاهتمام بهم ورعايتهم والإحسان إليهم، حرصاً على تقدم الدولة وازدهارها.

أمـــا الفضـــل بـــن ســـهل، فقد وقع إلى صاحب الشرطة: "ترفق تُوفق"[٢]. يوجه الفضل صـــاحب شـــرطته ويطلب إليه التأني ومعاملة الرعية بالرفق واللين، ومراعاة أحوالهم وشؤونهم لكسبهم وضمان تعاونهم مع الدولة لتحقيق الأمن والاستقرار.

وشـــكي إلى الحسن بن الفرات عامل قطربل وإغفاله عمل البزندات، فوقـــع إليه: "ينبغي أن تراعي العمل قبل الوقت للوقت، وفي الوقت للوقت"[٣].

ولعلـــه يتضـــح مـــن هـــذا التوقيع، حرص الوزراء على متابعة شؤون الرعية وإدارة الولايـــات والإمارات، إذ يوجه ابن الفرات عامله إلى ضرورة مراعاة عمله ووقته، وعدم إغفال شؤون الرعية واحتياجاتهم.

وبلـــغ الصـــاحب بن عباد أن عامله انتقص حقوق الرعية من غلة السلطان، فبعث إليه يقرعه على هذه الفعلة، ويأمره بأن يجري الأمر كما كان عليه، وليس هذا فحسب، بل طلب إليه أن يـــزيدهم من عطاياه لكسب نفوسهم وودهم وولائهم. فقد وقـــع إلى عامل: "بلغني أنك عزمت

---

(١) الثعالبـــي، **الاقتباس من القرآن الكريم**، ج٢، ص ١٤٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٨٩- ٢٩٠. وانظر: **سورة القصص**، الآية ٦٠.

(٢) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٠٨.

(٣) الجهشياري، **الوزراء والكتاب**، ص٤٣-٤٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٤٧.

علـــى تفرقة غلة السلطان في الرعية كرها، وما جعل الله ذلك لك، ولا أمرك سلطانك، أطال الله بقاءه، وليت ما فعلته عاما لم يفعل، فإن عادته كثرت، وعائدته قلت. فأجر -أيدك الله- أمر القوم فـــي الـــرفق والإحسان مجراهم الأول، بل زدهم بحسب زيادة إحسان الله عن مولانا وعندي في خدمته، وأشع ذلك لتكتسب النفوس عن ضعفها قوة، وعن خيفتها أمنة"(١).

يـــبرز هنا اهتمام الصاحب بن عباد، بأمور الولايات السياسية منها والإدارية، كما نجده يولـــي اهـــتماما واضحا للأمور المالية وتوزيع الغلات، إذ يعدها مطلبا رئيسا لتحقيق العدالة بين أفراد الرعية.

فـــي حيـــن يـــبدو الرشيد أكثر حزما في توجيه عامله في مصر، إذ وقع إليه في جباية الخراج: "يا محفوظ، اجعل خرج مصر خرجا واحدا، وأنت أنت"(٢).

وقـــد تتضـــمن هـــذه التوقيعات تحذيرا وردعا للولاة والقادة، ومن ذلك توقيع الفضل بن ســـهل: " لا تجعلن توليتي إياك نظرا مني لك دون رجائي فيك للكفاية والغناء والنصيحة، فتزل بك قدم تورثك الندم"(٣).

يتمـــنى الفضل في هذا التوقيع أن يكون قد أحسن اختيار عامله، ويحذره من الوقوع في الخطأ والزلل، فيندم حيث لا ينفع الندم.

وقـــد تشـــتد لهجة الخطاب، فتصل إلى التوبيخ والتقريع كما فعل الهادي عندما شتم أحد ولاتـــه لأمـــر أساء التصرف فيه وخالف فيه أمر الخليفة، فقد وقع إلى صاحب أفريقية في أمر فرط منه: "يا ابن اللخناء، أنى تتمرس؟! "(٤)

وقـــد يصل الأمر ببعض الموقعين إلى التهديد والوعيد، كما وقع الرشيد إلى عامله على مصـــر: "احـــذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخي يوسف، فيأتيك مني ما لا قبل لك به، ومن الله أكثر منه"(٥).

---

(١) الصاحب بن عباد، **رسائل الصاحب بن عباد**، ص ٢٢٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣٨٢- ٣٨٣.

(٢) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧٦.

(٣) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص ١٢٧. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج ٢، ص ٣١٣.

(٤) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٧١.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمد وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص٧٦.

يوصـــي الرشيد عامله ببيت المال ويوجهه بإدارة شؤون خزانة الدولة ويحذره إذا أخطأ أو أصـــرف، ويهدده بعقابه في الدنيا وعقاب الله في الآخرة، فإن أموال المسلمين أمانة في عنقه يجب عليه المحافظة عليها، وصرفها في أبوابها بالحق والعدل.

ومـــن ذلك أيضا توقيع محمد بن يزداد المروزي إلى عامل أخر أمرا: "جعلنا إهمالنا لك وتعطفـــنا ودفقـــنا بك مطية لمطلك، وسببا لدفعك ما لزمك، ووجب عليك، فامح ببدارك إساءتك، وبتعجـــيلك مدافعـــتك، وأحصـــر حســـابك مفصلاً في باقي أسبوعك، ولا تحوج إلى عنف بك، واستقصـــاء عليك، إن شاء الله"[١]. يهدد المروزي هذا العامل بسبب مماطلته وإهماله ويطلب إليه أن يســـتدرك الأمر باستعجال إرسال ما تأخر عنه، فالحسنة تدفع السيئة وتمحوها فينجو بذلك من العقاب والسخط.

رابع عشر: إقامة الحدود

وأحـــيانا كانـــت تخـــرج التوقيعات العباسية متضمنة الحكم الشرعي في قضايا الجنايات المـــرفوعة إلـــى الخلفـــاء ووزرائهم، ولا شك أن صدور مثل هذه التوقيعات شاهد على اهتمام هـــؤلاء الموقعيـــن بتنفـــيذ سياسة العدل، كما تحمل في طياتها صورة جلية عن تأصل المعرفة الشـــرعية في نفوس هؤلاء، إذ لا نتوقع أن يمضي هذا النفر هذه الأحكام المختلفة من غير علم بأصول هذه الأحكام وأساليب إجرائها إجراءً صحيحاً يوافق الغاية الشرعية من إيقاع العقوبة[٢].

ومن هذه التوقيعات توقيع المأمون، فقد رفع إليه أن قاضي جبل يعض رؤوس الخصوم: "يُشـــنق، إن شاء الله"[٣]. لا يتوانى المأمون في إصدار حكم بحق هذا القاضي الذي تجاوز حدود مهنته بفعلته تلك، فجرمه أكبر من غيره لمعرفته بالأحكام القوانين، لذا استحق هذا العقاب.

ولـــم يكـــتفِ طاهر الخزاعي بالأمر بتنفيذ الحد بحق قاتل، بل أمر باستعجال تنفيذ الحكم فيه، فوقع في قصة قاتل: "لا يؤخرُ قتله"[٤].

---

(١) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٨، ص٢٠١. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص٣٢٥.

(٢) انظر: محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٧٩.

(٣) الثعالبـــي، **ثمار القلوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٣٦. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، ، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٩٣.

(٤) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٩.

ومـــن التوقيعات التي سلكت هذا المسلك توقيع الخزاعي في قصة لص : " يُنفذ حكم الله فيه"[١].

ويتمـــثل يحـــيى البرمكـــي بالقـــرآن الكريم، مرجع المسلمين الأول الذي يستمدون منه أحكـــامهم وشرائعهم، فيأمر بتنفيذ حكم القتل بحق قاتل تمثلاً بما جاء في كتاب الله. فوقع في أمر رجل استحق القتل : ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾[٢].

وفـــي أحـــيان أخـــرى كـــان يوقع الموقعون بتنفيذ بعض الأحكام والعقوبات بقدر جناية أصحابها، ويراد بها ردع هؤلاء المجرمين من جهة ولكي يتعظ بهم الآخرون ويعتبرون بعقابهم مـــن جهـــة أخـــرى، ومن ذلك توقيع الفضل بن سهل في قصة رجل شهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمـــر –رضي الله عنهما: " يُضرب دون الحد، ويُشهر ضربه"[٣]. يأمر الفضل ههنا بتنفيذ حكم التعزير بحق هذا الرجل، جزاءً له على فعلته.

ومن التوقيعات التي صدرت بتنفيذ أحكام التعزير كذلك ما أصدره الصاحب بن عباد من حكـــم بعقاب مجرم بالضرب الشديد من غير رحمة أو شفقة على مرأىً من الناس، فقد وقع في شأن مجرم: "احلق بنات خديه، وانقش بالسمط حديه، ليعتبر الناظر إليه"[٤].

ولعلـــه يتضح من توقيع الصاحب، وغيره من التوقيعات السابقة، مدى العناية التي كان يـــبذلها العباســـيون في سبيل تطبيق أحكام نظام العقوبات الجنائية الذي وضعه الإسلام مواجهة لجرائم القصاص والحدود والتعزير التي تقع في المجتمع.

وقـــد يلـــتمس بعض الموقعين العذر لبعض المخالفين فيصدرون الأمر بالعفو عنهم. مع ذكـــر المســـوّغ لهذا العفو، كما في توقيع الفضل بن سهل في قصة رجل نقب بيت المال: "يدرأ عنه الحد، إن كان له فيه سهم"[٥].

فمثلما كان إمضاء العقوبة لازماً لتحقيق العدالة، كان درء العقوبة لازما، إن كان ثمة ما يدعـــو إلـــى درئهـــا، ولو على نحو ما، فاجتهاد الفضل في دفع حد السرقة عن السارق الذي له

---

(١) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٩.

(٢) الثعالبـــي، **خـــاص الخاص**، ص١٣٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٢٩. وانظر: سورة البقرة، الأية ١٧٩.

(٣) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٠٧.

(٤) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٣٧٨.

(٥) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص٣٠٧- ٣٠٨.

نصـــيب فـــي المـــال الـــذي ســـرقه، اجتهاد يلتقي مع أصول النظر الشرعي التي تدرأ الحدود بالشـــبهات، فمشاركة الرجل في بيت المال تدخل في هذا الباب، وتوجب إيقاف تنفيذ الحد، لكنها لا تعفي السارق من عقوبة تأديبية تدخل في باب التعزير غير المنصوص عليه[١].

خامس عشر: تصويب الخطأ واللحن

حظـــي موضوع تصويب الخطأ واللحن ببعض العناية من الموقعين في هذا العصر، إذ كان الموقعون يهتمون بالكتب والمراسيم السياسية والإدارية التي تصدر عن دواوينهم، فقد كانوا يحســـنون اختـــيار الكـــتاب الأكفـــاء الذين تميزوا بالفصاحة والإيجاز والبلاغة، كما فعل جعفر البرمكي حين وقع إلى كتّابه: "إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا"[٢].

يوقـــع كذلـــك إلى كتّابه: "ليكن كلامكم في كتبكم مثل التوقيع"[٣]. فالبرمكي يدعو كتاب ديوانه إلى إيجاز كتبهم، وبلاغتها إلى حد تصل فيه إلى أدب التوقيع.

وفضـــلاً عـــن ذلك، فإن الخط عنصرٌ مهم من عناصر جماليات الكتب، فلا بد أن يكون الخـــط واضحاً جميلاً، يعكس جمال التعبير وبلاغة المعنى، فقد وقع البرمكي في كتاب استحسن خطه: "الخط خيط الحكمة، ينظم فيه منثورها، ويفصل فيه شذورها"[٤].

ويستنكر المأمون لحن كاتب إسحاق بن إبراهيم في كتابه الذي بعثه إليه فقد كتب ميمون ابن إبراهيم، كاتب إسحاق بن إبراهيم، إلى المأمون كتاباً فيه: وهذا المال "مالا" يجب على فلان، فخط المأمون على "مالا" ووقع بخطه في حاشية الكتاب: "أتكاتبني بلحن يا إسحاق!!" [٥].

---

(١) انظر: محمد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٧٩.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص ٢٧٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٢.

(٣) العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله، (ت ٣٩٥هـ/ ٩٩٢م)، **التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم (ضمن الـــتحفة الشـــهية)**، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٢١٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٢.

(٤) الحصري، **زهر الآداب**، ج٢، ص٤٢١. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٢.

(٥) الصولي، **أدب الكتاب**، ص ١٢٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص١١٤.

وقـد يصـل الأمر أحياناً إلى التوبيخ والتقريع، ومن ذلك توقيع يحيى البرمكي في رقعة رجـل مليح الخط رديء الكلام: "الخط جسم روحه الكلام، لا ينتفع بجسم لا روح له " [١]. يقرع البرمكـي هـذا الـرجل لاهتمامه بجمال خط رقعته دون كلامها الذي هو بمنزلة الروح للجسم، فالخط المليح لا يغني عن الكلام الجيد، وكذلك الكلام الجيد بحاجة إلى خط واضح جميل يقدم به هذا المعنى.

وكتـب بعض العمال إلى أبي الحسن بن الجراح، وزير المقتدر والقاهر، في ذكر أموال متخيرة وتفاصح في كتابه، فوقع إليه: "دعني من تشديقك وتقعيرك، وتفاصح على نظيرك، فخير الكلام ما قل ودل، ولم يمل"[٢]. يقرع ابن الجراح ههنا، عامله، لتفاصحه وإطالته في كتابه الذي بعثه إليه، فأفضل الكلام ما كان موجزاً مُختصراً لا إطالة فيه ولا إسهاب.

وفـي بعـض الأحـيان تشـتد لهجة الخطاب فتصل إلى التهديد بالعزل، كما في توقيع المنصور إلى عامله على حمص، وجاء منه كتاب فيه خطأ: "استبدل بكاتبك، وإلا استبدل بك"[٣]. لقـد كاد سوء اختيار هذا العامل لكاتبه يؤدي إلى عزله من منصبه، فقد هدده وتوعده المنصور بالعزل إذا لم يستبدل كاتبه الذي أخطأ في كتاب بعثه إلى المنصور.

سادس عشر: الإخوانيات

ومـن الموضـوعات التي تناولتها التوقيعات العباسية موضوع الإخوانيات، ويتمثل هذا الغرض بما كان يُكتب من معاني العتاب والشكر والدعاء والمواساة والتقريظ والمدح، ومن ذلك توقـيع المنصـور يعاتـب فـيه عـبد الله بن علي عمه : " لا تجعل للأيام في وفيك نصيباً من حوادثهـا"[٤]. يريد المنصور أن يحفظ علائق المحبة والمودة والقربة بينه وبين عمه، لذا يعاتبه ويلومه إذا جفاه، فجعل الأيام تفرق بينهما، وتقطع حبائل القربة والدم بينهما.

---

(١) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٨، ص٥٢- ٥٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٨٦.

(٢) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٧. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٣٦٣.

(٣) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٦١.

(٤) ابـن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١١. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٦٢.

ويعاتب المأمون هشاماً على كثرة خصومه ويلومه على ذلك فقد وقع إليه: "لا أدنيك ولك ببابي خصم"(١).

ويلاطف جعفر البرمكي أحد ندمائه، معاتباً إياه لأنه جفاه فوقّع له: "لا تبعد عمن ضمك"(٢).

وقد تشتد وتيرة الخطاب، فتشتد لهجة المعاتب فيوبخ المعاتب ويجرحه، كما في توقيع أبي الحسن بن الجراح، وزير المقتدر والقاهر: " قد بلغت لك أقصى قرارك، وأنلتك غاية بغيتك، وسامحتك مسامحة محاب لك، معني بك، وأنت مع ذلك تستقل كثيري لك، وتستقبح حسني فيك، فكيف وأنت كما قال رُؤبة:

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه

وإذا تأملت حقيقة أمرك علمت أني عاملتك بما لا أجيب إليه غيرك، ولا أعامل بمثله سواك"(٣).

يعاتب الوزير الجراح أحد عماله لأنه أنكر المعروف، إذ وصفه بالحوت النهم الذي لا يكفيه شيء، وبالظمآن الذي لا يرويه ماء البحر كله.

ومن توقيعات الشكر، توقيع الصاحب في كتاب العميدي قاضي قزوين فقد بعث إلى الصاحب، وكتب معها:

العميدي عبد كافي الكفاة وإن اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب منعمات من حسنها مترعات

فوقّع الصاحب تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات(٤)

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٨٨.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٢٩٨.

(٣) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٩، ص١٥٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٦٤.

(٤) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٦٩٥. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٨٩.

أمـــا الدعـــاء، فقـــد جاءت معظم التوقيعات فيه بالدعاء بالتوفيق ودوام الخير، كما وقع الفضـــل بـــن سهل إلى قائد جيش: "ما رأينا صنعاً أحسن، ولا نصراً أعز، ولا فتحاً أفضل، من نصر الله، إياك وصنعه لك وفتحه عليك، فتولى الله أمرك بأحسن مما ابتدأك به"(١).

يدعو الفضل لهذا القائد بعد أن مدحه وأثنى عليه فرحاً بالنصر الذي أنجزه، والفتح الذي حققه بنصر الله وتأييده.

ويدعـــو محمد بن سعيد الكاتب إلى أحمد بن يوسف رداً على الأبيات التي قالها فيه. فقد كـــان محمـــد بن سعيد يكتب بين يدي أحمد بن يوسف فنظر إلى عارضة قد امتد في خده فأخذ رقعة فكتب فيها:

لحاك الله من شعر وزادا كما ألبستَ عارضـــه الحدادا

أغرْتَ على تورّد وجنتيه فصيّرت احمرارها ســـــوادا

ورمـــى بها إلى محمد، فكتب تحتها: "فعظم الله أجرك يا سيدي فيّ، وأحسن لك العوض مني"(٢).

وكان بعض الأمراء يوقـــّع في الصكاك والمناشير: "اللهم ألبسنا العافية"(٣).

بيـــنما يخـــص يوســـف بن القاسم الكاتب أحدهم بالدعاء فوقع: "حاصلة ومؤخرّة، وغير محتســـبة، فـــأبقى الله لك ما أنت فيه، وحقق ظنك فيما ترجوه، وتفضل عليك بما لم تحتسب"(٤). يـــبدو مـــن دعـــاء يوسف مكانة هذا الشخص وقربه من نفسه، فدعا له بدوام حاله، وتحقيق ما يتمناه، ودعا الله أن يرزقه من حيث لا يحتسب.

وفي المواساة، يوقع أحمد بن المدبر يخاطب أخاه إبراهيم في نكبته وقد أهدى إليه شعراً مجموعاً، فقرأه وكتب عليه بخطه:

---

(١) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص ١٧٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج ٢، ص ٣١٠.

(٢) الصولي، **الأوراق (أخبار الشعراء المحدثين)**، ص ٢١٧. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤٤٥.

(٣) الأبي، **نثر الدر**، ج٣، ص ٣٠٨. ومحمد الدروبي وصلاح، جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص٤٨٥

.

(٤) الصولي، **الأوراق**، ص ١٦٢. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤٣٧.

أبا إسحاق إن تكـــن الليـــالي عطفن عليك بالخطب الجسيم
فلم أر صرف هذا الدهر يجري بمكروه على غير الكريم[١]

يحـــاول ابن المدبر في الأبيات السابقة مواساة أخيه فيما أصابه من نوائب الدهر، ويحثه على التجمل بالصبر.

فـــي حيـــن جـــاءت بعض هذه التوقيعات في التقريظ والمدح، إذ يوقع الموقعون بالثناء والمديـــح علـــى بعض ولاتهم ووزرائهم لما يصدر عنهم من حسن خلق وطاعة وولاء. فقد وقع المأمون بخطه للفضل بن سهل: "أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله، وإقامة ســـلطاني، فرأيت أن أغنيك، وسبقت الناس من الحاضر كان لي، والغائب كان عني، فأحببت أن أســـبق إلـــى الكـــتاب لـــك بخطي، بما رأيته على نفسي وأنا أسأل الله تمامه، فإن حولي وقوتي ومقدرتـــي وقبضـــتي وبسطي به، لا شريك له. وقد أقطعتك السيب بأرض العراق، على حيازة تميم، مولى أمير المؤمنين، عطاء لك ولعقبك؛ لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي، ولما قمـــت بـــه مـــن حق الله وحقي، فلم تأخذك في لومة لائم، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره. وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمـــرتك بـــه مـــن العمـــل لله ولنبيه، والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها. وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله، وجعلته لك كفيلاً على عهدي، وكتبت بخطي سنة ست وتسعين ومائة"[٢].

لـــم يكتفِ المأمون بالثناء على الفضل لطاعته وولائه وحسن تدبيره، بل كافأه بقطعة من الأرض، وكذلك رفع مرتبته فأصبح ذا قبول عند الناس إذ يسمع قوله ويؤتمر بأمره كفاء نزاهته ومراعاته حق الله وحق رعيته. فنال رضا الله ورضا خليفته.

وهـــو كذلك في توقيع آخر يحل طاهر بن الحسين صاحب خراسان محل نفسه، فقد علت مرتبته، وسمت مكانته عنده، فقد وقع إليه: "احمد الله، أبا الطيب، إذا أحللك من خليفته محل نفسه من نفسه، فما لك موضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده"[٣].

---

(١) ابـــن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٥٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب، ج٢، ص ٢٢٠.

(٢) الجهشـــياري، الوزراء والكتاب، ص٣٠٦. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب، ج١، ص ١٠٢.

(٣) ابـــن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٧٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، جمهرة توقيعات العرب،ج١، ص ١٠٣.

ويوقـــّع كذلـك إلى يحيى بن أكثم ويثني عليه ويكافئه لحسن أدبه وتركه ما لا يعنيه، وهـــو فـــي المقابل يوبخ خادمه ويعاقبه لتركه عمله، فقد دعا يوماً بالدواة، وعنده يحيى بن أكثم، وبجنبه الدواة، فلم يبرح يحيى حتى أتى المأمون بالدواة، فكان أول ما وقع: "يُعطى يحيى خمسين ألـــف درهم؛ لحسن أدبه في تركه ما لا يعنيه، وهذه في ترك خادم الملك ما لا يلزمه، واستغفاله بما هو من رسمه"(١).

ومـــن هـــذه التوقـــيعات كذلك توقيع الشاعر أبي نواس، الحسن بن هانئ، فقد جلس أبو العتاهية في دكان ورّاق، وأخذ كتاباً فكتب على ظهره:

فواعجباً كيف يُقصي المليك أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء لـــــه آيـــة تدل على أنه واحـــد

وانصرف، فاجتاز أبو نواس بالموضع، فرأى الأبيات فقال: لمن هذا؟ فلوددتها لي بجميع شعري، فقيل: لإسماعيل بن القاسم، فوقـــّع تحتها:

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهيـــــن

فصاغه من قـــــرار إلى قـــرار مكيـــن

يحول شيئـــاً فشيئـــاً في الحجب دون العيون

حتى بـــدت حـــركات مخلوقـــة من سكون(٢)

ومنها أيضاً التوصية، فكثيراً ما كان يوصي أحدهم بتشغيل أحد طلاب الأعمال لمعرفته، وخـــبرته السابقة بهذا المُتعطل، وثقته بقدراته على تحمل مسؤولية الوظائف والأعمال، فقد وقع جعفـــر البرمكـــي وزيـــر الرشيد لرجل إلى عامل له ليشغله: "هذا مما تنهض به نفسه، وتقدمه كفايته، فإن لم تغلب عليه بفضلك غلب عليه غيرك"(٣).

---

(١) الثعالبي، **آداب الملوك**، ص٢٣٧. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص١٠٧.

(٢) الحصـــري، **زهر الآداب**، ج٢، ص ٣٨٧. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص٤٤٠.

(٣) ابـــن سماك العاملي، أبو القاسم، محمد بن محمد المالقي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، **الزهرات المنثورة**، تحقيق: محمود علي مكي، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٧٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٩٣.

سابع عشر: الملاطفات والمفاكهات

تناولت التوقيعات العباسية بالمثل موضوعاً طريفاً هو الملاطفات والمفاكهات، وقد كان معظمها خفيفة الظل يقصد بها الدعابة والترويح عن النفس بما يناسب ذلك الموقف. كما يفعل الرشيد عندما بعث بعض العمال إليه بعبد أسود، فقلب الرشيد كتابه ووقع عليه: "أما بعد، فإنك لو وجدت عدداً أقل من الواحد، أو لوناً شراً من السواد لبعثت به إلينا، والسلام"(١).

أراد الرشيد ملاطفة عامله، فأسعفته سرعة بديهته، وبلاغة قوله، بالتوقيع على هذا الكتاب واختيار الرد المناسب كما يبدو من التوقيع نفسه.

وأراد الرشيد سَفَراً، فأمر الناس أن يتأهبوا لذلك، وأعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع، فمضى الأسبوع ولم يخرج، فاجتمعوا إلى المأمون، فسألوه أن يستعلم ذلك، ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر، فكتب إليه المأمون:

يا خير من دبت المطي بـه ... ومن تقدّى بسرجه فـرس

هل غاية في المسير نعرفها ... أم أمرنا في المسير ملتبس ؟

ما علم هذا إلا إلى مـلك ... من نوره في الظلام يُقتبـس

إن سرْتَ سَار الرشاد متبعاً ... وإن تقف، فالرشاد محتبـس

فقرأها الرشيد فسرّ بها، ووقع فيها: "يا بني ما أنت والشعر؟! أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدني، وأقل حالات السّريّ، والمسير إلى ثلاث، إن شاء الله"(٢).

يلاطف الرشيد ابنه في هذا التوقيع مجيباً على رقعته التي بعث بها إليه يسأله عن موعد مسيره ويستنكر عليه قول الشعر إذ لم يعهد منه ذلك.

وكذلك وقع الأمين على ظهر كتاب: "عشقت ظبياً رقيقاً في دار يحيى بن خاقا" وكتب تحته: "أردت خاقان، وخاقان مولى لي، إن شئت أثبت نونه، وإن شئت أسقطه"(٣).

ومن ذلك أيضاً توقيع أبي العيناء، فقد أهدى ابن مكرم إليه كيرنيجات في سلة، ووقّع

---

(١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص١٦. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٧.

(٢) النهرواني، **الجليس الصالح**، ج٤، ص٨٥-٨٦. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٤.

(٣) الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص٧٦. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٦.

علـــى واحد: ﴿**ادخلوها بسلام آمنين**﴾[١]. فردها أبو العيناء وكتب عليها: ﴿**فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن**﴾[٢].

وهكـــذا جـــاء رد أبـــي العيـــناء متمـــثلاً بآية قرآنية مناسبة لهذا المقام لإضفاء الدعابة والفكاهة.

وكتـــب رجـــل إلى الصاحب بن عباد رقعة قد أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها: ﴿**هذه بضاعتنا ردت إلينا**﴾[٣].

وجاءت طائفة من التوقيعات تنحو منحى السخرية، فضلاً عن الدعابة والفكاهة، فقد كتب أبو نصر النصراني إلى الصابي:

حضرت بالجسم وقد كنت بالنـــ ـــفس، وإن لم ترني حاضرا

أنطقني بالشعر حبـــــي لكـــم و لم أكن من قبلها شاعـــــرا

فكتب إليه الصابي تحت خطه: "ولا بعدها!!" [٤]

يسخر الصابي من شعر أبي نصر، إذ لم يكن شاعراً يوماً ولن يكون.

ووقـــّع عبد الله بن الخزاعي إلى عامل له:

نفسك قد أعطيتها مناها فاغرة نحو مناها فاها[٥]

وقـــد تصـــل أحياناً إلى السخف والسذاجة، كما وقـــّع أبو القاسم العلاء بن الحسن وزير صمصام الدولة عضد الدولة في رقعة عرضها عليه ابن ثعلبة، أحد كتاب الديلم بالأهواز، وكان

---

(١) **سورة الحجر**، الآية ٤٦.

(٢) ابن أبي عون، **الأجوبة المسكتة**، ص٢٢٠. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **توقيعات جمهرة العرب**، ج٣، ص ٤٥٤. **سورة القصص**، الآية ١٣.

(٣) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٢٣٤. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٩٠. **سورة يوسف**، الآية ٦٥.

(٤) ابـــن تغـــري بـــردي، أبـــو المحاسن، جمال الدين، يوسف الأتابكي(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة**، مصـــورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٧٨م، ج٤، ص ١٧٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص٤٦٢.

(٥) الراغـــب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ١٨. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٣٤.

يكثر من طلب المحال، وما لا يجوز ولا يسوغ: " قاق قاق قاق!! "[١]

أما الصاحب بن عباد، فإنه يهدد شاعرا سرق أشعارا للصاحب ونسبها لنفسه، ولم يكتفِ هذا الشاعر اللص بسرقة هذه الأشعار، بل بلغت جرأته إلى حد أن يبعث بها إلى الصاحب نفسه متملقا غير آبه بما سيلقاه من الصاحب فتوعده الصاحب بإقامة الحد عليه، فقد رفع شاعر إليه شعرا يمدحه فيه، وكان الشعر للصاحب، فوقّع عليه:

سرقت شعري وغيري تضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك صفعا يكدُّ ليتا وأخدع
فسارقُ المال يُقطَعُ وسارقُ الشّعر يُصفعُ[٢]

كما تناولت طائفة من هذه التوقيعات الرد على طلاب الفتيا الذين يطلبون إبانة أحكام الشرع في بعض القضايا، ويكاد يقتصر هذا المطلب على اتجاه واحد وهو طلب الفتوى في العشق والسؤال عن أحكامه الشرعية، وأكثر ما يبدو هذا في توقيعات القضاة على رسائل هؤلاء المستفتين، ومن أمثلة ذلك ما حدث به الربيع بن سليمان قال: كنا عند الشافعي إذا جاءه رجل برقعة، فنظر فيها وتبسم ثم كتب فيها ودفعها إليه. قال: قلنا: يسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي صوابها؟ فلحقنا الرجل، وأخذنا الرقعة فقرأناها، وإذ فيها:

سل المفتي المكي هل في تزوار وضمة مشتاق الفؤاد جُناح؟

قال: وإذا جوابه أسفل من ذلك:

أقول معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهنّ جراح[٣]

يفتي الشافعي هذا العاشق بالرضا والموافقة، فلا جناح عليه في عشقه وهواه، لأن ذلك لا يفسد تقى المحب.

---

(١) الصابي، غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي (ت٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، **الهفوات النادرة**، تحقيق: صالح الأشتر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٠٢-٣٠٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٩٤.

(٢) ابن ليون التجيبي، **لمح السحر من روح الشعر**، ص ٢٢٩. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٩٠.

(٣) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٦، ص ٢٤٠٦. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤١٢.

ومن ذلك أيضاً توقيع القاضي الفضل بن الحباب الجمحي، فقد ألقيت إليه رقعة فيها:

قل للحكيـــم أبي خليفة يا زين شيعة أبي حنيفـــة
إني قصـــدتك للـــذي كاتمت من حذر وخيفـــة
ماذا تقـــول لطفلـــــة في الجسر منزلها شريفة
تصبو إلى زين الورى من غير ما بأس عفيفـــة

فقرأ الرقعة، ثم كتب على ظهرها:

يا من تكامل ظرفها حال الهوى حـــال شريفة
إن كنت صادقة الذي كاتمت من حذر وخيفـــة
فلك السعادة والشها دة والجلالة يـــا شريفـــة
هذا النجاح بعينـــــه وبه يقول أبو حنيفـــــة[1]

يمـــيز القاضـــي الجمحـــي بين لونين من العشق: العشق الشريف العفيف والعشق غير الطاهـــر، فهو يقر لهذه المستفتية عشقها الذي كتمته بكل عفة وطهارة، فلها السعادة بهذا العشق وهذا ما لا يختلف فيه قاض أو فقيه، فهو مذهب إمام المذهب أبي حنيفة.

---

(١) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٥، ص٢١٧٣. ومحمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤١٨.

الفصل الثالث

الدّراسة الفنيّة

الفصل الثالث

الدراسة الفنيّة

يمكــن القول إن التوقيعات العباسية اتسمت بخصائص أسلوبية وفنية مميزة، فقد امتازت بجملها القصيرة، وتراكيبها البسيطة، كما أن معظم التوقيعات مالت إلى الإيجاز الذي يحمل ألوانا مــن الفــن تــدل علــى مقدار ما وصل إليه الكتاب من الدقة والمهارة في بناء الجملة وتركيب الألفــاظ، إلا أنــنا نلحــظ شيئا من الإطناب الذي امتد إلى بعض هذه التوقيعات فيما بعد(١). كما امــتازت كثــير من التوقيعات بالتوازن، وبروز السجع، فضلاً عن تضمين الشعر والاقتباس من القرآن الكريم.

أمــا فيما يتعلق بالتصوير فلم تكن التوقيعات تعنى بالتشبيهات أو الصور إلا ما جاء عفو الخاطر من غير معاناة أو تكلف لأن جلّ اهتمامها كان ينصب على إصابة المعنى(٢).

كمــا شــاعت فــي التوقــيعات بعض المحسنات البديعية مثل السجع والجناس والطباق والمقابلة(٣).

وعلــى الــرغم من ذلك، فإن قصر التوقيع وعدم طول نصه جعل نصيبه من المميزات الفنــية الأســلوبية ضئيلاً إذا ما قيس بالنصوص الأدبية الأخرى، كالخطب والرسائل والوصايا والمقامــات، وغــيرها من ألوان النثر العربي، ومن هنا تحاول الباحثة في هذا الفصل أن تتلمس أهم الملامح التي ميزت التوقيعات العربية في العصر العباسي.

أولاً: الإيجاز

يعــدّ التوقيع ضرباً من ضروب الكلام الموجز، فالإيجاز جوهر التوقيع وأهم خصائصه، فــإذا طــال التوقيع افتقد أهم مميزاته الأسلوبية، فالتوقيعات تعتمد الوجازة في التعبير، وهذا هو الأصــل الذي يقول الكلاعي فيه: "هذا النوع من الكلام مما عدلوا فيه عن التطويل والتكرار إلى الإيجاز والاختصار"(٤).

---

(١) انظر: إيمان أحمد اللحام، **أنماط النثر العراقي في القرن الثالث الهجري**، ص ٥٦.

(٢) انظر: هاشم مناع، مأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: **المرجع نفسه**، ص ٢٣٨.

(٤) الكلاعي، **إحكام صنعة الكلام**، ص ١٦١.

وذهب ابن درستويه إلى أن التوقيع: "إنما هو أمر أو نهي فالواجب أن يجري مجراهما لا غير وأن يثبت حرف الأمر فيما كان منه أمراً إذا لم يُسمّ المأمور كما يثبت حرف النهي فيما كان منهياً عنه، ولا يجوز حذف واحد من هذين الحرفين"(١).

ويبدو من كلام ابن درستويه، أن التوقيع كلام موجز يحتمل أمراً أو نهياً، ولا يأتي على غيرهما، وكلاهما – أي الأمر والنهي – رد شاف موجز.

وذكر ابن خلدون أن التوقيع يجب أن يكون "بأوجز لفظ وأبلغه"(٢) ، وهو بذلك يجمع إلى الإيجاز البلاغة، فحيثما كان الإيجاز كانت البلاغة، وهي النظرة التي عبر عنها النقاد العرب القدامى.

واتفق المعاصرون على أن الإيجاز ملاك التوقيع، يقول حسين نصار: "ألف الخلفاء والولاة أو كتّابهم أن يردوا على بعض الرسائل التي تصل إليهم في جمل حاسمة امتازت بالإيجاز الشديد، ونالت إعجاباً متزايداً على مر الزمان"(٣).

ويقول أحمد الحوفي في ذلك: "إن التوقيع قائم على ما يلائم الفطرة العربية من ميل إلى الإيجاز ومقدرة على البيان، وسرعة خاطر، وحضور بديهة"(٤).

ويرى مصطفى السيوفي أنها تعتمد على الإيجاز والاختصار الذي هو أساس البلاغة العربية، يقول: "وقد سئل شيخ البيان العربي ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز... ولا يتصور تأتيها إلا ممن وهب دقة الإدراك والبلاغة الأسلوبية، وحسن التقدير للمواقف والأمور التي تعرض عليه بطريقة أو بأخرى.." (٥).

إن النفس العربية تميل إلى الإيجاز، وتؤثره على الإطالة والتوسّع، كما أن الإيجاز من خصائص اللغات السامية، يقول محمد نبيه حجاب في أصالة التوقيعات وعروبتها: "وأنها نبعت من الصدور العربية لأنها من ضرورات الملك، واستبحار العمران فضلاً عن طابعها الموجز الذي هو من سمات الأساليب السامية لا الآرائية المُطنبة"(٦).

---

(١) ابن درستويه، **كتاب الكُتاب**، ص ١٥٩.

(٢) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ص ٢٤٧.

(٣) انظر: حسين نصار، أدب المراسلات في العصر الأموي، **مجلة عالم الفكر**، مجلد ١٤، العدد الثالث، الكويت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٦٤٨.

(٤) انظر: أحمد الحوفي، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، ص ٢٦٦.

(٥) انظر: مصطفى السيوفي، **ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٤٧.

(٦) انظر: محمّد نبيه حجاب، **بلاغة الكُتاب في العصر العباسي**، ص ٩٧.

إن البلاغة تتحقق بالإيجاز، وحيث كانت البلاغة كان الإيجاز، فالإيجاز والاختصار هما أســاس الــبلاغة العربية، والبلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها فــي النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون، فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري، ودقة إدراك الجمــال، وتبين الفروق الخطية بين صنوف الأساليب. فربّ كلام كان في نفسه حسناً خلاباً حتى إذا جــاء فــي غــير مكانــه، وسقط في غير مسقطه خرج عن حدّ البلاغة وكان غرضاً لسهام الناقدين.

ويعــد التوقــيع مظهراً من مظاهر البلاغة إذ يستطيع الموقع أداء المعنى الوفير باللفظ القلــيل، وصــاحب التوقيع، والغالب هو من أولياء الأمر في السلطة لا يتسع وقته للإجابة على الرقاع التي ترد إليه بكلام طويل، لذلك يعمد إلى إجابات موجزة يكون فيها الجواب المُركّز، وقد كــان الموقــع يلجأ إلى الإيضاءات السريعة التي تتحقق في الإيجاز. وليس هذا فحسب بل كان الموقعون كثيراً ما يوصون غيرهم بالإيجاز، فقد وقع جعفر البرمكي إلى كتابه: "إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا"(١).

ومــن ذلك أيضاً ما أورده ابن خلكان من أن المأمون أمر عمرو بن مسعدة أن يكتب إلى بعــض العمــال فــي العناية بشخص، وأن يوجز كتابه بحيث لا يتجاوز سطراً واحداً، فكتب : "كتابــي إليك كتاب واثق بمن كتب إليه، معني بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله، والسلام." (٢).

كما أن الإيجاز يمثل اقتصاداً في استعمال الورق ومعروف أنه كان هناك شحّ في أدوات الكــتابة مــن قراطــيس وأقلام، فحدا هذا بالموقعين إلى أن يكتبوا في أسافل الرقاع وظهورها وحواشــيها. كمــا أنه يحقق فكرة الاقتصاد اللغوي. التي تقوم على أداء المعنى الوفير في اللفظ اليسير.

ويــبدو أن كــثرة الأعمال في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين اقتضت أن يبالغوا في الإيجــاز في ردودهم، على أن هذا الإيجاز لم يستطع أن يعيش طويلاً في ظل العصر العباسي، فقــد تبدلت ألوان الحياة وتعقدت مرافقها، فضلاً عن دخول العناصر غير العربية، فقد مرت مُدة كان فيها كتاب اللغة العربية من هؤلاء الدخلاء، فأثروا في الكتابة العربية تأثيراً بعيــداً، وحلّ

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص٢٧٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٢.

(٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج١، ص ٤٩٣.

التطويل والإسهاب رويداً رويداً محل الإيجاز والإجمال[١].

وهكـذا بـدأت التوقيعات في العصر العباسي تطول، فكانت بعض هذه التوقيعات تتكون مـن حرف واحد، وبعضها من كلمة واحدة، وأخرى تشكلت من كلمتين، بينما جاءت طائفة منها تتكون من جملة واحدة، وجاء معظمها يتكون من أكثر من جملة، في حين طالت بعضها لتتكون من فقرة قصيرة حتى وصل الأمر إلى أن طال التوقيع فأصبح بعضها على شكل رسالة قصيرة.

ومن أمثلة التوقيعات العباسية التي امتازت بالإيجاز الشديد توقيع الصاحب بن عباد، فقد كتـب بعضـهم إليه رقعة فيها: "إن رأى سيدنا أن ينعم بما سألته إياه فعل". فزاد فيها ألفاً، وردّ الـرقعة إلى صاحبها وبش بالتوقيع فلم يره وعرضها على أبي العباس الضبيّ فأراه الألف التي كتـبها قدام فعل، أي (أفعل) [٢]. فجاء توقيع ابن العباد بحرف واحد أضافه، أجاب فيه طلب هذا السائل وأعطاه ما التمسه.

ومن التوقيعات التي تكونت من كلمتين، توقيع المهدي في قصة رجل شكا الحاجة: "أتاك الغوث"[٣].

إن توقـيع المهـدي على وجازته الشديدة، ناطق برد لهفة هذا المحتاج، فما عليه إلا أن ينتظر غوث الخليفة بعد أن لبّى نداءه.

ويوقع طاهر بن الحسين في قصة محبوس:"يُطلق ويُعتق"[٤]. كما وقع في قصة مستمنح: "يُـبلّ حاله"[٥]. وفي قصة مستوصل: "يُقام أوده"[٦]. وفي قصة مستجير: "أنا جاره"[٧]، وكذلك في قصة مستأمن: "يُؤمّن سربه"[٨].

---

(١) انظر: بهيج عثمان، **التوقيعات في الأدب العربي**، ص ٤٨.

(٢) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٣٣. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٩١.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٣. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٦٩.

(٤) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٦.

(٥) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨.

(٦) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨.

(٧) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٨.

(٨) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٩.

ولعـل القاسم المشترك في توقيعات طاهر الخزاعي الآنفة هو إيجازها الشديد، كما أنها تجيـب صاحبها، وتمنحه ما طلب بأقل لفظ وأوجز معنى، فنجده في توقيعه الأول يأمر بإطلاق محبوس، كما نجده حينا يأمر بالصلات والعطايا، وحينا آخر يجير خائفا ويؤمنه، بينما يجيب في توقـيعه الأخـير أحد المستأمنين فيعطيه الأمان له ولعائلته، ويبدو أن طبيعة الموضوعات التي كتبت فيها التوقيعات السابقة، اقتضت هذا الإيجاز الشديد.

ومـن توقيعات الوزراء التي وُسمت بالإيجاز الشديد، توقيع جعفر البرمكي في قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته: "يُرحّل عنكم"(١).

يلحـظ هـنا أن البرمكي في هذا التوقيع يبطل الظلم الذي لحق بهؤلاء القوم، ولا يخفى علـى أحد أن تحقيق هذا الغرض يوثق عرى العدل والأمن في المجتمع، فينطلق الناس مطمئنين إلـى رسـوخ قواعـد العدل، غير آبهين بقوى الظلم إذا كان ثمة من يردع الظالمين ويقف في وجوههـم(٢). وتـبدو الحاجة شديدة ههنا للإيجاز الذي وُسم به توقيع البرمكي الآنف، فلا حاجة للإطالة والإسهاب لرفع الظلم عن هؤلاء القوم.

ويوقـّع الفضـل بن سهل إلى صاحب الشرطة: "ترفـّق تُوفـّق"(٣). ووقع كذلك إلى حاجـبه: "تمهل وتسهل"(٤). يدعو الفضل في كلا التوقيعين إلى ضرورة التأني والترفق، ولا شك أن التوقيعيـن على إيجازهما الشديد فإنهما يطويان وراءهما منهج حكم وسياسة، يتمثل بضرورة التخطـيط المسـبق، والـتروي قبل اتخاذ القرارات المختلفة، لما له الأثر الأكبر في نجاح هذه الأعمال وتأديتها على أكمل وجه.

ويوجـز إبراهيم بن محمد بن المدبّر في توقيعه إلى أحد عماله، ساخرا منه ومن طلبه، فقد كتب إليه أحدهم يسأله جيشا، فوقع إليه: "تجرّ بنفسك!!"(٥)

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٩٦.

(٢) انظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٧٤-٧٥.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٨.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٨.

(٥) ابـن أبي عون، **الأجوبة المسكتة**، ص٢٠٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣٤٠.

وجـــاءت طائفة من التوقيعات العباسية في عبارة واحدة، كما في توقيع السفاح في كتاب جماعـــة مـــن بطانـــته يشـــكون احتباس أرزاقهم: من صبر في الشدة شارك في النعمة. ثم أمر بأرزاقهم[١].

لقـــد تلبس التوقيع السابق إطار الحكمة، الذي انتظمت فيه كثير من التوقيعات العباسية، وحـــري أن نلاحـــظ أن التوقيع والحكمة يقومان على مشبه واحد وهو الإيجاز، وهو مشبه يكاد يكون حلقة وصل بين هذين النوعين الأدبيين، ومن أجل هذا كانت التوقيعات تتلبس إطار الحكمة في كثير من الأحيان[٢].

ونظـــير ذلـــك توقـــيع المنصـــور إلى أهل الكوفة وقد شكوا عاملهم: "كما تكونوا يولى عليكم"[٣].

نلحـــظ فـــي هـــذا التوقيع أن المنصور اختزل الكلمات وأوجزها للرد على أهل الكوفة ورفض ظلامتهم وردّها، ومع ذلك فإننا نجد ردّه وافيا شافيا.

وقـــد يقـــرّ بعضهم بعدم القدرة على رفع الظلم، وإحقاق الحق لتعذر الوسائل التي تمكن الموقع من تحقيق هذا الأمر، كما في توقيع طاهر بن الحسين في قصة رجل متظلم من أصحاب نصر بن شَبَث: "طلبت الحق في دار الباطل"[٤].

كمـــا نجـــده فـــي توقيع آخر لا يتوانى في إحقاق الحق، فيأمر بإمضاء العقوبة من غير تريث أو تمهّل، فوقع في قصة قاتل: لا يُؤخّر قتله[٥].

بينما يقتل ساعيا بعدم الالتفات إليه، فترتد وشايته وبالا عليه، فوقـــّع في قصة ساع: "لا يُلتفت إليه"[٦].

يـــبدو لـــنا جليا من توقيعات طاهر بن الحسين السابقة، دقتها وإصابتها المعنى من جهة، وإيجازها الشديد من جهة أخرى، كما أن هذا الإيجاز جاء في مكانه، مناسبا للمقام الذي كتب فيه التوقيع من غير أن يأتي هذا الإيجاز على المعنى المراد أو ينتقص منه.

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١١. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٤.

(٢) انظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٨٧.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٨.

(٤) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٦.

(٥) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٩.

(٦) ابن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٧٠. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٢٩.

ومـــن توقـــيعات الوزراء التي جاءت في عبارة واحدة، توقيع أبي مسلم الخراساني إلى عامله ببلخ: "لا تؤخر علم اليوم لغدٍ"[١].

ومـــنها أيضاً توقيع جعفر البرمكي في قصة رجلٍ تظلم من بعض عماله: "أنا لمثله حتى ينصفك"[٢].

ووقع إلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه: لم نزرعك لنحصدك[٣].

يشـــترك توقيعا جعفر البرمكي السابقان في سمة الإيجاز والبلاغة، في حين يتباينان في الموضـــوع، فهو يجيب المظلوم وينصفه في التوقيع الأول، جاعلاً نفسه نداً لعامله الظالم، بينما يجيب عامله في التوقيع الثاني، مجدداً ثقته به وبقدرته واستحقاقه لمنصبه.

ووقـــع الفضـــل بن سهل في امرئ قاتل شهد عليه العدول فشفع له: "كتاب الله أحق أن يتّـــبع"[٤]. لا شك أن موضوع إقامة الحدود من الموضوعات التي تتطلب الإيجاز في توقيعاتها، ومن هنا جاء إيجاز الفضل في هذا التوقيع من غير تهاون في إقامة حدود الله.

ويوجـــز الحســـن بن سهل في توقيعه مجيباً أحدهم لتوسّله: "مرحباً بمن توسل إلينا بنا". وأمر له بصلة[٥].

أما الصاحب بن عباد فيوقع إلى رجلٍ عصى له أمراً: "العصا لمن عصى"[٦].

وهـــناك طائفـــة أيضاً تكونت من أكثر من عبارة، وهي كثيرة، ومنها توقيع السفاح إلى أخيه المنصور يحرضه على ابن هبيرة: "لست منك ولست مني، إن لم تقتله"[٧].

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٨. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٢.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٩١.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٩٨.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٨.

(٥) الثعالبي، **خـــاص الخاص**، ص ١٣٥-١٣٦. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣١٦.

(٦) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٣٧٧.

(٧) ابـــن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١١. محمّد الدروبي، وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٦.

يـبدو السـفاح فـي توقيعه حازماً شديد اللهجة، حين يدعو إلى محاربة الخارجين عن الطاعة، كما يبدو الإيجاز سمة بارزة في التوقيعات التي تثبت في هذا الموضوع.

ونظـير ذلك توقيع المأمون في كتاب متظلم من أحمد بن هشام: "اكفني أمره وإلا كفيته أمرك، والسلام"(١).

ووقـّع جعفر البرمكي إلى قوم: "عين الخليفة تكلؤكم، ونظره يعمّكم"(٢).

ووقـّع جعفر البرمكي إلى بعض الولاة: "الخراج عمود الملك، وما استُعزر بمثل العدل، وما استـُنزر بمثل الجور"(٣).

ووقـع كذلـك الحسن بن سهل في قصة قوم تظلموا من واليهم: "الحق أولى بنا، والعدل بغيتنا، وإن صحّ ما ادعيتم عليه صرفناه وعاقبناه"(٤).

وهـذه التوقيعات السابقة، بما تمتاز به من كثافة الفكرة والاقتصاد في اللفظ، تحمل قيمة سياسية مهمة، فهي تعبر عن حرص الدولة على إقامة العدل في سائر مناشط الحياة(٥).

أمـا مـثال التوقيعات التي طالت لتصبح فقرة كانت أشبه برسالة قصيرة، توقيع المأمون علـى رقعة رجل طال في السجن مقامه: "ركوبك مطية الجهل، صيّرك أهلاً للقتل، وبغيك عليّ وعلـى نفسك، نقلك عن سعة الدنيا إلى قبر من قبور الأحياء، ومن جهل الشكر على المنن، قلّ صـبره على المحن، فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك، على قدر صبرك على كثير مـن جـناياتك، فإن حصل في نفسك كفٌّ عن معصيتي وعزمٌ عن طاعتي، وندم على مخالفتي، فلن تعدم مع ذلك جميلاً من نيتي"(٦).

يلاحـظ الـناظر فـي هذا التوقيع أنه يطول عما ألفناه من التوقيعات القصار الموجزة، والحق أن هذا التوقيع لا أقل أن يكون رسالة تفصح عن موقف المأمون، واحتجاجه على الرجل

---

(١) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٥٥٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٩.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٩٨.

(٣) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٢٨٩.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢٢٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣١٤.

(٥) انظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٧٨.

(٦) الوطواط، أبو إسحاق، **غرر الخصائص الواضحة**، ص ٤١٣.

المسجون بما يناسب جرمه[١].

ثانياً: الصنعة

تشـــكل ضروب البديع وفنونه ملحظاً أسلوبياً مهماً في كثير من التوقيعات العباسية، فقد شـــاعت فـــيها المحســـنات البديعـــية، وبخاصـــة السجع والجناس، فضلاً عن الطباق والمقابلة والموازنة.

يعـــرّف ابـــن خلـــدون علـــم البديع بأنه: "هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنمـــيق إمـــا بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه أو تورية عن المعـــنى المقصـــود بإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك"[٢].

ولعلـــه ينجلـــي للـــناظر من كلام ابن خلدون أن المحسّنات البديعية تزين الكلام وتنمّقه وتـــزيده حســـناً وبهاءً وجمالاً، فالسجع يغذي السمع بخفة ألفاظه وسهولتها وعذوبتها، والجناس يكســـو الأســـاليب رونقـــاً وإشراقاً، فهو يحسن المعاني بالربط بينها وتوجيه الأفهام نحوها. أما الطـــباق والمقابلـــة فكلاهمـــا يضفي على المعنى حسناً وبهاءً، لما لهما من أثر جليل في تثبيت المعـــنى وتقويـــته، وكل منهما يضفي على القول رونقاً وبهجة، كما أنه يقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ويجلو الأفكار ويوضحها.

أمـــا الموازنـــة فإنهـــا تضـــفي على القول إيقاعاً وجرساً تطرب له القلوب، وتميل إليه النفوس.

ولا بـــد لهذه المحسنات أن تجري مجرى الطبع، وأن تصيب لبّ المعنى، من غير تكلّف أو تعمّل، فإذا تكلفها صاحبها وجرى وراءها، فإنها تعتقل المعاني وتحبسها، وتحرم الكلام رونق السلاسة والسهولة، فتغدو سبباً من أسباب اضطراب الأسلوب وتعقيده.

ومـــثال ذلك توقيع السفاح إلى كاتب جنده وقد شغبوا عليه بالأنبار: "بلّغ المفترين عني: أبرقتم بأعجازكم، أم عظمت نعمة الله عليكم في دينكم ودنياكم؟! فلا تكونوا عظة العقلاء، وزرية الجهلاء، فتحبط أعمالكم، وتخيب آمالكم، والعطاء غير مؤخّر عن وقته، إن شاء الله"[٣].

---

(١) انظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص٧٨.

(٢) ابن خلدون، **المقدمة**، ص ١٠٦٦.

(٣) الآبي، **نثر الدر**، ج٣، ص٨٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٥٥.

جـاء السـجع فـي كلمتي (العقلاء، الجهلاء)، فالسجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخـير، وأفضـله مـا تساوت فقره[١]، ومثاله في التوقيع السابق في (فتحبط أعمالكم، وتخيب آمـالكم) فقد تساوت الفقرتان السابقتان، فضلاً عن توافق الحرف الأخير في آخر كل فقرة، وهذا مـا يسـمى أفضل السجع. كما يلحظ أثـر السجع هنا في موضوع التوقيع، فالسفاح في توقيعه يـتوعد الخارجيـن عليه، بأن يكونوا عبرة لغيرهم إذا ما استمروا في طريق الشغب والفوضى، وهـذا الـتوافق بين الفواصل أثر في تقوية المعنى وتأكيده من جانب، كما لفت انتباه السامع إليه من جانب آخر.

كمـا وقع المنصور إلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل: "طهّر عسكرك من الفساد، يعطك النيل القياد"[٢].

بـرز السـجع فـي كلمتـي (الفساد، القياد)، فجاء التوافق في حرفي الألف والدال، كما تسـاوت فقـره ممـا أضفى معنى بليغاً في توقيع المنصور لتوجيه عامله لضرورة القضاء على الفساد والمفسدين.

أمـا الرشيد فيوقع إلى صاحب المدينة المنورة: "ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن، فإنهم قد أطالوا ليلي بالسهاد، ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد"[٣].

جـاء السجع في (السهاد، الرقاد)، مع تساوي الفقرات، وجاء ناطقاً بما سببه أهل المدينة للرشيد من قلق وأرق، جعلاه لا يهنأ بلذة النوم وراحة الليل، ولا سيما أنهم عرفوا بعدائهم للدولة ومعارضتهم لسياستها.

ورفع أهل الكوفة قصة إلى المأمون يشكون عاملاً، فوقع: "عيني تراكم، وقلبي يرعاكم، وأنا مولٍ عليكم تقتي ورضاكم"[٤].

تـتابع السـجع في توقيع المأمون في ثلاث فواصل، وجاء في الكلمات (تركم، يرعاكم، رضـاكم)، ليضـفي توازنـاً وتسلسلاً يتواءم مع موضوع التوقيع، في الرد على المتظلمين فقد وعدهم المأمون بالرعاية، وإبطال الظلم الذي وقع عليهم.

---

(١) انظـر: أحمـد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢٥٠.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٦١.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٧٥.

(٤) الآبي، **نثر الدر**، ج٣، ص ١١٥. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٩١.

ومـــن توقـــيعات الوزراء التي ورد فيها السجع توقيع يحيى البرمكي في تهديد من شُكي إليه ظلمه: بئس الزاد إلى المعاد، ظلم العباد[١].

يـــبدو الســـجع في كلمتي (المعاد، العباد)، وهو من التوقيعات التي تتضمن توجيها شديد اللهجة، إلى الولاة والعمال الذين يتعدون على حقوق العباد.

وقد تنحى التوقيعات منحى الدعابة والسخرية، كما في توقيع محمد بن عبد الملك الزيات على رقعة رجل توسّل إليه بقرب الجوار منه: "الجوار للحيطان، والتعطف للنسوان"[٢].

ويـــبدو الســـجع واضحاً في كلمتي (الحيطان، النسوان)، وهذا السجع يدعّم المعنى الذي يتضمنه التوقيع وهو السخرية والتهكم من هذا المتوسل، كما يتجلى كذلك توازن الجمل وتساوي الفِقر.

بيـــنما تمـــثل الجناس – بنوعيه التام والناقص– في طائفة أخرى من التوقيعات، فزادها حســـناً وبهـــاءً، كما في توقيع المهدي إلى يوسف البرم حين خرج بخراسان: "لك أماني ومؤكد أيماني"[٣].

جـــاء الجـــناس الناقص في كلمتي (أماني، أيماني)، وذلك بزيادة حرف الياء في الكلمة الثانية، فالجناس أن يتشابه اللفظان في النطق، ويختلفان في المعنى[٤]. وقد يكون هذا التشابه تاما بالحـــروف والشكل والترتيب والضبط وهو ما يسمى بالجناس التام، أما إذا اختلف أحدها أو أكثر فإنـــه يســـمى جناســـاً ناقصـــاً، وهذا ما ظهر في التوقيع السابق حيث اختلف عدد الحروف بين الكلمتين، ولا شك أن مناسبة الألفاظ هنا تجدد ميلاً وإصغاءً لها، فتواءم ذلك مع موضوع التوقيع السابق في إعطاء الأمان لطالبه.

ووقـــــّع المأمون إلى عامل: "لو استقامت لك الطريقة لرضيت الخليقة، فإن لم تدع فيهم العدل، راعينا فيك العزل"[٥].

---

(١) الثعالبي، **تحفة الوزراء**، ص٩٩. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٢٧٧.

(٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص١٠٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٢٦.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٣. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٨.

(٤) انظر: محمّد حسن شرشر، **لباب البديع**، دار الطباعة المحمّدية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ١٦٥.

(٥) الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ١٧٦. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٩٢.

يبدو الجناس في (العدل، العزل)، وهو جناس ناقص، إذ اختلف حرف واحد، أما موضوع التوقيع فيتضمن دعوة الوزراء والعمال وغيرهم من طوائف المسؤولين في الدولة إلى وجوب أخذ الرعية بمقتضيات العدل، وردّ المظالم وسياسة الناس بالمعروف وإلا فإنه يستحق العزل.

أما جعفر البرمكي فقد وقع إلى عامل له: "إنك كثير الشكاية، قليل النكاية، جريٌ في ميدان العلل، بطيءٌ في ميدان العمل"(١).

في التوقيع شاهدان على الجناس الناقص، الأول في (الشكاية، النكاية) والثاني جاء في كلمتي (العلل، العمل)، وكلاهما كان باختلاف أحد الحروف، ولا شك أن التشابه في الألفاظ السابقة يلفت ذهن السامع إلى معانيها.

ورفع إلى عبد الله بن طاهر في إفساد بعض البيوتات، فوقع: "إن أهل البيت إذا كثروا ففيهم الغُرَرُ والعُرَرُ"(٢).

برز الجناس الناقص في كلمتي (الغُرر، العُرر)، وكان الجناس باختلاف حرف واحد بين اللفظتين، ويبدو أن عبد الله بن طاهر قد أفاد من هذا التشابه بين اللفظتين، للدلالة على معنيين متباينين يؤديان الغرض الذي كتب فيه التوقيع.

ويوقّع عبيد الله بن سليمان بن وهب إلى أحمد بن طولون: "اتق الله في الأرصاد، فإن الله بالمرصاد"(٣).

تمثل الكلمتان (الأرصاد، المرصاد) نوعين من فنون البديع هما الجناس الناقص والسجع، وكلاهما أثّر في المعنى المقصود، والغاية التي كُتب لها التوقيع.

أما مثال الجناس التام، فيظهر جلياً في توقيع الصاحب بن عباد حيث رُفع إليه أن رجلاً غريب الوجه يدخل داره ويسترق السمع: "دارنا هذه خان، يدخلها من وفى ومن خان"(٤).

إذ جاء الجناس التام في كلمة (خان)، إذا وردت في المرة الأولى بمعنى المكان، وفي المرة الثانية بمعنى صفة الغدر والخيانة.

---

(١) الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ١٨٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٩٠.

(٢) الثعالبي، **المتشابه**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٣٤.

(٣) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٦. محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٣٤٢.

(٤) الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص٢٣٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٨٠.

وفـــي توقـــيع آخر له إلى رجلٍ عصى له أمرا: "العصا لمن عصى"[١]. الجناس التام في كلمـــة (عصا) إذ كانت الأولى اسما، بينما جاءت الثانية فعلاً. ويبدو كذلك التجانس بين اللفظتين حيث أن العصا هي الأداة التي قد تستخدم للنيل ممن يقترف فعل العصيان.

ومـــن الفنون البديعية الأخرى التي ظهرت في التوقيعات العباسية، الطباق والمقابلة، فقد حفلـــت التوقيعات بهذا الفن، ويُعنى بالطباق: الجمع بين الشيء وضده في الكلام[٢]. وهو نوعان: طـــباق إيجـــاب عـــندما يكـــون التضاد مباشراً من غير أداة، والنوع الثاني: طباق سلب يكون باستخدام أداة نفي مثل لا ، ما. ولعلّ النوع الأول الأكثر شيوعاً في التوقيعات العباسية.

ومـــثال ذلـــك توقيع المنصور: "اسل عنها تتل منها، عوضا في الدنيا، وتأمن تبعتها في الآخرة"[٣].

جاء الطباق في كلمتي (الدنيا، الآخرة)، وهو طباق إيجاب، ويبدو واضحا هنا أن الطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع والتي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، فهو يثبت المعنى في النفس، إذ الضدّ أقرب حضوراً بالبال إذا ذكر ضدّه.

ووقـــع كذلـــك إلـــى رجلٍ استوصله: "لا مانع لما أعطاه الله"[٤]. برز طباق الإيجاب في (مانع، أعطاه)، ويبدو أثر هذا التضاد بين المنع والعطاء في تثبيت المعنى وتقويته وإظهاره.

ونظـــير ذلـــك فـــي توقيع المهدي إلى صاحب خراسان في أمر جاءه: "أنا ساهر وأنت نائم!!"[٥]

يـــبدو طـــباق الإيجاب في كلمتي (ساهر، نائم)، وقد وُظّف هذا التضاد بشكل مناسب في هذا التوقيع، فوقع في موقعه، ليؤدي المعنى المراد الذي أراده المهدي في توقيعه إلى عامله.

---

(١) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٣٨. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهـــرة توقيعات العـــرب**، ج٢، ص ٣٧٧.

(٢) انظر: أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص ٢٢٢.

(٣) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٨، ص١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج١، ص ٦١.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٣.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٧.

وخير مثال للمقابلة توقيع الرشيد في قصة رجل من البرامكة: "أنبتتـه الطاعة وحصدته المعصية"(١).

يتكون هذا التوقيع من عبارتين متقابلتين، كل عبارة تكونت من كلمتين تقابلها كلمتان في العـبارة الثانية تضادها في المعنى، فكلمة (أنبتته) تقابلها (حصدته) وكلمة (الطاعة) تقابلها كلمة (المعصـية)، وهـذا التوقيع من التوقيعات ذات اللهجة الشديدة في رفض الاستعطاف وردّه، وقد أفادت المقابلة في التعبير عن بعد الاستعطاف وعدم إمكانية تحققه.

ونظـير ذلـك أيضاً توقيع الفيض بن أبي صالح على ظهر رقعة تائب: "التوبة للمذنب كالداء للمريض، فإن صحّت توبته أتم الله شفاءه، وإن فسدت نيته أدام الله داءه"(٢). وتبدو المقابلة بين عبارة (صحّت توبته)، و(فسدت نيته).

أمـا مـثال الموازنة في توقيع المهدي في كتاب رجلٍ كذب عليه عبده: "لا أعلمنّ أحداً ينسب نفسه إلى مخلوق مثله على عنوان، فإنه ملق كاذب، لا يقبله إلا مفتونٌ أو مأفون"(٣).

جـاءت الموازنـة في نهاية التوقيع بين كلمتي (مفتون، مأفون) إذ جاءت الكلمتان على الوزن نفسه وهو (مفعول)، فضلاً عن السجع بتشابه الحرفين الأخيرين.

ومـثال ذلك أيضاً توقيع جعفر البرمكي إلى بعض ندمائه: "عذرك مبسوط، واللوم عنك محطوط، وحقٌ ما جرى على النبيذ أن يُغفر ويستر، فلا يُذكر"(٤).

إن الغرض الذي تضمنه التوقيع هو الرد على المعتذرين، فجاء بلغة سلسة تؤدي المعنى فـي أبسـط صـورة، ويبدو التناسب واضحاً بين مضمون التوقيع مع طبيعة العلاقة بين الموقع والمعـتذر، فضلاً عن بروز أحد فنون البديع وهو الموازنة الذي يعتمد التشابه في الوزن، فكلمتا (مبسـوط، محطـوط) على وزن واحد وهو (مفعول)، كما جاءت الكلمات (يُغفر، يُستر، يُذكر) على وزن واحد كذلك وهو (يُفعل). كما اشتركت الكلمات بنوع آخر من فنـون البديـع وهـو

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٣. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٢.

(٢) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٦، ص٢٢١. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٢٧٥.

(٣) الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ١٠٥. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٠.

(٤) الرقيق القيرواني، أبو إسحاق، إبراهيم بن القاسم (ت بعد ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م)، **قطب السرور**، تحقيق: أحمد الجـندي، منشـورات مجمـع اللغـة العربية، دمشق، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٣١٤-٣١٥. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٩.

السـجع، فقد جاء بين (مبسوط، محطوط)، وكذلك بين (يُغفر) و(يستر) و(يذكر). وكلاهما – أي الموازنـة والسـجع – كان لهما أثر واضح في إضفاء الإيقاع والموسيقى التي تناسب موضوع التوقيع.

ثالثاً: التصوير

لـم تكن التوقيعات تعنى بالتشبيهات والصور، إلا ما جاء عفو الخاطر من غير معاناة أو تكلف، لأن جلّ اهتمامها كان ينصب على إصابة المعنى[١].

ويمكـن القـول إن التوقيعات العباسية التي حفلت بهذه الصور والتشبيهات كان لها وقعٌ حسنٌ، وأثرٌ جليل في أداء المعنى المقصود وإصابته على أحسن وجه.

ومـن التوقيعات التي عُنيت بالصور والتشبيهات توقيع المنصور إلى قائد من قواده أتى محظورا: "يا هذا، إن كان رأسك قد أثقلك خففنا عنك"[٢].

أراد المنصـور أن يخفـف عـن هـذا القـائد، بقطع رأسه، إذ شبه عملية قطع الرأس بالتخفـيف، وهذا التوقيع على إيجازه فإنه ناطق بحزم المنصور، ولهجته الشديدة مع هذا القائد، وحرصـه علـى مصلحة رعيته وأمنهم وذلك بتوجيه الولاة والقادة والأخذ بأيديهم وردعهم إذا اقتضى الأمر، وقد يصل الأمر إلى تهديدهم بالقتل.

وكتـب المتولـي علـى أذربيجان إلى يحيى بن خالد البرمكي: "أما بعد : فإن حقوقا قد منعـت وأمـوالاً قد تحيّفت، فإن رسمت ببيع ذلك وكشفه بلغ ما يوفي على خراجها"، فلما وقف يحـيى بن برمك على الرقعة كتب في ظهرها: "وقفنا على هذه الرقعة المذمومة، وسوق السعاة عـندنا- بحمـد الله- كاسـدة، وألسنتهم لدينا معقولة، وما بعثناك إلى الناحية لتحيي العظام ولا لتتـبّع الآثار المذمومة، فخذ الناس على قانونهم، وطالبهم بما في ديوانك، ودع التكشف والتتبع، فهذه مدة تمضي وأيامٌ تنقضي، فإما ذكرٌ جميل أو حزنٌ طويل، وجنبني وتجنب قول جرير:

وكنت إذا نزلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا[٣]

اتكـأ يحـيى البرمكي في توقيعه على التصوير والتشبيه في أكثر من موضع، فقد شبّه أقـوال السـعاة والوشاة بالبضاعة الكاسدة، فقال: (سوق السعاة عندنا كاسدة)، كما عقل ألسنتهم

---

(١) انظر: هاشم مناع، مأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص ٢٣٩.

(٢) الثعالبي، **آداب الملوك**، ص ٧٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٢.

(٣) العمري، **مسالك الأبصار**، ج١١، ص ١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٨٠.

وربطهـــا بعدم الإصغاء لوشاياتهم، وتبدو مهارة يحيى البرمكي ههنا في اختيار الألفاظ وانتقائها، واستشفاف الصور والتشبيهات لتؤدي المعنى، وتقوي لغة التوقيع ومضمونه.

كما نجده يحسن التصوير كذلك في توقيع آخر في رقعة رجل مليح الخط رديء الكلام: الخط جسمٌ روحه الكلام، ولا ينتفع بجسم لا روح له[١].

أفاد البرمكي في هذا التوقيع من ثنائية الجسم والروح، لإحكام الصلة والعلاقة بين الخط والكـــلام، فهمـــا كالروح والجسد، فهما وجهان لعملة واحدة لا انفصام بينهما، فكان تشبيها بليغا، يجلو الصلة بين المشبه والمشبه به ويظهرها.

بيـــنما تمثلت الاستعارة في طائفة أخرى من التوقيعات، كما في توقيع جعفر البرمكي في قصة متنصّح: "بعض الصدق قبيح"[٢].

أضـــفى البرمكـــي صفة القبح على الصدق، فجعل الصدق إنساناً قبيح الشكل، ويبدو هذا التصـــوير فـــي مكانـــه اللائق، إذ إن النفس البشرية تميل بفطرتها إلى الجمال، وتنفر من القبح وترغب عنه.

ووقـــع الفضـــل بن سهل: "إن أسرع النيران التهاباً أسرعها خمودا، فتأن في أمرك، إن شـــاء الله"[٣]. يرســـم الفضـــل صورة دقيقة لمن يثور بسرعة، فيتسرع في إصدار قراراته، فهو كالـــنار التـــي تلتهب بسرعة ثم ما تلبث أن تخمد وهكذا الغضب فهو يبدأ قويا شديداً ثم يتضاءل إلى أن تخفَّ حدّته. وأراد الفضل بهذه الصورة أن يعظ غيره فيتأنى ويتروّى في قراراته قبل أن يجنـــي نتـــيجة ســـرعته وعجلـــته فلا يحصد بعدها إلا الندم والخسران، ولعلّ هذا التوقيع من التوقـــيعات التـــي تتضـــمن التوجيهات السياسية التي كان الخلفاء والوزراء يوجهون بها قادتهم وعمّالهم.

ومن التوقيعات التي سلكت هذا المسلك توقيع الصاحب بن عبّاد وقد كتب إليه بعض

---

(١) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٨، ص ٥٢-٥٣. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٨٦.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٩٧.

(٣) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص١٢٧. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣١١.

الفضـــلاء يعـــتذر مـــن ترك حضوره لخوف الثقل على حضرته، فوقع: "متى يثقل الجفن على العين؟!"[١].

يـــبدو أن هـــذا المعـــتذر قريب من الصاحب، قرب الجفن للعين، وليس هذا فحسب فهو يحمـــيها ويحـــرص علـــيها. وهـــذا التشبيه بليغ فكما الجفن يلازم العين ويُطبق عليها، كان هذا المعـــتذر يـــلازم نفـــس الصاحب، لذا استنكر الصاحب عليه هذا الجفاء والامتناع عن حضور مجلسه.

كمـــا بـــرز المجـــاز في عددٍ من التوقيعات العباسية ومنها توقيع المنصور إلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل: "طهّر عسكرك من الفساد، يعطك النيل القياد"[٢].

جـــاء المجـــاز فـــي كلمة (عسكرك)، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إدارة المعنى الأصلي[٣].

وفـــي توقيع المنصور فقد ذكر العسكر، وأراد جنوده وأفراد جيشه ونوع العلاقة في هذا المجاز المحلية حيث ذكر المحل، وأراد أهله.

ونظـــير ذلك توقيع طاهر بن الحسين في قصة رجلٍ متظلم من أصحاب نصر بن شبث: "طلبت الحق في دار الباطل"[٤].

المجاز في كلمة (دار)، فليس للباطل دار تختص به، وإنما ذكر الدار وأراد من بها ممن يقولون بالباطل، ويبتعدون عن قول الحق، فهو مجاز علاقته محلية.

ووقـــع بعضهم إلى وكيلٍ له على عمارة بساتينه وضياعه: "استكثر من شجر الفرصاد: فإن خشبها حطبٌ، وثمرها رطبٌ، وورقها ذهبٌ "[٥].

---

(١) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٣٨. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعـات العـرب**، ج٢، ص ٣٧٩.

(٢) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٦١.

(٣) انظر: أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص ١٧٩.

(٤) ابـــن طيفور، **كتاب بغداد**، ص٦٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعـات العـرب**، ج٢، ص ٢٢٦.

(٥) الثعالبي، **تحفة الوزراء**، ص ٩٧-٩٨. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٣، ص ٤٨٤.

المجاز جاء في (حطب) وعلاقته اعتبار ما سيكون، فالخشب سيصبح حطبا. وقد تبوأت الكناية مكاناً بارزاً في التوقيعات العباسية ومن أمثلة ذلك توقيع الرشيد إلى عامله على خراسان: "كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه"(١).

الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي(٢). وفي التوقيع ذكر (رفع الرأس) ولا يقصد به هذا المعنى الظاهر وإنما قصد التمرد والشغب فكلمة (رفع رأسه) كناية عن العصيان والخروج عن الطاعة. ولا شك أن الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ويبدو أن الرشيد قد كان له حظ وافر من البلاغة التي برزت في أكثر توقيعاته.

كما وقع الرشيد إلى صاحب المدينة المنورة: "ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن، فإنهم قد أطالوا ليلي بالسّهاد، ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد"(٣).

جاءت الكناية في عبارة (ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن) وهي كناية عن السيطرة وأخذهم بالقوة، كما تعني الإهانة والذل. وهذا التوقيع من التوقيعات شديدة اللهجة التي يوجه فيها الخليفة أحد ولاته للقضاء على حركات التمرد والعصيان.

ووقع المأمون إلى الرستمي في قصة غريم له تظلّم منه : " ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة، وغريمك خاو، وجارك طاو " (٤).

الكناية في (آنيتك من ذهب وفضة) وهي كناية عن الغنى ويسر الحال، فلم يذكر المأمون أن هذا الرجل غني صراحة، وإنما كنى بذلك بأوانيه الذهبية والفضية فلا يقتنيها إلا الأغنياء.

ومن توقيعات الوزراء توقيع الصاحب بن عباد في شأن مجرم: "احلق بنات خدّيه، وانقش بالسمط حدّيه، ليعتبر الناظر إليه"(٥).

تبدو الكناية في عبارة (انقش بالسمط حدّيه) فلا يمكن أن يكون أراد هذا المعنى بحرفيته، وإنما قصد العذاب الشديد والضرب المبرّح.

---

(١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٧٤.

(٢) انظر: أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص ٢٠٨.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٥.

(٤) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٥. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٩-٩٠.

(٥) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨.محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص٣٧٨.

رابعاً: البنية

يمكــن القــول إن التوقيعات العباسية، جاءت في صياغتها كاملة، وفي تراكيبها تامة، لا حشو فيها ولا زيادة ولا تطويل ولا إطناب[١]، فهي غالباً تتألف من جملة واحدة، وقد تتعداها إلى بعــض الجمل في مواضع مختلفة، وذلك لمناسبة المقام وحاجة الموضوع الذي كُتب فيه التوقيع، فامتازت هذه التوقيعات بقصر جملها، مع توازنها في الطول والقصر.

وقــد تُســتهل بعــض هذه التوقيعات بعبارات بعينها، وتختم بأخرى، ومثال ذلك توقيع الرشــيد فــي كتاب ملك الروم يتهدّده: "بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأتُ كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه، والسلام"[٢].

اســتهلّ الرشيد توقيعه بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم)، واختتم التوقيع بالسلام، وجليّ للناظر هنا أن هذا التوقيع أشبه برسالة قصيرة فقد بدأ بالبسملة فضلاً عن أنه اختتم بالسلام.

ومــن التوقــيعات التي اختتمت بالسلام كذلك توقيع الرشيد حيث بعث بعض العمال إليه بعبدٍ أسود فقلب الرشيد كتابه ووقع عليه: "أما بعد، فإنك لو وجدت عدداً أقل من الواحد، أو لوناً شراً من السواد لبعثت به إلينا، والسلام"[٣].

يلاحــظ في التوقيع السابق أنه بدأ بعبارة (أما بعد)، وقد تكررت هذه العبارة في مستهلّ عدد من التوقيعات، كما أن التوقيع اختتم بالسلام.

ومــن ذلــك أيضاً توقيع المأمون في كتاب متظلم من أحمد بن هشام: "اكفني أمره وإلاّ كفيته أمرك. والسلام"[٤].

ومــن العبارات الأخرى التي اختتمت بها بعض التوقيعات عبارة تعليق المشيئة (إن شاء الله)، ومثالها توقيع السفاح إلى كاتب جنده وقد شغبوا عليه بالأنبار: "بلــّغ المفترين عني، أبرقتم

---

(١) انظر: هاشم المناع، مأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**: ص ٢٣٨.

(٢) الطــبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج٨، ص ٣٠٧-٣٠٨. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٣.

(٣) القلقشــندي، **صبح الأعشى**، ج٢، ص ١٦. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٧.

(٤) البيهقي، **المحاسن والمساوئ**، ص ٥٥٩. ومحمّد الدروبي، وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٨-٨٩.

بأعجـــازكم، أم عظمـــت نعمـــة الله عليكم في دينكم ودنياكم؟! فلا تكونوا عظة العقلاء، وزرية الجهلاء، فتحبط أعمالكم، وتخيب آمالكم والعطاء غير مؤخّر عن وقته، إن شاء الله"(١).

ويلحـــظ مناسبة العبارة الختامية لما قبلها، فقد وعد السفاح بعدم تأخير العطاء عن وقته، وقد جرى على نهجه عدد لا بأس به من الموقعين في اختتام توقيعاتهم بهذه العبارة.

ومـــن هؤلاء أيضاً الفضل بن سهل فقد وقـــّع: "إن أسرع النيران التهاباً أسرعها خموداً، فتأنّ في أمرك، إن شاء الله"(٢).

كما وقـــّع: "قد أعذرت إليك في التقدمة، فالزم المحجّة، وتوقّ لزوم الحجة، وتوقع حلول المجازاة، إن شاء الله تعالى"(٣).

يـــبدو فـــي توقيع الفضل بن سهل الأول أنه تلبّس إطار الحكمة التي اشتهر بها عدد من التوقـــيعات العباسية، ويلحظ أن العبارة الختامية (إن شاء الله) لا تناسب موضوع التوقيع. أما في توقيعه الثاني فقد كانت العبارة مناسبة، فضلاً عن أن الموقـــّع أضاف إليها كلمة (تعالى).

كمـــا تـــبوأت الجمل الشرطية مكاناً بارزاً في التوقيعات العباسية، فجاءت العبارة الثانية مشـــروطة بـــتحقق العبارة الأولى، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من أثر واضح في تقوية المعنى، وقوة وقعه على السامع. ومن ذلك توقيع السفاح: "إذا كان الحلم مفسدة، كان العفو معجزة"(٤).

وتوقـــيع الرشيد في قصة محبوس: "من لجأ إلى الله نجا "(٥). ووقـــّع المأمون إلى عامل شكاه أهل عمله: "إن آثرت العدل حصلت على السلامة، فأنصف رعيتك من هذه الظلامة"(٦).

يلحـــظ فـــي التوقيعات السابقة أن أسلوب الشرط أسهم في أداء المعنى المقصود من كل توقـــيع، فالرشـــيد يشـــترط في النجاة لهذا المحبوس أن يلجأ أولاً إلى الله ويصدق في توبته. أما المـــأمون فهو يهدد عامله ويحذره من عاقبة ظلم الرعية، فهو لن يحصل على السلامة إذا لم يقم العدل بين رعيته.

---

(١) الأبي، **نثر الدر**، ج٣، ص ٨٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٥.

(٢) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص١٢٧. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣١١.

(٣) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٢، ص١٧٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص ٣١٣.

(٤) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٠. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٥٥.

(٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٢.

(٦) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٢.ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص٩١.

وقــد يتكون التوقيع من أكثر من جملة شرطية كما في توقيع الصاحب بن عباد في قصة متتصل من ذنب: "من ثقلت عليه النعمة خف وزنه، ومن استمرّت به العزة طال حزنه"(١).

وبرزت كذلك الجملة الدعائية في طائفة أخرى من التوقيعات، ومنها توقيع المأمون، فلمّا مات عمرو بن مسعدة، وزير المأمون، رُفعت إليه رقعة: "أن عمراً خلف ثمانين ألف ألف درهم" فوقع المأمون في ظهر الرقعة: "هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيما خلّف، وأحسن لهم النظر فيما ترك"(٢).

وقد يكون الدعاء عليه وليس له كما في التوقيعات السابقة، ومثال ذلك توقيع الرشيد إلى خــزيمة بــن خازم، إذ كتب إليه أنه وضع السيف في أهل أرمينية حين دخلها: "لا أمّ لك! تقتلُ بالذنب من لا ذنب له"(٣).

ووقــــّع طاهر بن الحسين الخزاعي في رقعة متنصّح: "قد سمعنا ما كره الله، فانصرف لا رحمك الله "(٤).

ومــن ذلك أيضاً توقيع أبي الحسن علي بن عيسى الجراح إلى عاملٍ بالثغر: "قد كثرت مــنك الشــكية، وعظمت فيك البلية، بفساد طويتك، ورداءة نيتك، وليس مثلك من يرتبُ لمعالي الأمــور، ولا من يُعتمد في صلاح الثغور، وقد وقفت من خبرك على الجلي منه، وعرفت حقيقة ما تناهى إليّ، فانصرف خسيس القدر، بتّ الله منك العمر"(٥).

ومن جانب آخر برزت بعض الجمل الاستفهامية في عدد من هذه التوقيعات ومنها توقيع الهادي إلى صاحب إفريقية في أمر فرط منه: "يا ابن اللخناء أنّى تتمرّس؟!"(٦)

---

(١) الثعالبي، **خاص الخاص**، ص١٣٨. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢،ص٣٧٩.

(٢) ابــن الزبير، **الذخائر والتحف**، ص ٢٢٥. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٠٠.

(٣) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٤.

(٤) الراغــب الأصــفهاني، **محاضــرات الأدبــاء**، ج١، ص ٢٤٠١. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٣٠.

(٥) التوحيدي، **البصائر والذخائر**، ج٥، ص٥٣. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**،ج٢، ص٣٦٤.

(٦) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص٢١٣. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧١.

يـبدو نـوع الاستفهام ههنا استنكاريا، فالهادي يوبخ هذا العامل ويقرعه مستنكرا تخاذله ونكوصـه، ويـبرز الاسـتفهام الاسـتنكاري كذلك في توقيع المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم: "أتكاتبني بلحن يا إسحاق!! "[١]

خامساً: الاقتباس والتضمين

أفـاد أصـحاب التوقيعات العباسية من القرآن الكريم، وتمثل ذلك بالاقتباس الصريح من آيـات القـرآن أو بالتضمين، ومن اللافت أن هذه الاقتباسات كثيرة، فقد اعتمد الموقعون النص القرآنـي في كثير من توقيعاتهم، لما يختزنه من طاقات تعبيرية وإيحائية ربما لا يجدها في غيره من النصوص.

وقـد يأتي الاقتباس بالآية القرآنية بنصها الحرفي وهو الغالب، أو يكون بتضمين معناها فـي التوقـيع، وأيّـاً كان فقد جاء في مكانه اللائق به، ومحله المخصوص بوصفه، فوقعت في أحسـن موقـع وقامت في أجمل مقام، ونظمت في أجمل نظام، وأغنت المعنى بالأمر عن شرح الحال، وإطالة المقال، فكانت هي القول الفصل في القطع والوصل والولاية والعزل[٢].

وقـد راجـت طريقة الاقتباس من القرآن الكريم والاستشهاد بآياته في توقيعات الخلفاء رواجـاً كبـيراً حـتى أصبحت بعض الآيات تتردد دائما في بعض هذه التوقيعات، وأن البراعة ليسـت في جمال معنى الآية أو حكمتها البالغة وإنما في القدرة على الاختيار وفي مدى التوفيق الذي يصيبه الموقع في إيجاد قوة العلاقة بين الآية المتشهد بها وبين موضوع الكتاب نفسه[٣].

ولـيس هـذا فحسب، بل عُدّ هذا الاقتباس شكلاً من أشكال التطوّر في التوقيع وقد يكون الاقتـباس أهمهـا، وأنـه كان صناعة أنيقة ليس فيها شيء من قوة الارتجال ولا أثر من اندفاع البديهة بل إجهاد فكر وإعداد جمل[٤].

ويلاحـظ أن هذا الاقتباس لم تأت فيه إشارة على أنه اقتباس أو نص من القرآن الكريم، فقـد خـلا النص من عبارة (قال الله تعالى) مثلاً أو غيرها من العبارات الدالة على أنه نص من القرآن الكريم، فجاءت العبارات كأنما هي من كلام الكاتب نفسه.

---

(١) الصولي، **أدب الكتاب**، ص٢١٩. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص١١٤.

(٢) انظر: هاشم المناع، مأمون ياسين، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، ص ٢٣٧.

(٣) انظر: بهيج عثمان، التوقيعات في الأدب العربي، **مجلة الأديب**، ص ٤٩.

(٤) انظر: **المصدر نفسه**، ص ٤٩.

ومـــن التوقـــيعات التي اعتمدت الذكر الحكيم، توقيع السفاح إلى عامل تظلم منه: ﴿**وما كنت متخذ المضلين عضداً**﴾[١]. يبدو من توقيع السفاح بهذه الآية الكريمة أنه يبطل عمل العامل وأنه لن يستعين بالظالمين ثانية.

بيـــنما نجـــده فـــي توقيع آخر ينفر من الظلم والظالمين فوقع في قصة قوم شكوا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة: ﴿**وقيل بعداً للقوم الظالمين**﴾[٢].

أما المنصور فقد وقع في قصة رجل ذكر أن أمير المؤمنين أمر بأرزاق له، وأن الفضل أبطأ بها: ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمسك لها**﴾[٣].

تدل الآية الكريمة التي اقتبسها المنصور على الرد بالإيجاب على أصحاب الحاجات، فلا مانع لما أعطاه الله.

ووقـــع كذلك إلى صرورة وقد سأله أن يحج: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**﴾.[٤] لقد وجد المنصور أنه من المناسب هنا أن يجيب هذا السائل الذي طلبه حجا بآية تتضـــمن ذكـــر فضـــيلة الحج، ويدل النص القرآني كذلك على أن المنصور يؤمّن هذا الطالب ويجيبه على حاجته.

وأحياناً لا يتضمن الاقتباس رداً صريحاً ولكنه قد يتضمن توجيهاً لطيفاً من القائمين على الأمـــر إلى العمال والولاة، وتهدف هذه التوجيهات إلى ضمان تيسير شؤون الحكم وأمور الرعية كما فعل المهدي حيث وقع إلى صاحب أرمينية وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه: ﴿**خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين**﴾[٥].

---

(١) مـــن الآيـــة ٥١ مـــن **ســـورة الكهف**، وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١١. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٤.

(٢) من الآية ٤٤ من **سورة هود**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١١. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٥٤.

(٣) من الآية ٢ من **سورة فاطر**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٢. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٣.

(٤) الآيـــة ٩٧ مـــن **ســـورة آل عمران**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد** ، ج٤، ص ٢٩٤. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٥.

(٥) الآيـــة ١٩٩ مـــن **ســـورة الأعراف**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد** ، ج٤، ص ٢٩٥. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٧.

ومـــن ذلـــك توقـــيع الرشيد يرد على رسالة ملك الروم : ﴿ **وسيعلم الكفار لمن عقبى الـــــدار**﴾[١]. اقتـــبس الرشـــيد هذه الآية الكريمة بنصها الحرفي، لما تضمنته من معاني التهديد والتوعد للأعداء، والتربص بمن كفر وضلّ عن طريق الحق.

كمـــا وقـــع على كتاب علي بن عيسى بن ماهان، وقد كتب إليه بقتل العمري المنسوب إلى الزندقة: ﴿**بعداً للقوم الظالمين**﴾[٢].

أمـــا الخليفة المأمون فقد وقع في قصة متظلم من أبي عيسى بن الرشيد: ﴿**فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**﴾[٣]. الآية السابقة تقر حقيقة البعث ويوم الحساب، ويـــبدو أن المأمون موفق – إلى حد بعيد– في هذا الاقتباس الذي يتضمن مشهداً من مشاهد يوم القيامة المروّعة، التي يتساوى فيها البشر أمام الله.

وأهـــدى أبو عباد الوزير إلى المأمون مصحفاً في يوم مهرجان وافق أول يوم من شهر رمضان فكتب إليه: عدلتُ عن هدايا السلطان إلى التيمن بالقرآن، وما يرضي الرحمن. فوقع في رقعـــته: ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾[٤]. يلاحظ هنا أن المأمون أراد هذا الاقتباس للسخرية من وزيره، فقد أحسّ المأمون بنفاق أبي عبّاد وزيف قوله، فجاء ردّه بهذه الآية الكريمة لتصيب كبد الحقيقة وتكشف نفاق من قيلت فيه.

فضـــلاً عـــن توقيعات خلفاء الدولة العباسية فقد وجدت توقيعات للوزراء العباسيين في الاقتـــباس من الذكر الحكيم، فكانت كثيرة كذلك، ومن هؤلاء الوزراء أبو مسلم الخراساني الذي كانـــت جـــلّ توقيعاته من آي الذكر الحكيم، فقد وقع إلى عامله ابن قحطبة ثلاثة توقيعات متتالية اقتبسها من القرآن الكريم، فوقع إليه: ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ [٥] . والتـــوقيع الثـــانـــي :

---

(١) الآيـــة ٤٢ من **سورة الرعد**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد** ، ج٤، ص ٢١٥. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٢.

(٢) الآيـــة ٤٤ مـــن **سورة هود**. وانظر: الثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٣٠. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٧٧.

(٣) الآيـــة ١٠١ مـــن **ســـورة المؤمنون**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٥١. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٨٧.

(٤) الايـــة ١٣ مـــن **سورة الرحمن**. وانظر: الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ج١، ص ٤٢٤. ومحمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ١١٣.

(٥) الآية ٧٧ من **سورة القصص**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٨. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧١.

﴿ادع إلـــى ســبيل ربــك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[١]. إذ يوجه أبو مسلم هذا العامل توجيها لطيفا لسلوكه مع رعيته وذلك بضرورة التروي والحكمة بدلاً من البطش والقوة.

ووقع إليه كذلك: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[٢].

تشـــكل هذه الآية تحذيراً لعامله وتوجيها لسلوكه، ويلاحظ أن اختيار الآية الكريمة مناسبا للمقام، فبعد التحذير والتوجيه جاء العقاب الذي يمكن أن يلحق به إذا تجاوز وتعدّى.

كمـــا نجده في اقتباس آخر يمقت النفاق والمنافقين، فوقع إلى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾[٣].

فالآية ترسم صورة للمنافق ذي الوجهين، يظهر أمراً ويبطن آخر.

ومن توقيعاته كذلك توقيعه إلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه: ﴿وأما بنعمة ربك فحدّث﴾[٤].

ويجيب يحيى البرمكي أحد السجناء بآية من القرآن، تنهي آمال هذا السجين الذي التمس الإطلاق: ﴿لكل أجل كتاب﴾[٥].

فقد تضمنت رد ظلامة هذا السجين ومعارضتها.

ومن التوقيعات التي نصت على إقامة الحدّ توقيع الفضل بن سهل بآية الحرابة في قصة قـــوم قطعـــوا الطريق: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ، أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[٦].

---

(١) الآيـــة ١٢٥ من **سورة النحل**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٨. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧١.

(٢) الآيـــة ١١٣ مـــن **سورة هود**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٨. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧١.

(٣) الآيـــة ١٤ مـــن ســـورة البقرة، وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٨-٢١٩. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧١.

(٤) الآيـــة ١١ من **سورة الضحى**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٨. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٢.

(٥) الآيـــة ٣٨ من **سورة الرعد**. وانظر: الثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٣٥. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٧.

(٦) الآيـــة ٣٣ من **سورة المائدة**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٢٠. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠٧.

فـــي حين يتوعد الصاحب بن عباد بعض مخالفيه، فوقع في كتابه بالآية الكريمة: ﴿**فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون**﴾[١]. فالغرض من الآية الكريمة السابقة ليس ظاهر معناها، ولكنها تعريض بمن يخالف ابن العباد ويخرج عنه، وتوعُّد لهم بالعقاب الشديد.

ولعـــلّ توحد الموقف أو المقام استدعى اقتباس النص القرآني نفسه في أكثر من موقف، ومـــثال ذلـــك، توقـــيع المهدي في قصة رجل حُبس في دم: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألـــباب**﴾[٢]. لقـــد تضـــمنت الآية حكما شرعيا في قضية رفعت إلى المهدي، فنصت على حكم القصـــاص، ويبدو أن آية القصاص الواردة في القرآن الكريم بقيت أثيرة لدى طائفة من الموقعين وبخاصـــة إذا كان الحكم الشرعي يوجب قتل الجاني. كما في توقيع يحيى بن خالد البرمكي بهذه الآية الكريمة في أمر رجلٍ استحق القتل[٣]. وكذلك وقع بها ابنه جعفر البرمكي في رقعة متشفع إليه بدم[٤].

كما استلهم بعض الموقعين توقيعاتهم من قصص القرآن الكريم، لعل أبرزها توقيع طاهر ابن الحسين في رقعة متنصح: ﴿**سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين**﴾[٥].

يســـتلهم طاهر هذا التوقيع من أحد مواقف الحوار الواردة في قصة سليمان عليه السلام مـــع الهدهـــد حين جاءه بخبر قوم سبأ. ولعل هذه الآية تقال في مقام التثبت من الخبر قبل الحكم عليه، وهو اقتباس موفق إلى حد بعيد.

ومـــن ذلك أيضا توقيع الحسن بن سهل في كتاب شاعر رأى مناما فوقع في أسفل كتابه: ﴿**أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**﴾[٦]. وأطلق له ما التمسه.

---

(١) الآية ٧٩ من **سورة البقرة**. وانظر: الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٣٤. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٧٧.

(٢) الآيـــة ١٧٩ من **سورة البقرة**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٣. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ٦٩.

(٣) انظر الثعالبي، **خاص الخاص**، ص ١٣٥. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٧٧. وانظر: محمّد الدروبي، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، ص ٧٨.

(٤) الثعالبـــي، **الاقتـــباس مـــن القرآن الكريم**، ج٢، ص ١٤٨. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٥) ابـــن عـــبد ربـــه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٢٢. وانظر: محمد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٢٩، وانظر: **سورة النمل**، الآية ٢٧.

(٦) الآيـــة ٤٤ مـــن **سورة يوسف**. وانظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢٢٠-٢٢١. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣١٨.

الـتقط الموقـع هنا موقفاً من قصة يوسف عليه السلام، عندما استفتى الملك أعوانه في رؤيـاه، فعجزوا عن تفسيرها. ولعل توظيف هذا النص القرآني في هذا التوقيع لا ينم عن عجز الحسـن بن سهل عن تفسير منام الشاعر فحسب بل سخريته منه ومن طلبه، ومع ذلك فإن كرمه منعه من ردّه فأجابه، وأعطاه ما التمس.

ونظـير ذلـك توقيع الصاحب بن عباد، فقد كتب رجل إليه رقعة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها: ﴿**هذه بضاعتنا ردّت إلينا**﴾[١].

أراد الصاحب أن يسخر من شعر هذا الرجل، فهو يعرف هذه الأبيات حق المعرفة لأنه صاحبها، فاقتبس هذه الآية من قصة سيدنا يوسف حين وجد أخوته بضاعتهم ردّت إليهم، فعجبوا من ذلك، فكما خبروا بضاعتهم وعرفوها كذلك خبر الصاحب أشعاره وعرفها.

لعلـه ينكشف للناظر من طائفة التوقيعات السابقة أن الاقتباس من القرآن الكريم كان يرد بـتوحّد الاقتباس أي أن يرد النص وحيداً، فالتوقيع يتضمن الاقتباس منفرداً من غير أن يضيف الموقع كلاماً سابقاً للاقتباس أو لاحقاً له.

وأحـياناً كـان الموقـع يقتبس من القرآن الكريم ويضيف كلاماً من عنده، يسبق النص القرآنـي المقتـبس أو يلحق به، كما في توقيع المقتدر، فلما اضطرب العسكر عليه وأرادوه على خلـع نفسه، كتبوا إليه رقعة في ذلك فوقع فيها: أنا مستسلم لأمر الله، غير مسلم حقاً خصّني به الله رفعة فأغفل ما فعله عثمان بن عفان – رضي الله عنه– ولست أنتصر إلا بالله لما أؤمله من الفـوز فـي دار الآخرة، و﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾[٢]، ﴿**إن الله لا يُصلح عمـل المفسدين**﴾[٣]، ﴿**ولا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين**﴾[٤]. وحسبي الله ونعم الوكيل وعليه توكلت وهو رب العرش العظيم[٥].

لـم يقتبس المقتدر في توقيعه السابق نصاً قرآنياً واحداً، بل اقتبس ثلاثة نصوص متتالية، وكأنه يستسلم للنص القرآني، ويبدو أن المقتدر اختارها بعناية فائقة إذ راعى فيها التـدرج في

---

(١) الآيـة ٦٥ مـن **سـورة يوسـف**. وانظر: الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٣، ص ٢٣٤. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٣٩٠.

(٢) الآية ١٢٨ من **سورة النحل**.

(٣) الآية ٨١ من **سورة يونس**.

(٤) الآية ١٤٧ من **سورة الأنعام**.

(٥) الثعالبـي، **الاقتـباس مـن القرآن الكريم**، ج٢، ص ١٤٩. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج١، ص ١٢٧.

المعـنى، فكانـت الآيـة الأولى تحث على الإحسان والعمل الصالح، والآية التالية لها تحذر من عواقـب العمل الفاسد وتمقته بينما تبدو الآية الثالثة شديدة اللهجة أكثر من سابقتها ففيها بيان لقوة الله وبأسـه الشـديد الذي ينال كل مجرم. ولعل اقتباس المقتدر لأكثر من نص قرآني في التوقيع الواحد يعبّر عن إيمانه العميق، واستسلامه لقضاء الله وقدره.

وكثـيراً ما يختم الموقف بآية من القرآن الكريم، فهو أولاً يأتي بكلام من عنده ثم يقتبس آيـة من القرآن الكريم، يدعّم بها كلامه ويؤيده، كما في توقيع عبد الله بن طاهر: لو قبلتُ الهدية ليلاً لقبلتها نهاراً ، "**فما آتان الله خيرٌ مما ءاتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون**"(١).

فجـاء الاقتباس بعد كلام عبد الله بن طاهر لتؤكد رفضه لهذه الهدية، مكتفياً قانعاً بما له عند الله.

ونظـير ذلـك أيضاً توقيع جعفر البرمكي إلى صاحب ديوانه: أحسن إلى الأكرة، فإنهم الفعلـة الذي يعملون، والفلاحون الذين يزرعون وقد جعل الله أيديهم لنا طعاما، وألسنتهم سلاماً فظلمهم حرام. ﴿**وما عند الله خيرٌ وأبقى أفلا تعقلون**﴾(٢).

تضمن التوقيع توجيهاً لطيفاً من جعفر البرمكي إلى صاحب ديوانه، ثم اختتم توقيعه بآية كريمة جاءت ملائمة لموضوع التوقيع ومضمونه.

فـي حيـن أن هـناك طائفة من هذه التوقيعات تـُضمّن معنى الآية الكريمة، فقد يورد الموقـع بعـض النص القرآني، وكأنه يوحي إيحاءً إلى النص القرآني، فنراه يجتزيء نصاً من الآيـة الكريمة مشيراً إلى النص الكامل للآية. كما في توقيع جعفر البرمكي في رقعة رجلٍ سأل ولاية: " لا أوليّ بعض الظالمين بعضاً "(٣).

يشـير جعفـر البرمكي هنا إلى قوله تعالى: ﴿**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً**﴾. من غـير أن يصـرّح بأنها من القرآن الكريم، وغرضه من هذا التضمين أن يستعير من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه، وإذا تأملنا التوقيع السابق وجدنا المقتبس قد يغير قليلاً في الآية التي يقتبسها.

---

(١) الآية ٣٦ من **سورة النمل**. وانظر: الأبي، **نثر الدر**، ج٥، ص ٨٧. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) الاية ٦٠ من **سورة القصص**. وانظر: الثعالبي، **الاقتباس من القرآن الكريم**، ج٢، ص١٤٨. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) ابـن عـبد ربـه، **العقد الفريد**، ج٤، ص ٢١٩. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٩٢-٢٩٣.

ومـــن التوقـــيعات التي نحت هذا المنحى أنه حكي أن المأمون غضب على عبد الله بن طاهـــر وأراد عـــبد الله الـــرجوع، فكتب إلى صديق له كتابا، ووقع في حاشيته: يا موسى، فلما وصل إليه الكتاب جعل يتأمل ذلك ولا يدري ما معناه، فقالت له امرأةٌ صحبته: يقول:﴿**يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك**﴾[١]، فأمسك عن القدوم[٢].

لقـــد اجتزأ الموقع من الآية الكريمة مشيراً إلى نصها الكامل، فالنص المجتزأ كما يظهر يخـــتزن طاقة تعبيرية، ومعنى عميق لا يمكن الكشف عنه إلا إذا عُرف النص الكامل، وهذا ما أراده صديق عبد الله بن طاهر أي أن يشير إلى النص الكامل بهذه الكلمة متوقعاً من عبد الله أن يردها إلى نصها فيفهم منها المعنى المراد.

---

(١) الآية ٢٠ من سورة القصص.

(٢) الجرجانـــي، أبـــو العـــباس، أحمـــد بن محمّد الثقفي (ت ٤٨٢هـــ/ ١٠٨٩م)، **المنتخب من كنايات الأدباء**، تصـــحيح: محمّد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٢٦هـــ/ ١٩٠٨م، ص ٨٣. وانظر: محمّد الدروبي وصلاح جرار، **جمهرة توقيعات العرب**، ج٢، ص ٢٤٠.

- بـــرز فـــي العصر الحديث بعض الدراسات التي عُنيت بالتوقيعات العباسية، دراسة وجمعا، كجمهـــرة رســـائل العـــرب لأحمـــد زكي صفوت، وجمهرة توقيعات العرب للباحثين محمد الدروبي وصلاح جرار.

- لـــم تكـــن التوقـــيعات تعالج موضوعاً محدداً فحسب بل شملت أغراضاً شتى، وموضوعات متنوعة، وتعددت من ثم أنماطها ولا شك أن الردود كانت أبرز الموضوعات التي كتبت فيها التوقيعات ثم جاءت التوجيهات السياسية والإدارية، والأخوانيات.

- يمكـــن القـــول إن التوقـــيعات العباسية اتسمت بخصائص أسلوبية وفنية مميزة، فقد امتازت بجملهـــا القصيرة وتراكيبها البسيطة، كما أن معظمها يميل إلى الإيجاز الذي يحمل ألوانا من الفـــن تـــدل علـــى مقـــدار ما وصل إليه الكتاب من الدقة والمهارة في بناء الجملة وتركيب الألفـــاظ، إلا أنـــنا نلحظ شيئاً من الإطناب الذي امتد إلى بعض هذه التوقيعات فيما بعد. كما شاعت فيها بعض المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق والمقابلة.

- راجـــت طـــريقة الاقتباس من القرآن الكريم والاستشهاد بآياته في توقيعات العباسيين رواجاً عظيماً حتى أصبحت بعض الآيات تتردد دائما في بعض هذه التوقيعات.

- حافظـــت التوقيعات العباسية على ألقها الأسلوبي قرونا، مما جعلها تمثل أنضج النماذج لأدب التوقـــيعات العربـــي فـــي مسيرته التاريخية، ثم تراجعت أهميتها بعد القرن الرابع الهجري واتخذت ميسماً جديداً فقدت جراءه أهم الخصائص التي تميزت بها التوقيعات العربية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر القديمة

١- القرآن الكريم

٢- الآبـــي، أبو سعد، منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ/ ١٠٧٠م)، **نثر الدر**، تحقيق: محمّد علي قـــرنة ومحمّـــد إبراهـــيم عـــبد الرحمن ومنير محمّد المدني وسيدة حامد عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣- ابن الآبار، أبو عبد الله، محمّد بن عبد الله القضاعيّ، (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، **أعتاب الكتاب**، تحقيق: صالح الأشتر، دار الأوزاعي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤- ابـــن الأثـــير، أبو الحسن، عز الدين (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥- الأزدي، ظافـــر بن الحسين الحلبي (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، **أخبار الدولة المنقطعة**، تحقيق: محمّد بن مسفر الزهراني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦- الأصـــفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـــ/ ٩٦٦م)، **الأغاني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٧- ابـــن بكـــار، الزبير بن بكار بن عبد الله الأسدي (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، **الأخبار الموفقيات**، تحقـــيق: ســـامي مكـــي العاني، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨- البيهقـــي، إبراهـــيم بن محمّد، (كان حيا قبل ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، **المحاسن والمساوئ**، نشره: محمّد سويد، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩- ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين يوسف الأتابكيّ (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة**، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٧٨م.

١٠-التنوخي، أبو علي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١١-التنوخـــي، أبو علي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، **المستجاد من فعلات الأجواد**، تحقيق: محمّد كرد علي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٢-التنوخـــي، أبـــو علـــي، المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩١-١٣٩٣هـ/١٩٧١-١٩٧٣م.

١٣-التوحـيدي، أبـــو حيان، علي بن محمّد (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٤-الثعالبـــي، أبو منصور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٥-الثعالبـــي، أبـــو منصـــور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **الإعجاز والإيجاز**، مصورة عن نشرة إسكندر آصاف، دار البيان، بغداد، ودار صعب، بيروت، د.ت.

١٦-الثعالبـــي، أبـــو منصور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **الاقتباس من القرآن الكـــريم**، تحقـــيق: ابتســـام الصفار ومجاهد بهجت، دار الوفاء، الطبعة الأولى، المنصورة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧-الثعالبـــي، أبو منصور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **تحفة الوزراء**، تحقيق: سعد أبو دية، دار البشير، الطبعة الأولى، عمان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٨-الثعالبـــي، أبـــو منصـــور، عـــبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **ثمار القلوب في المضـــاف والمنسوب**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٩-الثعالبـــي، أبو منصور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **خاص الخاص**، نشره: مأمون محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٠-الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **يتيمة الدهر**، نشر: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢١-الثعالبـــي، أبـــو منصـــور، عبد الملك بن محمّد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، **المتشابه**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٢-الجـــاحظ، أبـــو عـــثمان، عمـــرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٩٦٨م)، **الـــتاج في أخلاق الملوك (منســـوب)**، نشـــره عـــن طـــبعة أحمد زكي: إبراهيم الزين وأديب الزين، دار الفكر ودار البحار، بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٢٣-الجرجاني، أبو العباس، أحمد بن محمّد الثقفي، (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)، **المنتخب من كنايات الأدبـــاء**، تصـــحيح: محمّـــد بـــدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

٢٤-الجهشـياري، أبو علي، محمّد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصـطفى السـقا وإبراهـيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

٢٥-الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، **زهر الآداب وثمار الألباب**، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٢٦-ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن علي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، **التذكرة الحمدونية**، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٧-الخطيـب البـغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، **تاريخ بغداد**، مصورة عن طبعة الخانجي المصرية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٢٨-ابـن خلـدون، عـبد الرحمن بن محمّد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **المقدمة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.

٢٩-ابـن خلكـان، أبو العباس شمس الدين، أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٧٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٠-ابـن درسـتويه، عـبد الله بن جعفر الفسويّ، (ت ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)، **كتاب الكتاب**، تحقيق: إبراهـيم السـامرائي، وعـبد الحسـين الفتلي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، الكويت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٣١-الراغـب الأصـفهاني، أبـو القاسم، الحسين بن محمّد (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٣٢-الرقـيق القيروانـي، أبو إسحاق، إبراهيم بن القاسم، (ت ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م)، **قطب السرور**، تحقيق: أحمد الجندي، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٣٣-ابـن الزبـير، القاضي الرشيد، من أهل القرن الخامس الهجري، **الذخائر والتحف**، تحقيق: محمّد حميد الله، منشورات وزارة الإعلام، الطبعة الثانية، الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٤-الزمخشـري، أبـو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، تحقيق: سليم النعيمي، دار الذخائر للمطبوعات، قم، ١٣١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٥-ابـن سـماك العاملي، أبو القاسم محمّد بن محمّد المالقي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، **الزهرات المنـثورة**، تحقـيق: محمـود علي مكي، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٦-الشابشـــتي، أبـــو الحسن، علي بن محمّد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٨٨م)، **الديارات**، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٧-الشريشـــي، أبـــو العـــباس، أحمـــد بن عبد المؤمن (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)، **شرح مقامات الحريـــري**، تحقـــيق: محمّـــد أبـــو الفضل إبراهيم، مصورة عن الطبعة المصرية، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٨-الصابي، غرس النعمة أبو الحسن، محمّد بن هلال الصابي (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، **الهفوات النادرة**، تحقيق: صالح الأشتر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٣٩-الصابي، أبو الحسين، هلال بن الحسن (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)، **الوزراء**، نشر: حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤٠-الصـــاحب بـــن عـــباد، الصاحب إسماعيل بن عباد الطالقاني (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، **رسائل الصـــاحب بـــن عباد**، تحقيق: عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م.

٤١-الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **تمام المتون في شرح رسالة ابـــن زيـــدون**، تحقـــيق: محمّـــد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٤٢-الصـــفدي، صـــلاح الدين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: هلموت ريتر ورفاقه، الطبعة الثانية، فرانز شتايز فيسبادن، شتوتكارت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٣-الصولي، أبو بكر، محمّد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/ ١٩٤٧م)، **أدب الكتاب**، نشره: محمّد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٤٤-الصـــولي، أبـــو بكـــر، محمّـــد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/ ١٩٤٧م)، **الأوراق (أخبار الراضي والمتقـــي)**، تحقـــيق: ج. هـــيورث، د.ن، دار المسيرة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٥-ابن طباطبا، محمّد بن علي الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٤٦-الطـــبري، محمّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الأمم والملوك**، مصورة عن الطبعة المصرية، دار التراث، بيروت، د.ت.

٤٧-ابـــن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، **كتاب بغداد**، مكتبة المثنى- بغداد ومكتبة المعارف – بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٤٨-العباسي، عبد الرحيم بن علي(ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٤٩-ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمّد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، **العقد الفريد** تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الاقهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٥٠-العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ/ ٩٩٢م)، **التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم (ضمن التحفة الشهيّة)**، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥١-العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ/ ٩٩٢م)، **كتاب الصناعتين**، تحقيق: علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٥٢-ابن العمراني، محمّد بن علي بن محمّد (ت نحو ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار والبحوث المصرية، لايدن، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٥٣-العمري، شهاب الدين، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٤-ابن أبي عون، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمّد (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، **الأجوبة المسكتة**، تحقيق: مي أحمد يوسف، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥٥-ابن قتيبة، أبو محمّد، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **عيون الأخبار**، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٥٦-قدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥٧-قدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، **نقد النثر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥٨-القلقشـــندي، أبـــو العباس، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشـــا**، تحقيق: محمّد حسين شمس الدين ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥٩-الكاتـــب، علـــي بن خلف، المتوفى في مطلع القرن الخامس الهجري، **مواد البيان**، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦٠-الكلاعـــي، أبـــو القاســـم، محمّد بن عبد الغفور الأندلسي، من أهل القرن السادس الهجري، **إحكام صنعة الكلام**، تحقيق: محمّد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٨٦م.

٦١-ابـــن لـــيون التجيبـــي، سعد بن أحمد (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م)، **لمح السحر من روح الشعر**، تحقـــيق: مـــنال منـــيزل، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦٢-ابن المعتز، عبد الله (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)، **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦٣-ابن منظور، جمال الدين، محمّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.

٦٤-النهروانـــي، أبـــو الفـــرج، معافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، **الجليس الصالح الكافي والأنـــيس الناصـــح الشـــافي**، تحقيق: محمّد مرسي الخولي وإحسان عباس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦٥-النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، مصـــورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت.

٦٦-الـــنويري، الإســـكندراني، محمّـــد بن القاسم بن محمّد (ت بعد ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)، **الإلمام**، تحقـــيق: عزيز سوريال عطية، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، ١٣٨٨٠١٣٩٦هـ/ ١٩٦٨-١٩٧٦م.

٦٧-الوشـــاء، أبو الطيب، محمّد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م)، **الفاضل في صـــفة الأدب الكامل**، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٦٨-الوطـــواط، أبـــو إســـحاق، بـــرهان الدين الكتبيّ (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، **غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة**، دار صعب، بيروت، د.ت.

٦٩-يـاقوت الحمـوي، أبـو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم الأدباء**، تحقـيق: إحسـان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ونشره: أحمد فريد الرفاعي عن طبعة مرجليوث، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

ثانياً: المراجع الحديثة:

٧٠-الأطرقجي، واجدة، **المرأة في أدب العصر العباسي**، دار الرشيد، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٧١-أميـن، أحمـد، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة العربية، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٧٢-أميـن، أحمـد مصطفى، **المأمون أديبا**، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧٣-بابتـي، عزيزة فوال، **الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي**، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٧٤-بيومـي، السـباعي السـباعي، تـاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، مطبعة العلوم، القاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

٧٥-الجبوري، يحيى، **محمّد بن عبد الملك الزيات، سيرته، وأدبه، تحقيق ديوانه**، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٧٦-حجـاب، محمّـد نبـيه، **بلاغة الكتاب في العصر العباسي**، المطبعة الفنية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٧٧-حجـاب، محمّـد نبـيه، **مظاهـر الشعوبية في الأدب العربي**، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٧٨-الجوفـي، أحمد، **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٧٩-خفاجـي، محمّد توفيق، **تطور النظم الإدارية والمالية في بلاد العراق والفرس**، منشورات كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٨٠-خفاجي، محمّد عبد المنعم، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية**، مكتبة القاهرة، القاهرة،د.ت.

٨١-خفاجـــي، محمّـــد عـــبد المنعم، **الحياة الأدبية في العصر العباسي**، مكتبة القاهرة، القاهرة، د.ت.

٨٢-الدروبـــي، محمّـــد محمود، **الرسائل الفنية في العصر العباسي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨٣-الدروبي، محمّد وجرار، صلاح، **التوقيعات الفارسية المعربة**، منشورات جامعة آل البيت، المفرق، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٨٤-الدروبـــي، محمّـــد وجـــرار، صلاح: **جمهرة توقيعات العرب**، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، العين، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٨٥-ربـــاح، نبيل خالد أبو علي، **نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٨٦-أبـــو زيـــد، علـــي إبراهيم، **أحمد بن يوسف الكاتب الوزير**، دار المعارف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨٧-زيدان، جورجي، **تاريخ التمدن الإسلامي**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٨٨-السيوفي، مصطفى، **ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨٩-شرشر، محمّد حسن، **لباب البديع**، دار الطباعة المحمّدية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٩٠-الشـــكعة، مصطفى، **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية**، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٩١-صالح، محمود عبد الرحيم، **فنون النثر في الأدب العباسي**، وزارة الثقافة، عمان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٩٢-صفوت، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب**، مصورة عن الطبعة المصرية، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.

٩٣-ضـــيف، شـــوقي، **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٦١م.

٩٤-طـــبانة، بدوي، **الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٣هـــ/ ١٩٦٣م.

٩٥-العـاكوب، عيسـى، **تأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي**، دار طلاس، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٩٦-فـروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٩٧-فيصـل، شـكري، **مـناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي**، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

٩٨-كساسـبة، حسـين فـلاح، **المؤسسـات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين)**، منشورات جامعة مؤتة، الكرك، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٩٩- مقـداد، محمود، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام**، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٠٠- مـناع، هاشـم وياسـين، مأمون، **النثر في العصر العباسي وأشهر أعلامه**، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٠١- مهـنا، علـي جمـيل، **الأدب فـي ظل الخلافة العباسية**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠٢- الهاشمي، أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٣- هلال، محمّد غنيمي، **الأدب المقارن**، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٠٤- هوتسـما ورفاقـه، **دائـرة المعارف الإسلامية**، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد ورفاقه، دار الشعب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٠٥- وهـبة، مجـدي، والمهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

١-اللحـام، إيمـان، **أنمـاط النـثر العراقـي في القرن الثالث الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

رابعاً: الدوريات

١- الدروبـــي، محمّـــد محمـــود، صـــدى نكبة البرامكة في نماذج من النثر العباسي، **مجلة المنارة**، المجلد السادس، العدد الأول، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢- الدروبـــي، محمّـــد محمـــود، مواقـــف الدارسين العرب المعاصرين من نشأة التوقيعات وعروبتها، **مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، العدد الخامس والعشرون، جامعة قطر، الدوحة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣- شـــريف، حكمـــة، توقـــيعات الخلفاء، **مجلة المقتطف**، ج٥، المجلد الثامن والعشرون، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.

٤- عثمان، بهيج، التوقيعات في الأدب العربي، **مجلة الأديب**، السنة الثانية، الجزء الخامس، بيروت، ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.

٥- نصـــار، حســـين، أدب المراسلات في العصر الأموي، **مجلة عالم الفكر**، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، الكويت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.